

کتابی



رایث و سمعت لك
فی الصَّیْنِ

عند ممتاز

ماهی مراد

عدد فخاص

الأبرار
والمؤمنين
الذين
أرسلنا



(في الصين والتشعبية
.. والهند .. واليابان .. ومستعمرة هونغ كونج)

للمحسّر

.. ٢٠ صفحة - ١٠٠ صورة - الثمن ١٢ قرشا

كتاب

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر اول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

قمار الكتاب



مطبع الفكر عند الإبريق

الكتاب السبعون (السنة الخامسة) يناير ١٩٥٨
الاشتراكات ومجموعة الأعداد السابقة: اقرأ التفصيلات بالداخل
الإدارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

نسخ أنيقة ((مقصورة الاطراف))

تعد خصيصا للمشاركين في ((كتابي)) و ((المطبوعات))

♦ اذا اردت الحصول على نسختك من « كتابي » او « مطبوعات كتابي » انيقة نظيفة « مقصورة » من جميع اطرافها ، فاشترك في السلسلتين ، او احدهما ، تضمن وصول الاعداد المذكورة اليك في عقر دارك ، اينما كنت ، بالبريد « المسجل » وفي مظروف مغلق .
ارسل فورا الى الادارة (١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة) اذن بريد بقيمة الاشتراك الموضحة ادناه ، لاية مدة ترغب فيها ٠٠١ واذا كنت بعيدا عن مكتب البريد في هذه الساعة او كان المكتب مغلقا ، وخشيت ان تنسى الموضوع او تهمله لو ارجاته ، فتناول قلما من فورك واكتب الينا « برغبتك » فقط في الاشتراك ، وسوف نتولى نحن تذكيرك بالامر بخطاب خاص في فترات متفاوتة ، للمساعدك على تنفيذ رغبتك ، حتى تحققها . . فلا ترجى الكتابة الآن ، واذكر ان الارجاء والتسويف هما الد اعداء الانسان ، فهما يعرمانه من كل فرص السعادة او النجاح .

اسعار الاشتراك ، بما في ذلك نفقات البريد المسجل

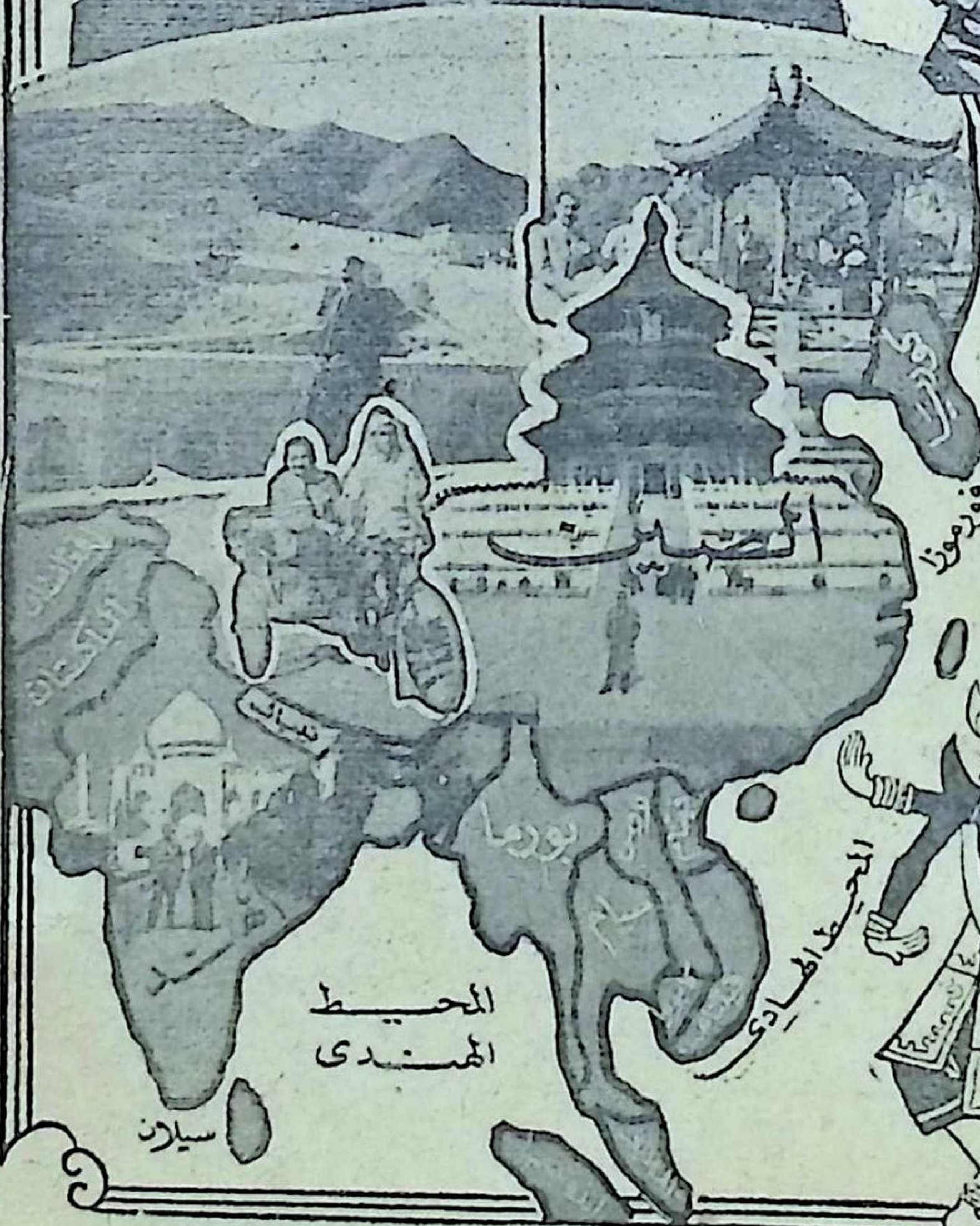
في القطر المصرى والسودان : ١٠ قروش عن كل عدد (باذن بريد او حضوريا بالادارة) .
في سوريا ولبنان والعراق والاردن والحجاز : شيك او تحويل على احد بنوك القاهرة بما يوازي ١٢ قرشا مصريا عن كل عدد ، او كوبونات دولية بـ ١٣٠ مليما مصريا عن كل عدد .
بقية بلاد العالم : شيك او تحويل على احد بنوك القاهرة بما يوازي ١٣ قرشا مصريا عن كل عدد . والرجاء عدم ارسال نقود داخل الخطابات سواء العادية او المسجلة .



نافذة كتابي تطل على العالم

رَأَيْتُ قُلُوبَهُمْ لَوْنًا فِي أَرْضِيَا

للمحمد



اليابان

فوجو



المحيط الهندي

المحيط الهندي

سيران

الاهـداء

الى السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى رفع
الحجاب وأزال القطيعة بين مصر والصين الشعبية ،
فتعانق بفضلله أعرق شعبين فى التاريخ !

والى السيد كمال الدين حسين ، وزير التربية
والتعليم ، الذى وطد الصلات الثقافية بين البلدين بعقد
الاتفاقية الثقافية بينهما ، التى تمخضت عن ايفاد الوفد
الثقافى الرسمى من جمهورية مصر الى جمهورية الصين
الشعبية فى اكتوبر عام ١٩٥٧

والى السيد يوسف السباعى ، سكرتير المجلس الاعلى
للفنون والآداب ، الذى تفضل فرشحنى لعضوية هذا
الوفد

والى السادة رئيس واعضاء الوفد الثقافى : الدكتور
السعيد مصطفى السعيد ، والدكتور احمد نجيب هاشم ،
والاساتذة : عبد الواحد على ، وعبد المجيد شديد ،
ومحمود الحكيم ، وسعيد حامد الصدر ، ومحمود
البدوى .. الذين كانت روحهم النبيلة وزمالتهم الكريمة
اثناء الرحلة ، خير عون لى فى سعى الدائب لجمع مادة
هذا الكتاب ، ومطاردة المعلومات الخاصة به ، والتقاط
الصور له فى كل مكان .. على حساب راحتهم فى بعض
الاحيان !

والى السادة ممثلى مصر فى السفارات والقنصليات
المصرية فى الصين واليابان والهند - وفى مقدمتهم السيد
حسن رجب سفير مصر فى (بكين) ، والسيد مصطفى
يوسف سفير مصر فى (طوكيو) ، والسيد عبد السلام
بدران المستشار الثقافى بسفارة مصر فى (بكين) - الذين
ذلوا لى الكثير من المصاعب والعقبات ، فى كل مناسبة ..
والى شعب الصين العريق ، الطيب ، الودود ، الذى
أبدى من مظاهر الحفاوة والترحيب الحار بنا ، فى كل
خطوة ، ما أجدنى عاجزا عن وصفه ! .. بل أبدى من
مظاهر ((التعلق)) الشديد - الصادق ، المخلص -
بمصر ، وبنا ، ما يكاد يتجاوز درجة الصداقة الى ..
الحب !

والى ممثلى هذا الشعب من الموظفين الرسميين ،
والادباء ، والمترجمين ، فى شتى انحاء الصين ، الذين يسروا
لى وسيلة التفاهم مع كل من أردت التحدث اليه -
(وكانت عقبة اللغة تحول دون ذلك ، لولا جهودهم !)
- وأمدونى بكل ما طلبت من بيانات ، ومعلومات ،
واجابات ..

.. واليك انت ، ايها القارىء العزيز .. يا من لم
يفب عن خاطرى لحظة طيلة الوقت ، وانا أجمع من
أجله هذه المادة ..

.. أهدي ثمرة هذه الرحلة

والله ولى التوفيق

حلمى مراد

انا عائد من الصين الشعبية . . واليابان . . والهند !
عائد من رحلة تقييت فيها عن ارض مصر ٤٧ يوما ، قطعت
خلالها نحو خمسين ألف كيلومتر ، منها نحو ٦٠٠ و ٣٥٠ كيلومتر
بالطائرات ، والباقي بالقطارات والسيارات . .
عائد وفي جعبتي من المشاهدات والذكريات والصور ، مادة
قد ينفد صبر القارئ قبل ان تنفذ !

وقصة هذه الرحلة تبدأ بمذكرة رفعت الى رئاسة الجمهورية
من السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم ، في ١٥
سبتمبر الماضي ، جاء فيها :

((ينص البند التاسع عشر من البرنامج التنفيذي للاتفاقية
الثقافية بين مصر والصين الشعبية في عام ١٩٥٦/١٩٥٧ على
ان يوفد كل من الطرفين في شهر سبتمبر ١٩٥٧ الى بلد
الطرف الآخر وفدا ثقافيا قوامه ١٥ من رجال التربية والتعليم
والفنانين والكتاب في زيارة تستغرق شهرا أو شهرين .

« وقد رأت هذه الوزارة ان يكتفى بإيفاد ٨ أعضاء فقط ،
ولمدة شهر واحد ، على ان يؤلف الوفد من :

عدد

عدد

٣ عن وزارة التربية والتعليم ١ عن التعليم الجامعي
٢ عن الفنانين المصريين ٢ عن الكتاب المصريين
« وقد كتب في هذا الشأن الى المجلس الأعلى للجامعات
لترشيح عضو عن التعليم الجامعي ، وللمجلس الأعلى للفنون
والآداب لترشيح عضوين عن الفنانين ، وعضوين آخرين
عن الكتاب .

« وبناء على الترشيحات التي وردت ، تألف الوفد على
النحو التالي :

- ١ - السيد / **السعيد مصطفى السعيد**
مدير جامعة الاسكندرية
رئيسا للوفد
 - ٢ - السيد / **احمد نجيب هاشم**
وكيل وزارة التربية والتعليم
عن وزارة التربية والتعليم
 - ٣ - السيد / **عبد الواحد على**
مدير الادارة العامة لاعداد
المعلمين والمعلمات
»
 - ٤ - السيد / **عبد المجيد شديد**
مدير مكتب السيد وزير
التربية والتعليم
»
 - ٥ - السيد / **محمود محمد الحكيم**
استاذ العمارة بكلية الهندسة
بجامعة الاسكندرية
عن الفنانين
 - ٦ - السيد / **سعيد حامد الصدر**
وكيل كلية الفنون التطبيقية
بالأورمان
»
 - ٧ - السيد / **حلمى مراد (أديب)**
عن الكتاب
 - ٨ - السيد / **محمود البدوي**
احمد حسن عمر - بالادارة
العامة لحسابات ومشتريات
الحكومة بوزارة المالية
»
- والأمر معروض على رئاسة الجمهورية رجاء التفضل
بالموافقة ، مع تفويض السيد وزير التربية والتعليم في تحديد
موعد سفر الوفد خلال السنة المالية الحالية

وزير التربية والتعليم

١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٧

(كمال الدين حسين)

وفي ٢٢ سبتمبر صدر « قرار رئيس الجمهورية رقم ٨٨٧ لسنة ١٩٥٧ » ، وهذا نصه :

الى وزارة التربية والتعليم
قرر السيد رئيس الجمهورية في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥٧
الموافقة على ما جاء بهذه المذكرة
وقد ابلفت وزارة الخارجية والمالية والاقتصاد وجامعة
الاسكندرية هذا القرار

السكرتير العام لمجلس الوزراء
(امضاء)

♦ ثم بدأت اجراءات الاستعداد للرحلة ، ووضع برنامجها

.. وعندئذ روى أن تمتد
مهمة الوفد الى اليابان ايضا،
تنفيذا لاتفاقية ثقافية سابقة
بينها وبين مصر ، واقتضى
ذلك مد مدة الرحلة من شهر
الى شهر ونصف .. وطبقا
لهذا البرنامج استبعدت فكرة
اتخاذ الطريق الشمالى الى
الصين ، الذى يمر بروسيا
(طريق موسكو - سيبيريا -
بكين) .. وتقرر ان يسلك
الوفد الطريق الآخر الجنوبى،
المر بالهند ، (طريق بومباي
- دلهى - كلكتا
بانجكوك - هونج كونج)



النصب التذكارى للمهاثما غاندى فى
بومباي ، وهو غير مقبرة الزعيم
الموجودة فى دلهى الجديدة



« بوابة الهند » وترمز لمدينة بومباي التي أطلق عليها الانجليز هذا الاسم لأنها كانت المنفذ الذي تسللوا منه الى الهند بأسرها ! وهذه البوابة تطل على البحر مباشرة ، وهي آية في جمال الهندسة ، وتكاد تشبه (في ضخامتها) قوس النصر الذي اقامه نابليون بياريس . وحول البوابة سور ومقاعد ، وسلم تهبط الى حافة الماء ، فاذا جاء الليل امتلأ المكان بأفراد الشعب المكرويين من الحر ، ما بين جالس ونائم ، وبعضهم يقضى ليلته تحت البوابة حتى الصباح !

وفي منتصف ليلة ٢٠ - ٢١ أكتوبر الماضي ، ركبنا الطائرة من القاهرة الى بومباي

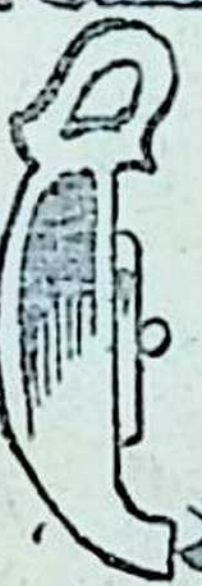
وغبنا عن الوطن ٤٧ يوما ، زرنا خلالها : بومباي ، دلهي ، كلكتا ، بانجكوك ، هونج كونج ، كانتون ، بكين ، شنيانج (مكدن) ، انشان ، هانكاو ، نانكنج ، شنغهاي ، هانشو ، كانتون ، طوكيو ، اوزاكا ، كيوتو . . ثم عدنا من نفس الطريق الى القاهرة ، هلفناها في فجر السادس من ديسمبر المنصرم

خريطة تفصيلية لرحلة المخزون إلى آسيا

آسيا

سور الصين العظيم
الذي الوحيد في العالم الذي
يمكن نظرا - رؤية من البحر

طريق الذهب
طريق المسودة

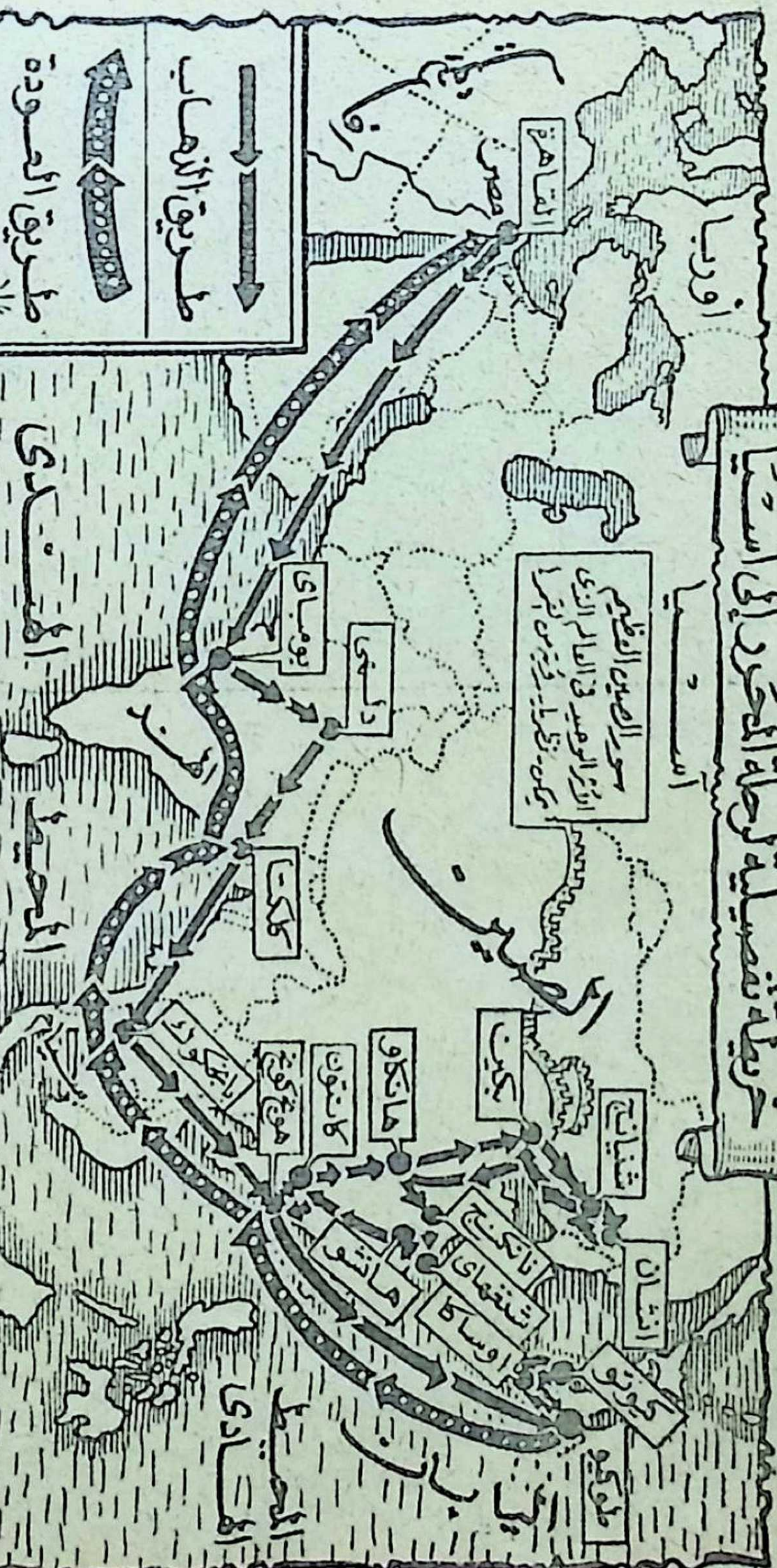


المحيط الهندي

المحيط الهندي

المحيط الهندي

مجموع السفارات بالكيلومترات: حوالي ١٠٠٠٠ كيلومتر (من القاهرة إلى بومباي ودرى وملكنا، بانجكوك وهونغ كونج،
كانتوك، بكين، شنغهاي، انتساي، بكين، هانغتشو، نانكينج، سنغافورة، هانغتشو، كانتوك وهونغ كونج، طوكيو،
اويزاوا، كيوتو، طوكيو، هونغ كونج، بانجكوك، ملكنا، بومباي، القاهرة) - مجموع طاعات السفر بالطائرات
حوالي ١٠٠٠ طاعات ودرى طاعات - مدة الرحلة: ٧٠ يوما



وقد سافرت وفي عزمي أن أكتب اليك رسالة من كل بلد نهبطه ، وكل بقعة تطأها أقدامنا .. لكنني كنت واهما .. فلقد كان برنامجنا في كل مدينة حللنا بها مزدحما الى درجة مرهقة ، بحيث أنني كنت أعود الى غرفتي في نهاية اليوم وأنا الهث من فرط التعب والاجهاد .. سيما وقد أخذت على عاتقي أن لا ادع صغيرة أو كبيرة تفلت مني ، ما استطعت الى ذلك سبيلا .. ووجدتني كلما هممت بالكتابة اليك ، في فترة فراغ وجيزة ، بين برنامج وبرنامج ، أعود فأرجىء الأمر كي أشغل هذا الفراغ ببرنامج خاص منفرد ، أستنبطه من السؤال والاستقصاء عما قد يكون اغفله برنامج الوفد من معالم أو أماكن جديدة بالزيارة ، كي اختزن لك المزيد من الذكريات ، والمشاهدات ، والانطباعات ..

وهكذا انتهت الرحلة قبل أن أجد من الوقت فسحة لأن اكتب حرفا !

فلما تهيأت - بعد عودتي - للكتابة ، ونشرت أمامي ما تخمت به جمعتي من صور ، وقصاصات .. أدركتني حيرة مرة :
من أين أبدا ؟

وماذا أتناول .. وماذا ادع ؟

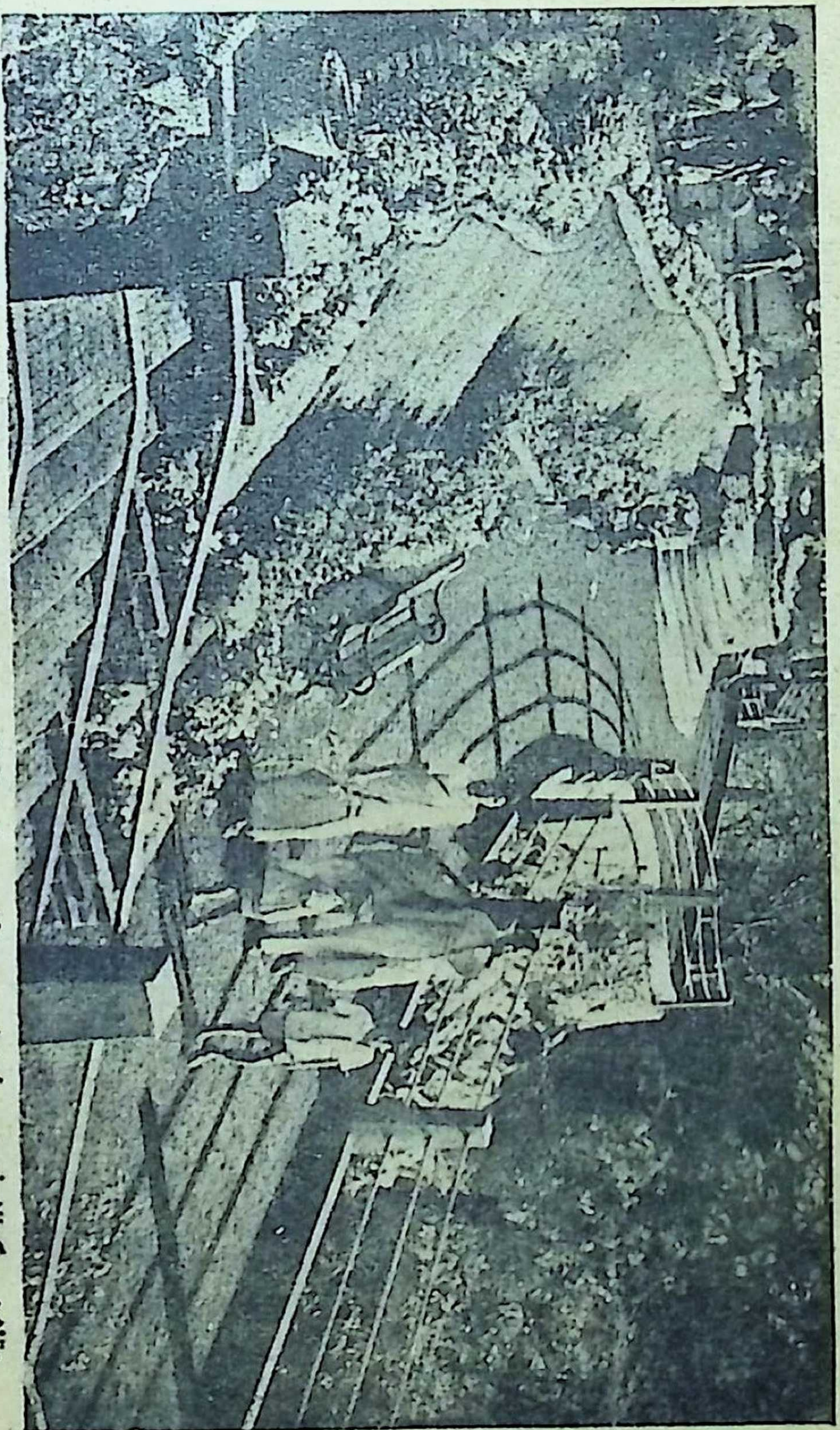
هل أبدا حديثي وفقا للترتيب الزمني ، فاكتب لك يوميات الرحلة يوما بيوم ، وساعة بساعة ؟

أخشى لو فعلت ذلك أن ينتهي الكتاب قبل أن نصل الى حدود الصين !

أم نترك الهند حتى نرجع اليها في طريق العودة ، ونبدأ بالصين ؟

لكنك قد تحتج بانك تود أن تعرف شيئا عن اليابان !

وهذا يذكرني بقصة العنزة والحشيش والدُّب !



منزله » كمالات نهر و » حدائق بومباي المعلقة « ، وهو - كما ترى - آية من آيات جمال الطبيعة
وجال التنسيق في آن واحد . ويجد فيه اهل المدينة متنفسا لهم من قنطرها ورطوبتها الخائفة ..

نعم .. من أين أبدا ؟

.. أي بلد من البلاد الثلاثة تحب أن تزور أولا ؟
وعن أية مدينة من مدن كل بلد منها تريدني أن أحدثك ؟
هل أحدثك عن (بومباي) - أو كما يطلقون عليها : « بوابة الهند » - التي « أهدتها » البرتغال في عام ١٦٦١ للملك انجلترا « تشارلس الثاني » كجزء من « دوطه » عروسه « كاترين أوف براجانزا » ؟ .. بومباي التي تظهر إحدى الخرائط البرتغالية في القرن السابع عشر أنها كانت تتألف في الأصل من سبع

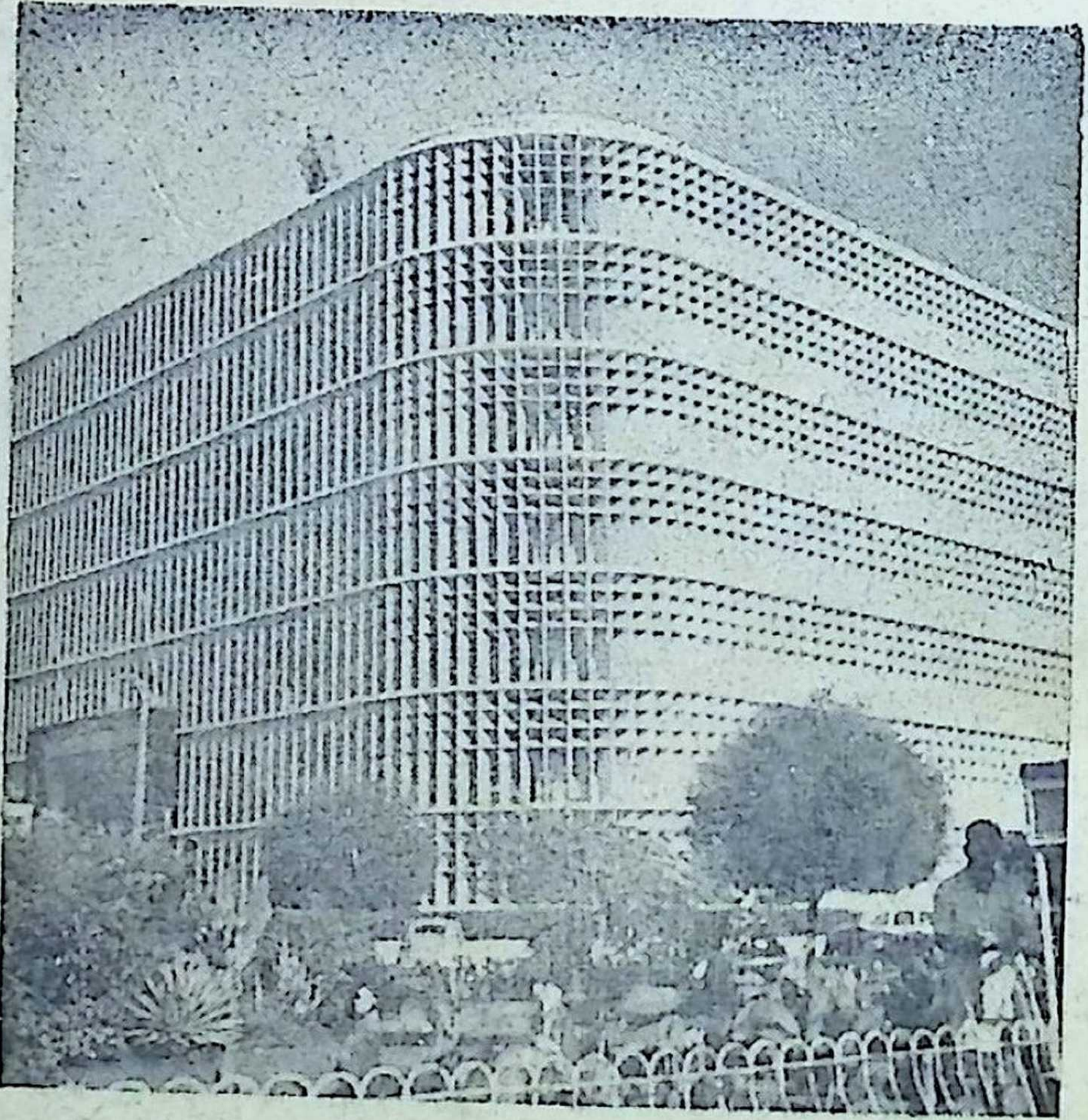


« شاطئ البحرية » ببومباي ، ويطل على خليجها الدائري الشبيه بخليج (نابولي) بإيطاليا ، وكان الانجليز يطلقون عليه « عقد اللؤلؤ » - في جيد امبراطوريتهم السابقة بالطبع !

جزر ، ظلت تسعرقعتها بتأثير رواسب البحر ، وماتزال .. .
 بومباي التي تبدو انوارها ليلا للقادم اليها من البحر كعقد من
 اللؤلؤ - طالما حلى جيد الامبراطورية البريطانية ! - اذ يرسم
 خليجها الجميل شكل نصف دائرة . بومباي التي كان شاطئها
 - منذ قرون - المكان المختار الذي يحوم حوله القراصنة
 بسفنهم الصغيرة ذات الشراع الاحمر المثلث .. . والتي منها
 عبر البحارة الهنود المحيط الهندي الى افريقيا .. . واليها جاء
 البحارة البرتغاليون فتمكنوا من السيطرة على المحيط والشاطئ ،
 وبذلك بدأ استغلال الغرب للهند !



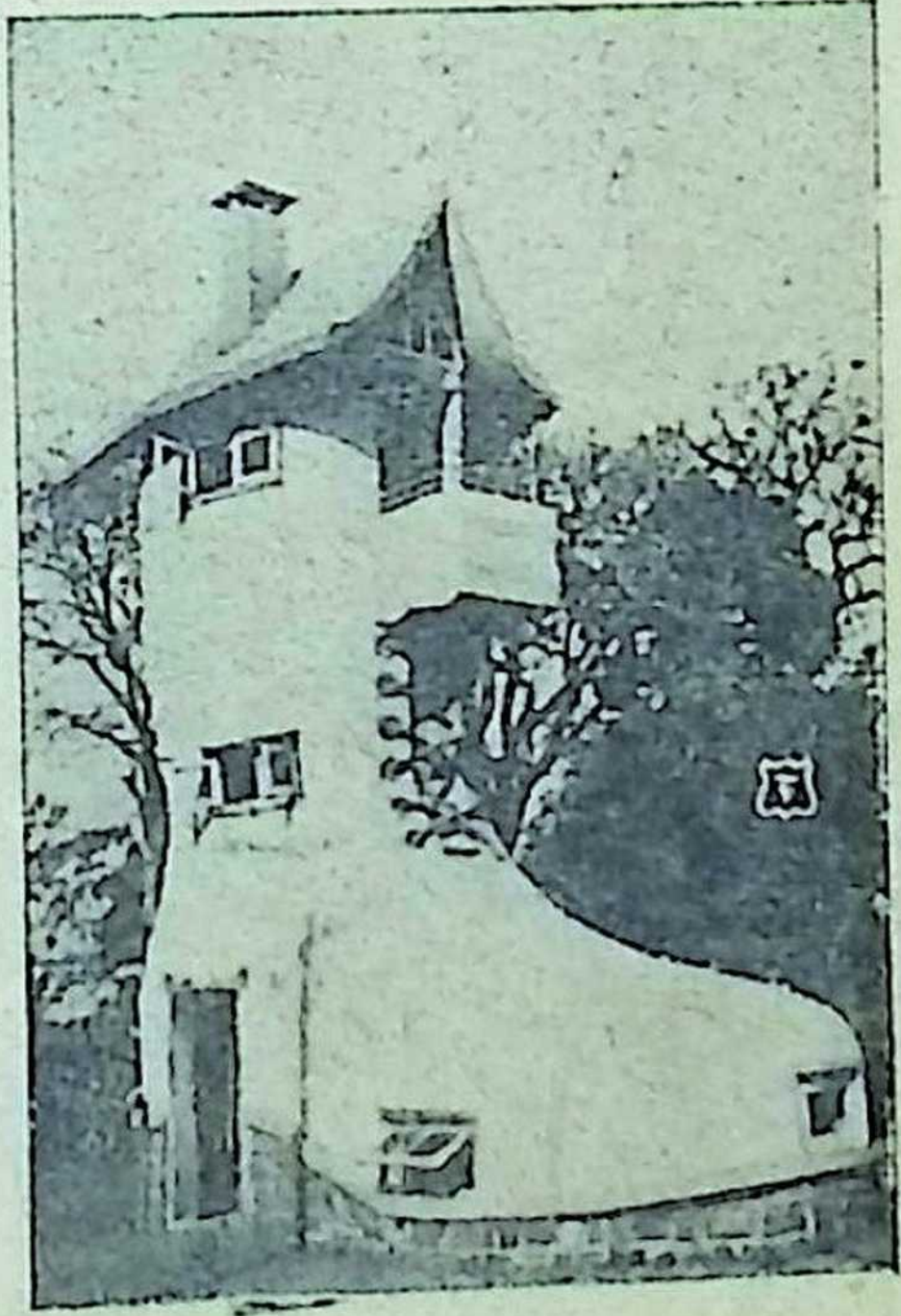
ميدان فيكتوريا ببومباي ، حيث مبنى البلدية الفاخر : وفي بومباي
 « مئات » من هذه المباني الضخمة ذات الطراز الفيكتوري ، والطراز
 القوطي .. . الى جانب المباني العصرية



احد عمارات بومباي ، شيدت على الطراز الامريكى الحديث ، وهى
تخص احدى شركات البترول العالمية

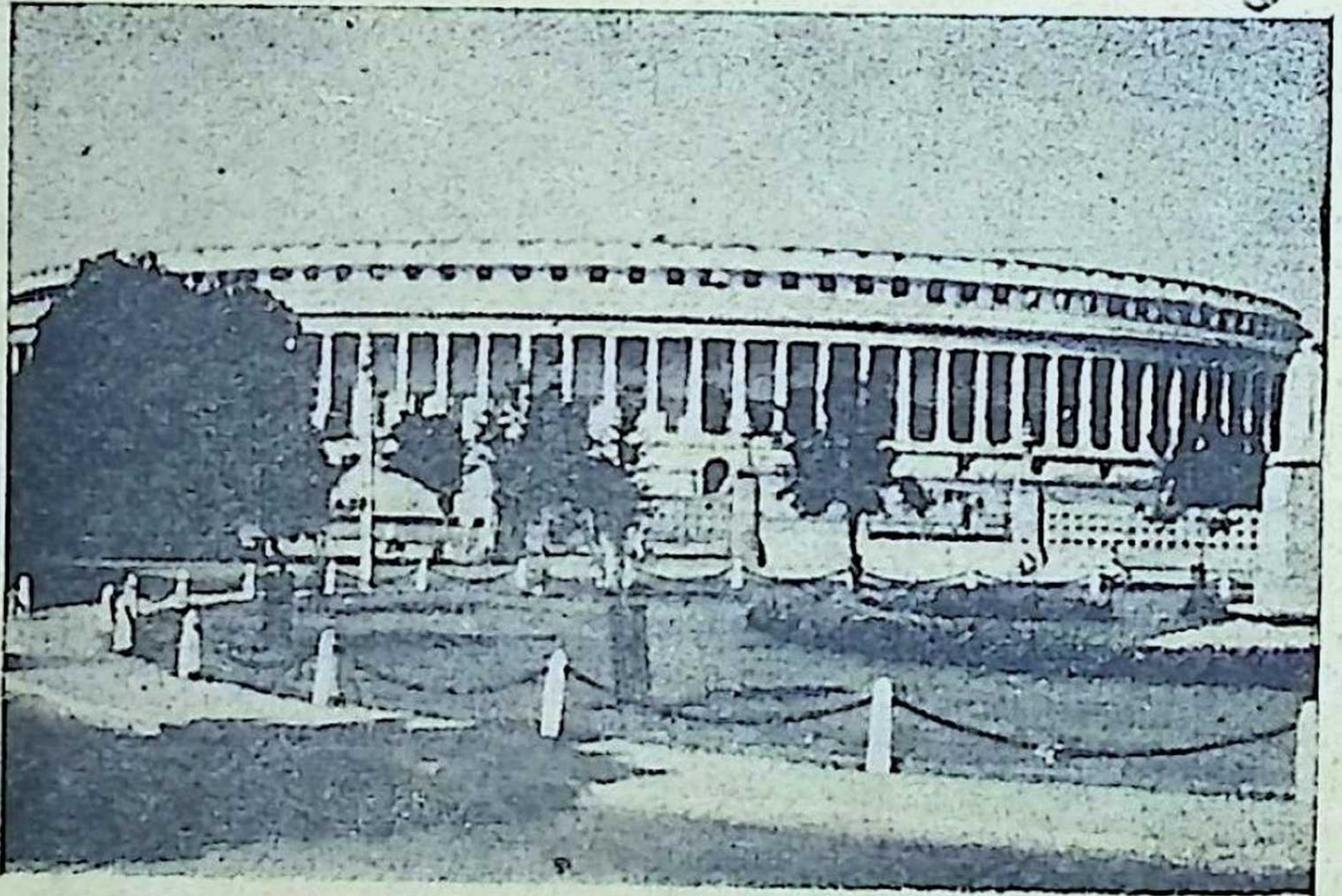
نعم ، هل احذثك عن بومباي التى يفصلها عن القاهرة ٤٣٤٠
كيلومترا ، قطعتها بنا الطائرة فى ١١ ساعة ، دون توقف ؟ ..
بومباي التى تختلط الحضارات وتتضارب ، فى مبانيها ذات
الطراز الهندى ، والقوطى ، والبريطانى «الفىكتورى» ، والاوربى

الحديث ، والبوذي القديم ، في
الشارع الواحد ؟ . . وعن
معابدها التي تمارس فيها
طقوس ديانة الهندوس
على قارعة الطريق ،
فيرى المارة رجالا نصف عراة
يحمل بعضهم المباخر ، ويدق
البعض الآخرون اقيس ضخمة
تصم الاذان ؟ . . وعن حوانيتها
وأسواقها حيث تشاهد
المفارقة الصارخة بين أناقة
النساء المختلات في ردائهن
القومي الجميل ، (الساري) ،
وقد زين وجوههن بـ « شامة »
حمراء مستديرة في حجم
الحمصة ، في وسط الجبهة . .
وبين « دهولة » وراثثة بعض
الرجال من عامة الشعب ،
بقمصانهم الطويلة الخارجة عن سراويلهم القصيرة ،
وسيقانهم السوداء العارية ، ربما بسبب الفقر ، وربما بسبب
القيظ الشديد والرطوبة الخائفة - حتى في اواخر اكتوبر ! -
وهو طقس يرهق اعصاب اهل المدينة الكبيرة ، ويعطل انتاجهم !



« حذاء سيدتنا » ، وهو مبنى طريف
على شكل حذاء اقيم في حديقة
« كمالا نهرو » ببيومباي

. . ام احدثك عن (دلهي الجديدة) ، عاصمة الهند ، التي
لاتزيد مساحتها عن مساحة ضاحية واحدة من ضواحي اية
مدينة كبيرة . . دلهي التي رايناها تتلأأ بالانوار وتموج بالمارة
والمتسكمين في ليلة رأس السنة الهندية . . دلهي بشوارعها
الفسيحة وحدائقها الشاسعة التي تجعلها اشبه ما تكون

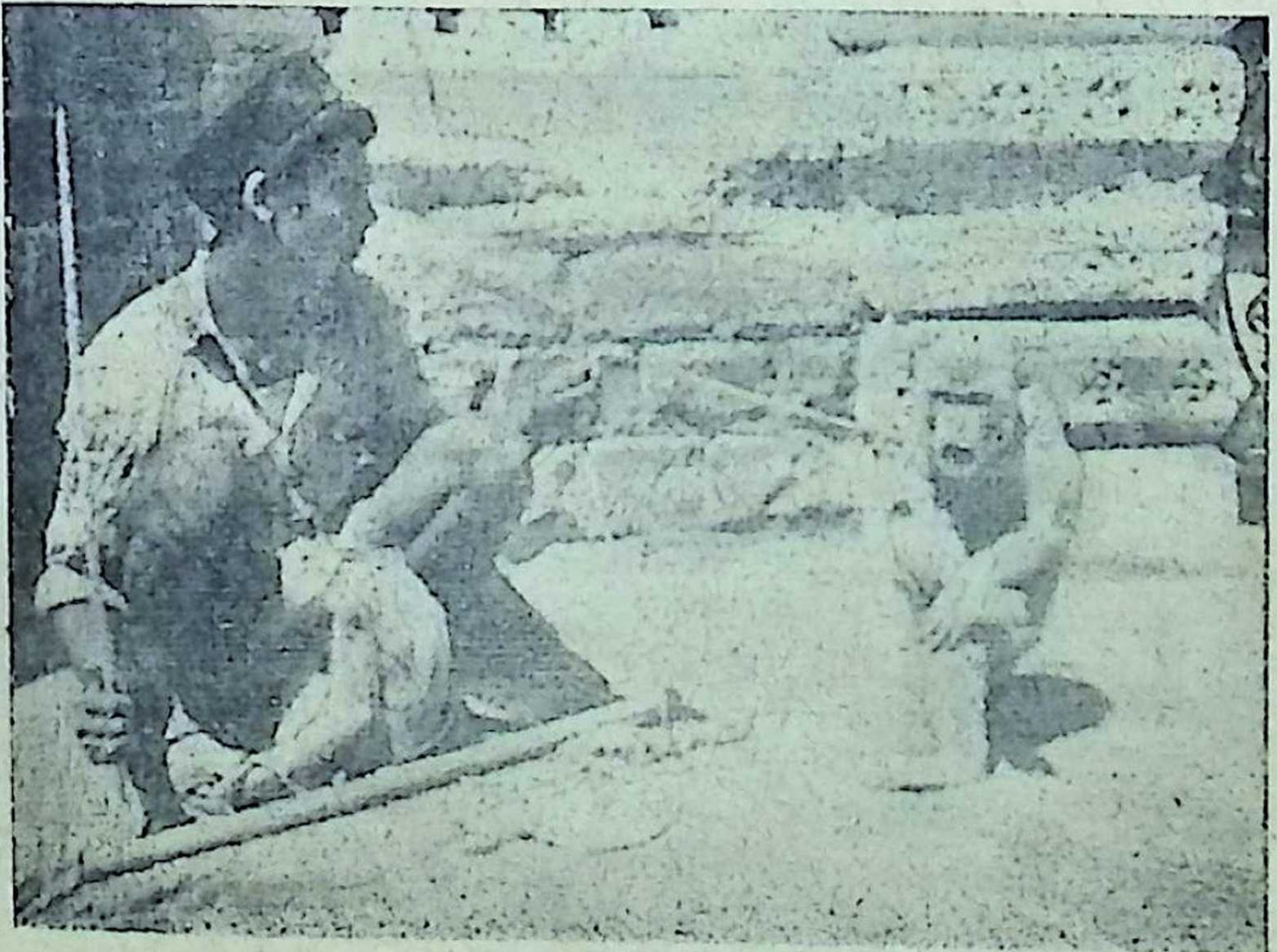


دار البرلمان الهندى بمدينة « دلهى الجديدة » ، وهو اكبر بناء دائرى
فى العالم ، اذ يبلغ مسطحه نحو نصف ميل مربع ٠٠١ ويشمل قاعتي
مجلسى النواب والشيوخ

بضاحية (المعادى) فى القاهرة .. ومبانيها الحكومية الأنيقة
النظيفة التى ملأت نفسى حسرة ، وأملاً .. وفنادقها الفاخرة
الشبيهة بقصور المهرجات ، والتى ماتزال تخصص فيها قاعة
خاصة للأمرء والنبلاء الهنود ، لا يدخلها سواهم ، بينما تختلط
جميع الجنسيات فى قاعة الرقص ، فيخاصر الأمريكى هندية ،
ويراقص الهندى انجليزية أو ألمانية .. ويخدمك فى قاعة
الطعام عشرات من الخدم والسقاة - مما يقطع بكثرة الايدى
الماملة ، وضالة الأجور ! - وكلهم من الهنود ، فى ثيابهم
التقليدية .. حتى رئيسهم الذى يرتدى السترة الاوربية
السوداء - سترة « الميتر دوتيل » - هو الآخر هندى ..
وينتشر الجميع حولك ، رهن اشارتك ، ومنهم من يذهب

ويجىء حاملا اليك طبق الطعام الهندي المشهور : « الارز بالكارى » ، فاذا الهب « الكارى » حلقك بناره اللاذعة - الأقسى من « الشطة » ! - أسرع اليك الساقى الآخر بابر يق الماء المثلج ، الذى يحرصون على غليه قبل ذلك ، ضمنا للوقاية من « الكوليرا » المستوطنة في الهند !

.. أم أحدثك عن الرحلة الى (أجرا) بالسيارات عبر برارى الهند ، بين « النسانيس » الأليفة التى تقفز على جانبي الطريق أو ترمقنا بعيونها الصغيرة المستطلعة .. ثم المرور بمقبرة السلطان « أكبر » - مؤسس مدينة أجرا - ذات الأبواب

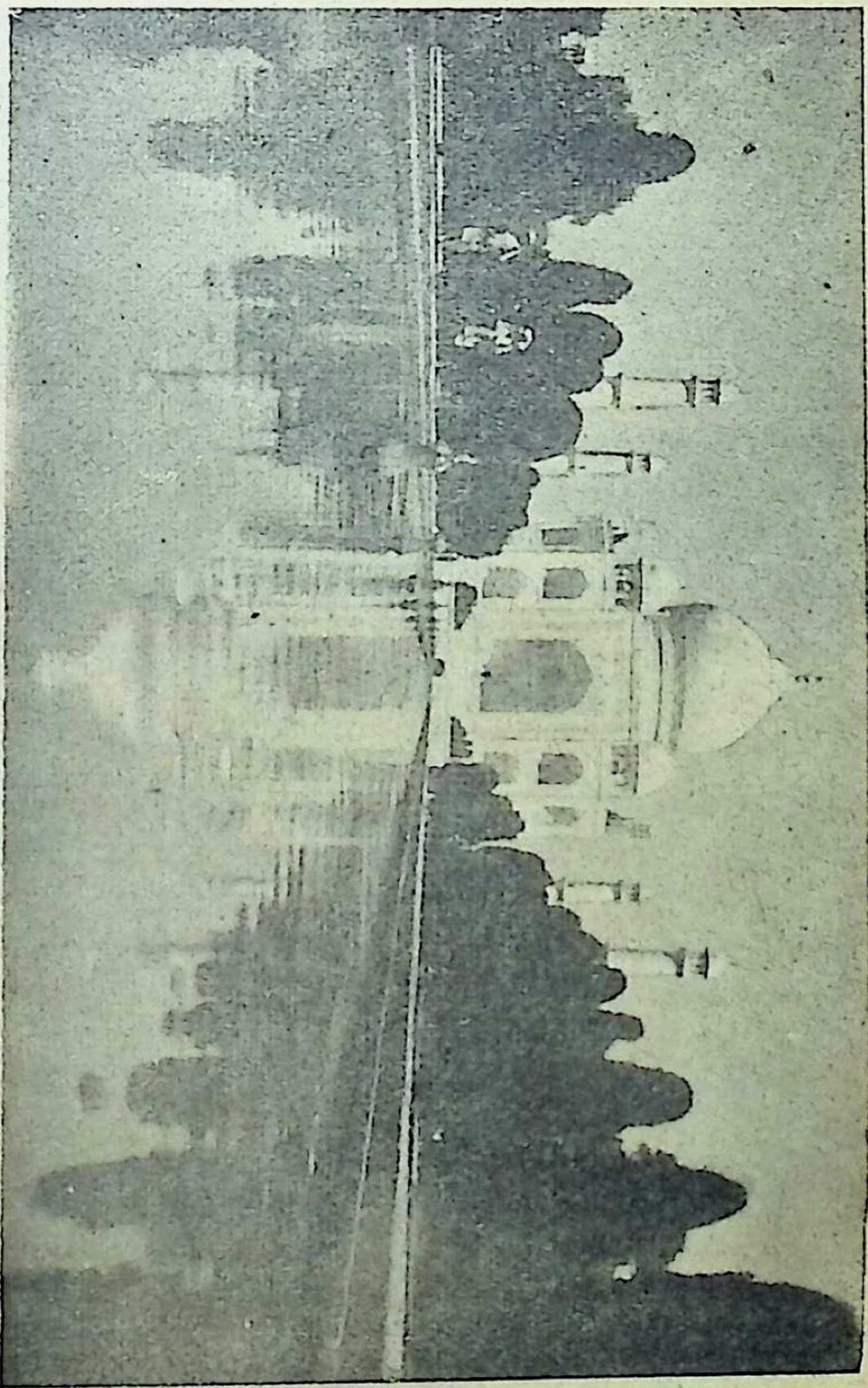


« القرداتى » فى الهند ، يداعب قرده امام بعض المارة ، ما أشبهه بزميله عندنا !

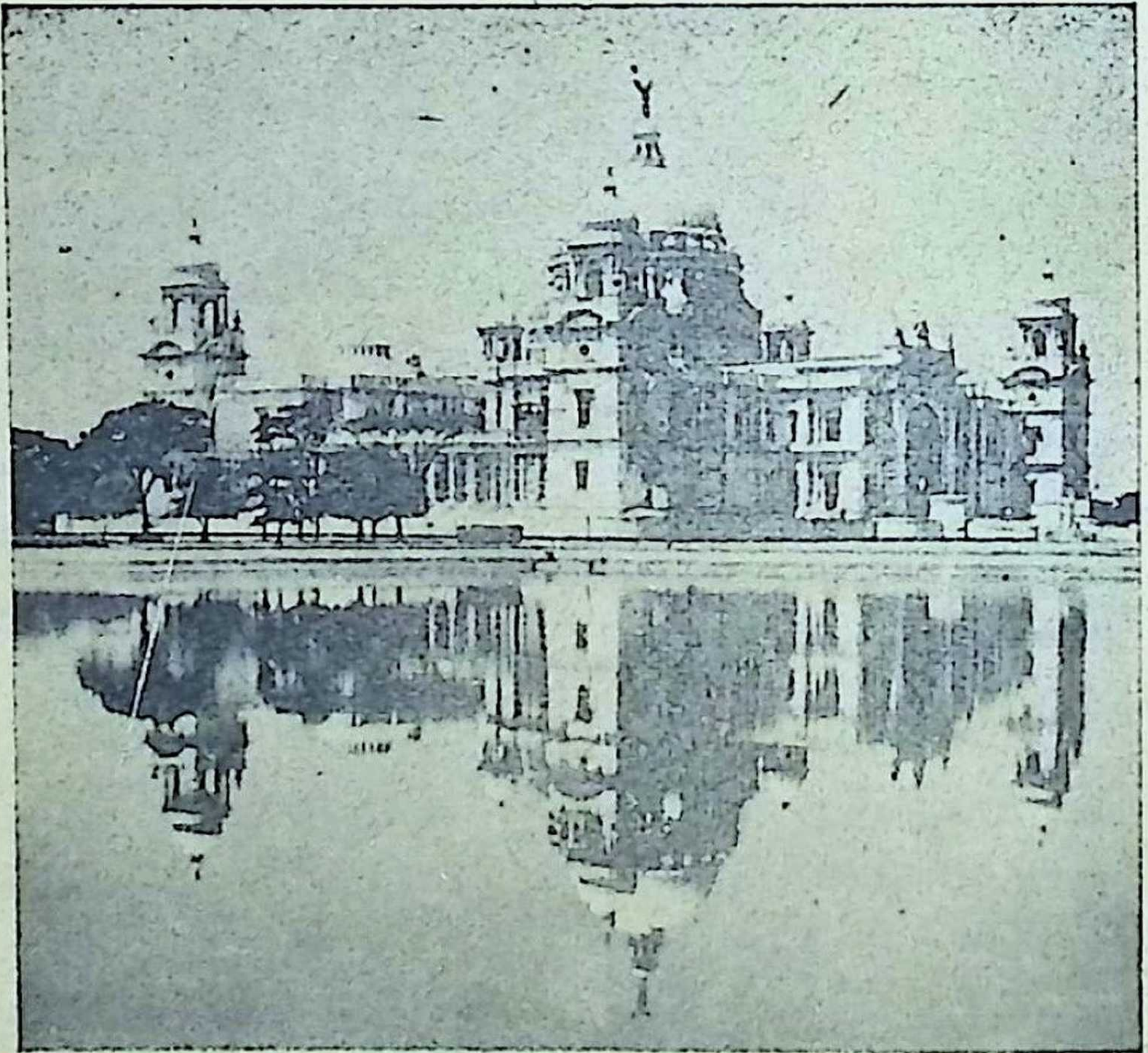
والشرفات العليا المصنوعة كلها من الرخام المفرغ كالدانتلا ، بدقة ووفرة تنمان عن بلخ وصبر عجيبين . . ومواصلة الرحلة بعد ذلك الى مقبرة « تاج محل » ، احدى عجائب الدنيا السبع الحديثة ، التي شيدها السلطان « شاه جهان » لتضم رفات زوجته المحبوبة « ممتاز محل » ، التي شاركته اعباء الحكم ولازمته في حملاته الحربية حتى أدركتها منيتها وهي تضع مولودها الرابع عشر ، فحزن عليها حزنا صار يضرب به المثل ، حتى لقد اعتزل الناس وحرم على رعاياه مظاهر السرور ، وعطل مهام الدولة ! ثم شيد لها هذه المقبرة الخالدة التي تعد معجزة خارقة من معجزات الهندسة المغولية تجلى فيها البذخ الجنوني ، سواء في المبنى الخارجى الشبيه بقصر من المرمر ، بماذنه وقبابه ومناراته ، وحدائقه ونافوراته ، او في الجدران الداخلية المرصعة بالاحجار الكريمة ، تتوسطها المقبرة التي احاطها بسور من الفضة وكساها بطبقة من الذهب بلغت زنتها نحو ثلاثة آلاف رطل . وقد صممت القبة الكبرى بحيث تعكس صدى الصوت كما هي الحال في قبة كاتدرائية (بيزا) بايطاليا ، المجاورة لبرجها المائل المشهور . وقد استغرق بناء صرح « تاج محل » العظيم احد عشر عاما - من سنة ١٦٣٠ الى ١٦٤١ - جند له خلالها عشرون الف عامل ، تحت اشراف اشهر عباقره فنون المعمار والزخرفة الذين جلبهم السلطان من اوربا وتركيا وبلاد الفرس والعرب ، فضلا عن الاخصائيين الهنود . . وقد بلغت نفقات هذه المعجزة اكثر من اربعة ملايين من الجنيهات !



ام احدثك عن (كلكتا) ، اكبر مدن الهند - (٢٥ مليون نسمة) - واضخم مركز لتجارتها مع العالم (٥ مليون طن سنويا) ؟ . . كلكتا التي عاش فيها بناء الامبراطورية البريطانية



« تاج حل » : المقبرة الخالدة التي بناها السلطان « شاه جهان » لزوجته المحبوبة « ممتاز حل » ، فمات
احدى عجائب الدنيا السبع الحديثة . وقد استغرق بناؤها ١٢ عاما (١٦٣٠ - ١٦٤١)



المبنى الفاخر الذى أقامه الانجليز فى كلكتا تذكارا لملكهم الاستعمارية
« فيكتوريا » ، وفى مواجهة من الناحية الاخرى تمثال للورد « كيرزون »
يمتد امامه بساط سمنسى اخضر جميل لا تدرك العين مداه

من الانجليز فشيدوا القصور وحلبات السباق والحدائق ،
وأقاموا التماثيل والصروح التذكارية لملكهم ((فيكتوريا))
وساستهم من غلاة المستعمرين ، ونعموا طويلا بخيرات البلاد
الوفيرة التى حرموا منها أهلها ، فجعلوا احياء سكناهم ضواحي
فاخرة للترف والمتعة ، وتركوا احياء الأهلين غاية فى الضيق
والازدحام والقذارة ! .. ثم نخرج فى جولتنا على الميناء ، حيث

تنزاحم السفن القادمة والذاهبة الى محيطات الشرق والغرب،
حاملة صادرات « القارة » الضخمة ووارداتها الآتية من شتى
الأقطار . . ونزور بعد ذلك أشهر معابد المدينة (وفي مقدمتها
معبد « باريشنات » - أو « جين » - المشهور ، ومعبد « بودرى
داس ») ، واجمل حدائقها وبحيراتها . . ثم نختم زيارتنا
للمدينة بجولة بين ملاهيها الليلية التي تقدم ألوانا من فنون
الرقص والباليه الهندية ، وفي مقدمة هذه الملاهي ملهى
« شهرزاد » الملحق بفندق « جراند هوتيل » ، الذي يقدم
لك الطعام - الهندي أو الاوربي - في قاعة رائعة مكيفة الهواء،
على انغام الموسيقى التي تعزف من مقصورة ساحرة التصميم
و « الديكور » . . ثم ملهى « نيو امباير » ، حيث تقدم الفنانة
« روشان كومارى » ألوانا من الرقص الهندي الكلاسيكى . .
ومسرح « هومايان » الذي تقدم فيه فرقة « ساشين شانكار »
الباليه الرائع : « الصياد والحدورية »

**والرقص الهندي نوع من العبادة . . عبادة الاله بحركات
صامتة وانغام تحاكي تصرفات الانسان في الحياة ، دون ما كلام
.. فرقصة « سيفا » - اله الهندوس ، والراقص الاول في
اعتبار الهنود - تمثل بعض مظاهر الخليقة . . ورغم اندساس
تأثير الثقافة الغربية في الهند ، فان الباليه الهندي كما يؤديه
أئمة من الفنانين والفنانات مثل « اوداي شانكار » و « رام
جوبال » ، ما يزال تعبيرا صادقا عن ايمان الهندوس الدينى . .
بل انه ، بلفته ذات الايماءات الخفية ، وبمصاحبة الطبول
وأدوات الموسيقى الهندية ، قد ظفر باعجاب الغرب وتقليده ،
في بعض الاحيان !**

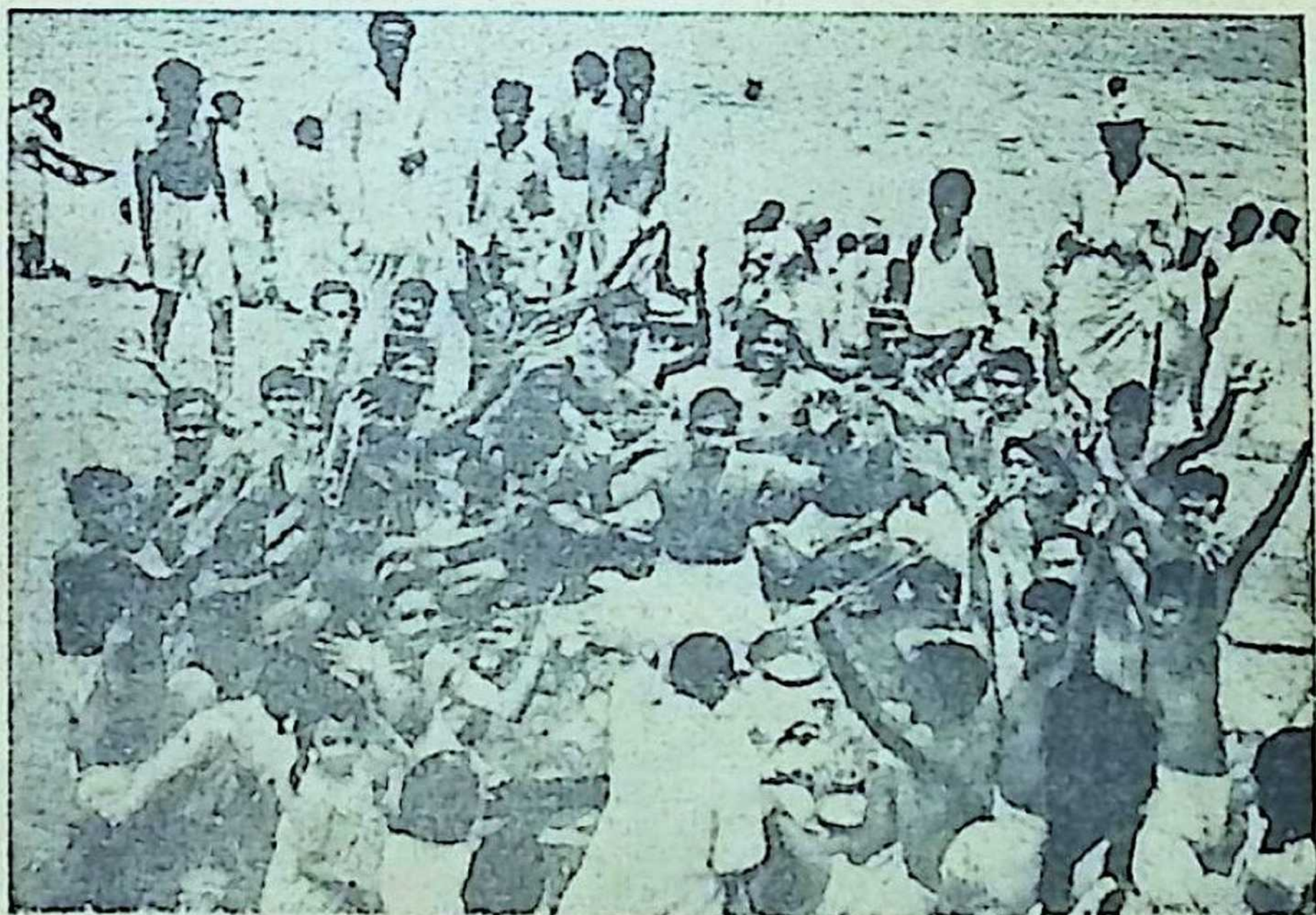
**والهندوس يؤمنون بوحدة الوجود كله . والآلهة جميعا في
نظرهم هم ممثلون متعددون للاله الواحد الأعلى « براهما » ،
الخالق . وعلى ذلك فهم يعتبرون الههم « سيفا » رمزا للموت
والحياة الجديدة التي تعقبه . . ويعتبرون « فينشو » ، الاله**



رائصة الباليه الهندية « روكمانى ديفى » ، التى طافت بالهند من قرية الى قرية تجمع من عجائز الفن القديم ماكاد يندثر من فنونهن التقليدية !
(وترى على جبهتها « شامة » الجمال الحمراء المستديرة)

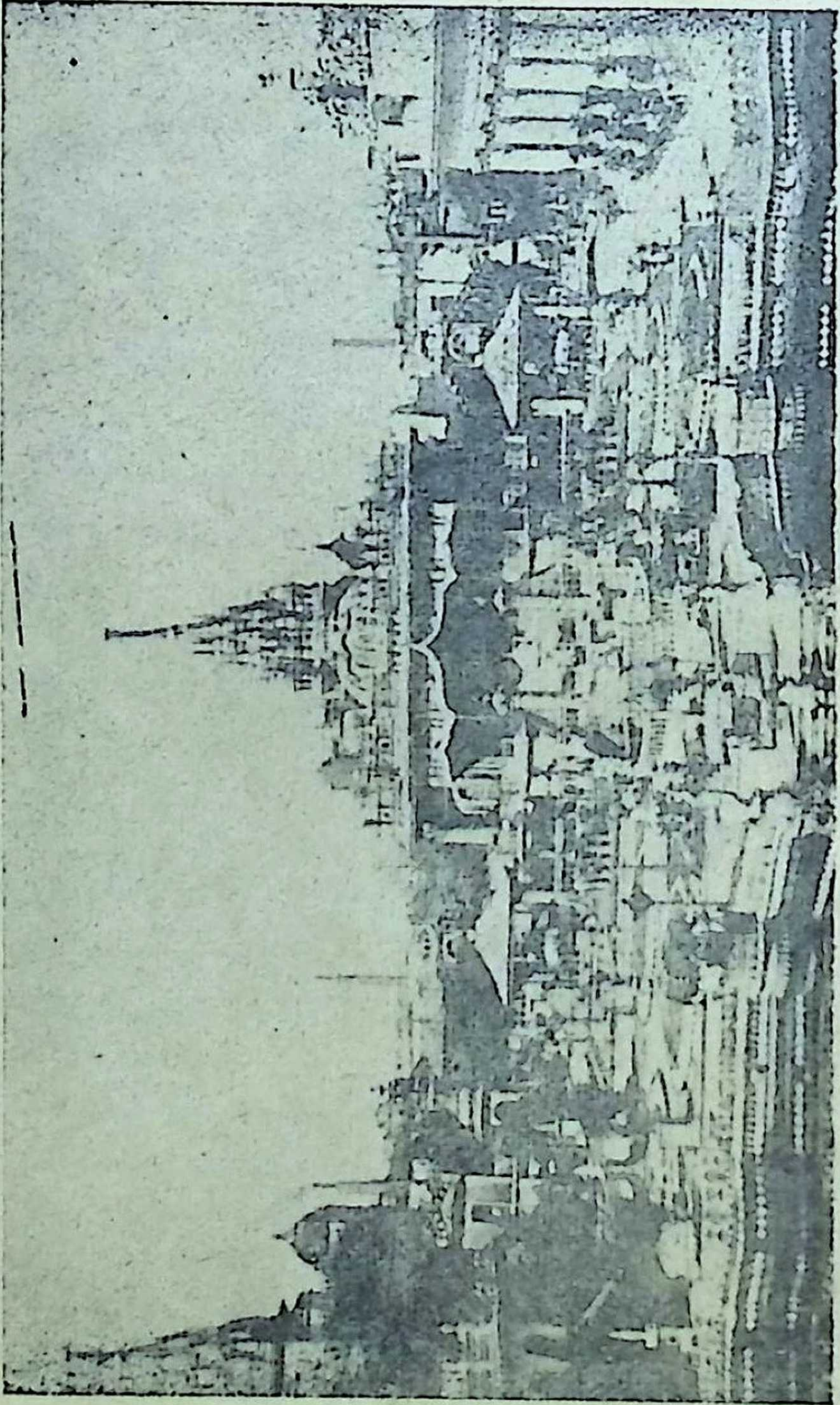
الذى يحفظهم من الهلاك .. الخ . وحياة الهندوس حافلة بالطقوس والاحتفالات والاعياد التقليدية التى تقام للآلهة .. ومن هذه الاعياد : عيد « ديبا والى » ، او عيد المصابيح ، الذى تضاء فيه الشعلات فى كل بيت .. وعيد « رامليلا » الذى يحتفل فيه بحرق تمثال يرمز الى ملك الشياطين ! .. الخ

• ولأعد من هذا الاستطراد الى الحيرة التى تملكتنى حين تهيات للكتابة : هل أبدأ بالحديث عن هذه الاربع من مدن الهند،



منظر يمثل « احتفال الخيوط » ، في يوم عيد « راكشا باندهان » ،
أحد الأعياد القومية في الهند

وعن معالمها ، وبعض طرائف من تاريخها ، وصور من ماضيها وحاضرها .. أم أحدثك أولا عن المرحلة الثانية من مراحل الرحلة .. المرحلة التي تبدأ بهبوط الطائرة في مطار (بانجكوك) عاصمة سيام ، مدينة المعابد الأثرية الهامة وسيارات التاكسي التي تسير بسرعة مخيفة - لاتدانيها سوى سرعة وتهور سائقي التاكسي في (طوكيو) باليابان ! ؟ - ولم لا أعرف (بانجكوك) بأنها المدينة التي يلهبك فيها القيظ ، في منتصف الليل - في نوفمبر وديسمبر - أضعاف ما يلهبك في (أسوان)، فتدرك لأول مرة معنى ان تكون في خط الاستواء ، ولو كنت ماتزال على بعد ١٣ درجة الى الشمال منه !
وتدين سيام - أو (تايلاند) كما يسمونها الآن - بفضل



معبد « پاریشنات » - او « جین » - المشهور بکلکتا ، وهو من اجل معابد المدينة ، وقد تجل فيه البلخ الهائل وروعة فنون المعمار والزخرفة

ادخال المدنية الحديثة اليها الى ملكها « مونجكوت » ، الذى تولى العرش عام ١٨٥١ ، والذى احتاج الى عدة سنوات كي يتخلص من تقاليد القديمة العجيبة ، التى كانت تقع فيها مسئولية ادارة « المطبخ الملكى » مثلاً على عاتق سبعة من « الضباط » ! وكان البلاط مزدحماً بعدد كبير من الاشخاص الذين يتقاضون مرتبات كبيرة ، مقابل عمل ضئيل : كان من بينهم عدد من الصائغين الاخصائيين فى صياغة الحلوى ، وعدد آخر من السحرة ، والفلكيين ، فضلاً عن قسم خاص يتألف من الاخصائيين فى الحلاقة وتصفيف الشعر !

ويصل تعداد السفن التى تفرغ شحنتها وتعبأ فى ميناء بانجكوك الف سفينة فى العام ، توزع على اربعة يبلغ طولها تسعة اميال ، وعدد كبير من هذه السفن يحمل اخشاب « الساج » ، أو « الدلب الهندى » ، وهى اخشاب صلبة تعيش نحو ألفى عام ، وتستعصى على النمل الابيض ! . . ومن اجمل المعالم فى منطقة بانجكوك برج « وات آرون » الجميل ، الذى يبلغ ارتفاعه ٢٤٣ قدماً . وعلى بعد ٤٠ ميلاً الى الشمال من العاصمة ، فى جزيرة تتوسط النهر ، يقع القصر الصيفى للأسرة المالكة . . ومن اشهر امثلة الهندسة السيامية « بافيون ايزا وانيتبات » المشيد على اعمدة فى وسط احدى البحيرات !

ولنتوقف عن الاسترسال عند هذا الحد ، فانى اكاد اسمعك تقول : « دعنا من سيام الآن ولنواصل رحلتنا الى الصين واليابان ! » . . فتعال نستقل الطائرة من بانجكوك ، كي تهبط بنا بعد نحو خمس ساعات فى مطار ضيق « محشور » بين الصخور الناتئة من كل جانب ، حتى لتخال جناحى الطائرة يوشكان ان يصطدما بها وهى تهبط هبوطاً شبه عمودى الى المطار ! . . وهى عملية خطيرة جعلت شركات الطيران تحرم

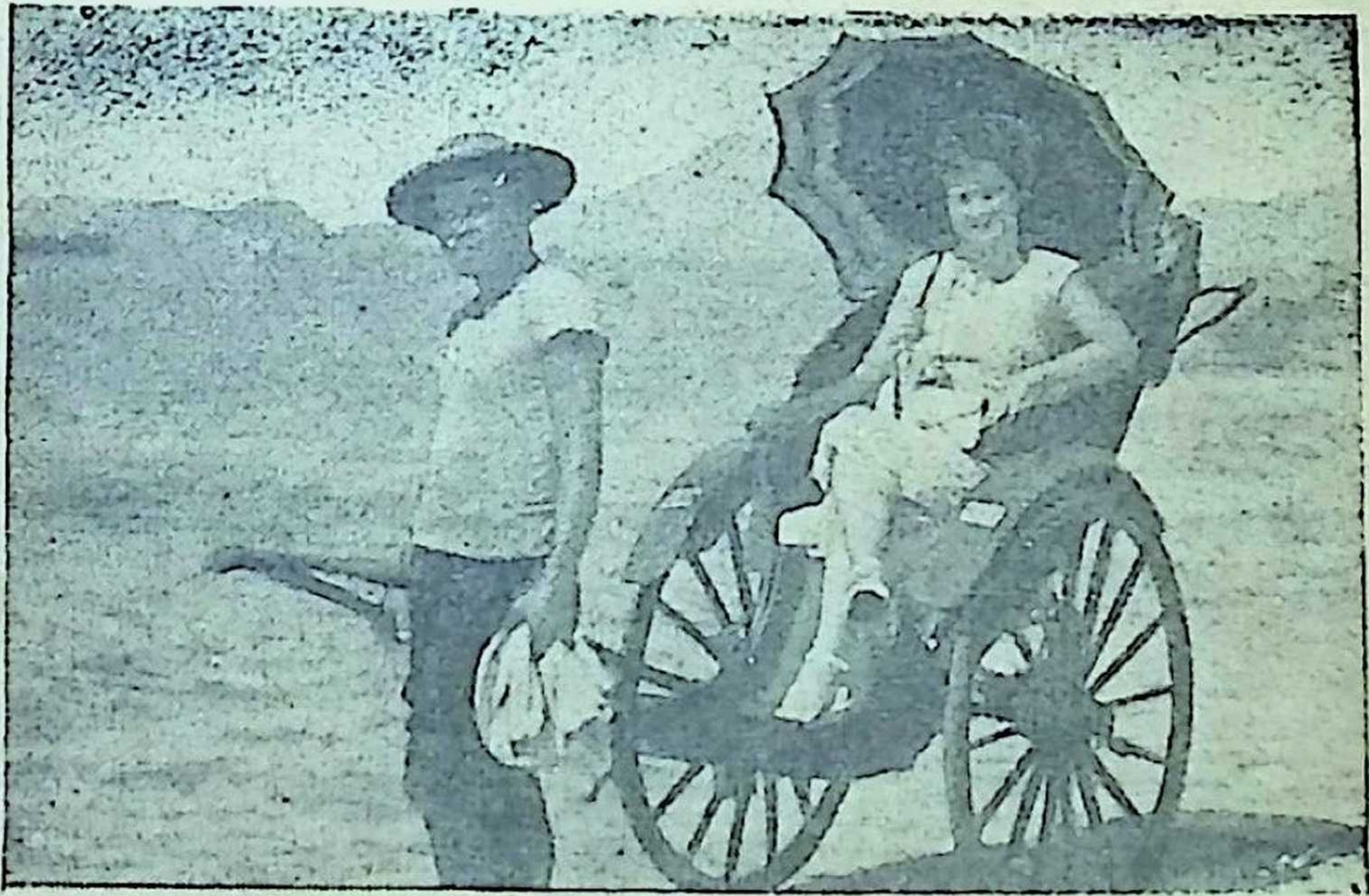
الهبوط أو الصعود من ذلك المطار اثناء الليل وتقصره على ساعات النهار .

هونج كونج : جنة يسكنها شياطين !

نحن الآن في جزيرة (هونج كونج) ، المستعمرة العجيبة التي يسكنها صينيون ويحكمها انجليز . . . ويؤمها السياح ، وطلاب اللهو ، وقناصو الصفقات التجارية ، من شتى انحاء الارض ! . . . انها مدينة الترف الزائد والفقر المدقع في آن واحد - شأن كل بلد يحط عليه غراب الاستعمار ! - والترف بطبعه يغرى بالاغراق في اللهو ، والفقر من الجانب الآخر يلجئ الى التحلل من كل المقاييس والقيم الخلقية في سبيل لقمة الخبز . . . ومن هنا كان نصف الصينيين الفقراء من أهل المدينة قوادين وتجار ملذات ، يلاحقونك بعروضهم في كل خطوة تخطوها ! في الشارع يتبعك سائق « الريكشو » - العربية ذات المقعد الواحد التي يجرها آدمي ! - فاذا لم تتركب سار بعربته بمحاذاةك مئات الامتار ، يحدثك عن فتنة نساء الصين ، ويعرض عليك ان يملكك الى حيث ترى بنفسك وتحكم ، ولا خرج عليك في ان تعود دون ان تدفع شيئا ، اذا لم تعجبك « البضاعة » !

ويظل الرجل يلح عليك - دون خجل أو ملل ! - حتى يوصلك الى باب الفندق الذي تقطنه ، وهناك يبذل محاولته الاخيرة فيكرر مميزات الصفقة على مسمعك - ومسمع المارة والشرطة ورجال الفندق - جهارا نهارا . . . ولا يدركه اليأس الا حين تختفى عن ناظريه وراء باب الفندق ، وعندئذ . . . يستدير كي يلاحق بعروضه شخصا آخر في الطريق !

فاذا دخلت غرفتك في الفندق - اي فندق في هونج كونج ! - وطلبت قدحا من الشاي أو القهوة ، انتهز خادم الفندق



حسناء تتركب عربة « الريكشو » ، (حنطور) هونج كونج التي يجرها آدمي ! (يعمل في الوقت نفسه قوادا ، او «سمسارا» لبيوت الدعارة !)



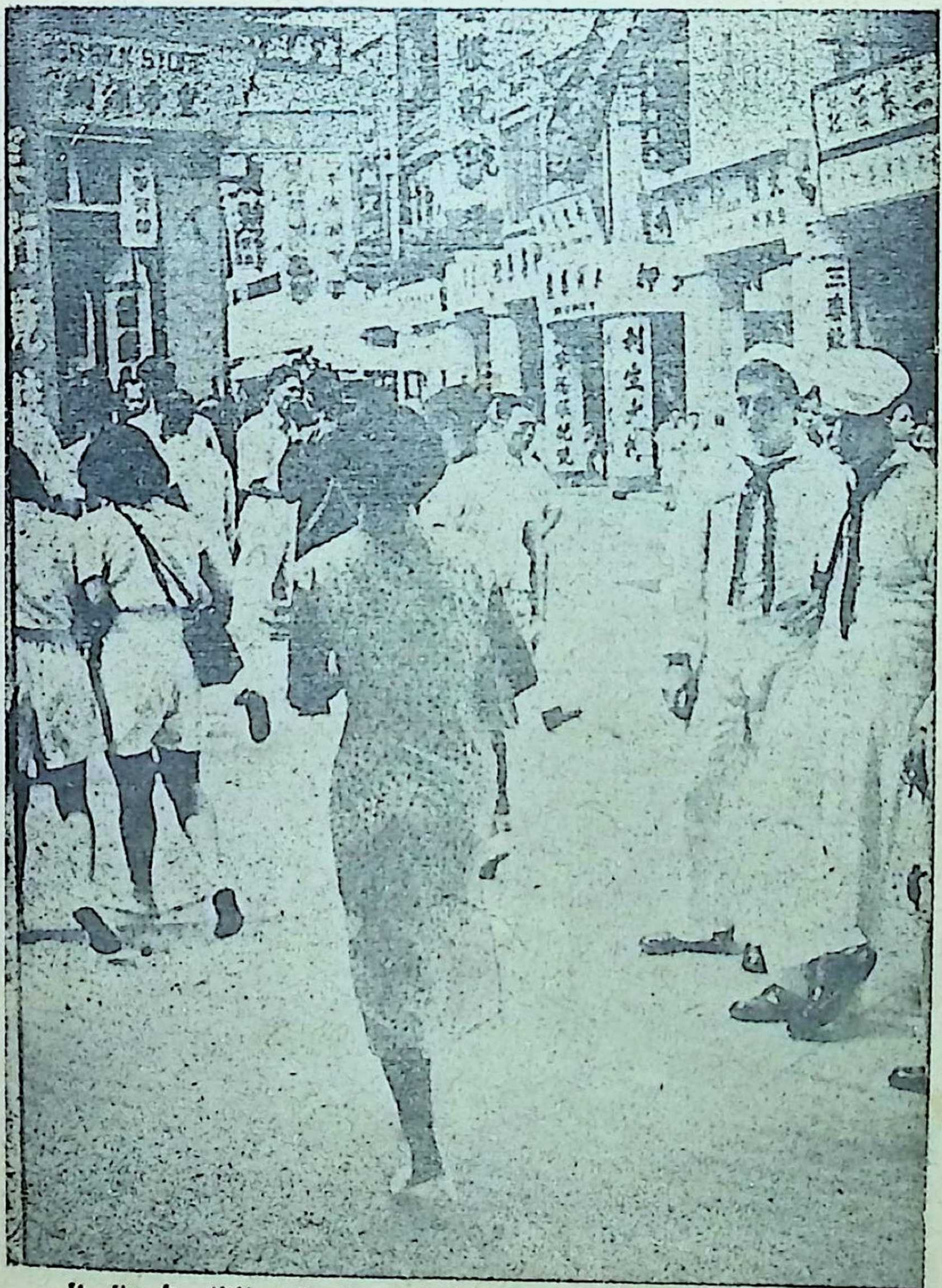
عشرات من عربات « الريكشو » في موقفها باحد الشوارع



حسنة صينية من (هونج كونج) ،
حيث تلبس الصينيات جميعا أثوابا
مشقوقة من الجانبين، تظهر الفخذين
عاريين، سواء أثناء المشي أو الجلوس!

الفرصة فسالك - في بساطة -
ان كنت ترغب في ان يحضر
اليك حسنة صينية كي تقضي
الليلة معك .. في الفندق ! ؟
والظاهرة الاخرى الصارخة
في ذلك الميناء العجيب الذي
جعله الانجليز منطقة حرة ،
معفاة من الجمارك ، يباح فيها
تداول النقد الاجنبي من جميع
الانواع بواسطة صيارفة تزدهم
بهم الحوانيت على قارعة
الطريق - كما هي الحال في
(بيروت) - الظاهرة الاخرى
الصارخة في هونج كونج ، الى
جانب الدعارة ، هي التفاوت
(المزيج) في اسعار السلع بين
متجر ومتجر ، وحنوت وآخر
.. فالمساومة الكريهة هي

قانون البيع والشراء هناك ! .. وبحكم الانخفاض الكبير في
اسعار كل ما يخطر ببالك من السلع المستوردة من شتى اقطار
العالم - نتيجة لاعفائها من الجمارك - ينتهز التجار فرصة
غفلة السائحين عن درجة انخفاض الاسعار في المدينة بالنسبة
للأسعار في بلادهم ، ويفتالون نصف الفروق ، اعتمادا على
قناعة السائح بالنصف الآخر ، بل وفرحته به .. فاذا كانت
السلعة تباع في وطنه بما يوازي مائة قرش مثلا ، ووجدتها في
احد حوانيت (هونج كونج) بسبعين قرشا ، فانه يخططفها
فورا وهو يغبط نفسه على هذا السعر .. لكنه لا يكاد يسر



اينما تسير المرأة الصينية في هونغ كونج ، تجذب انظار الرجال الى
فخذها العاريين من بين ثيابا ثوبها المشقوق ، حيث تعلقت نظرات
هذين البحارين الاجنبيين !

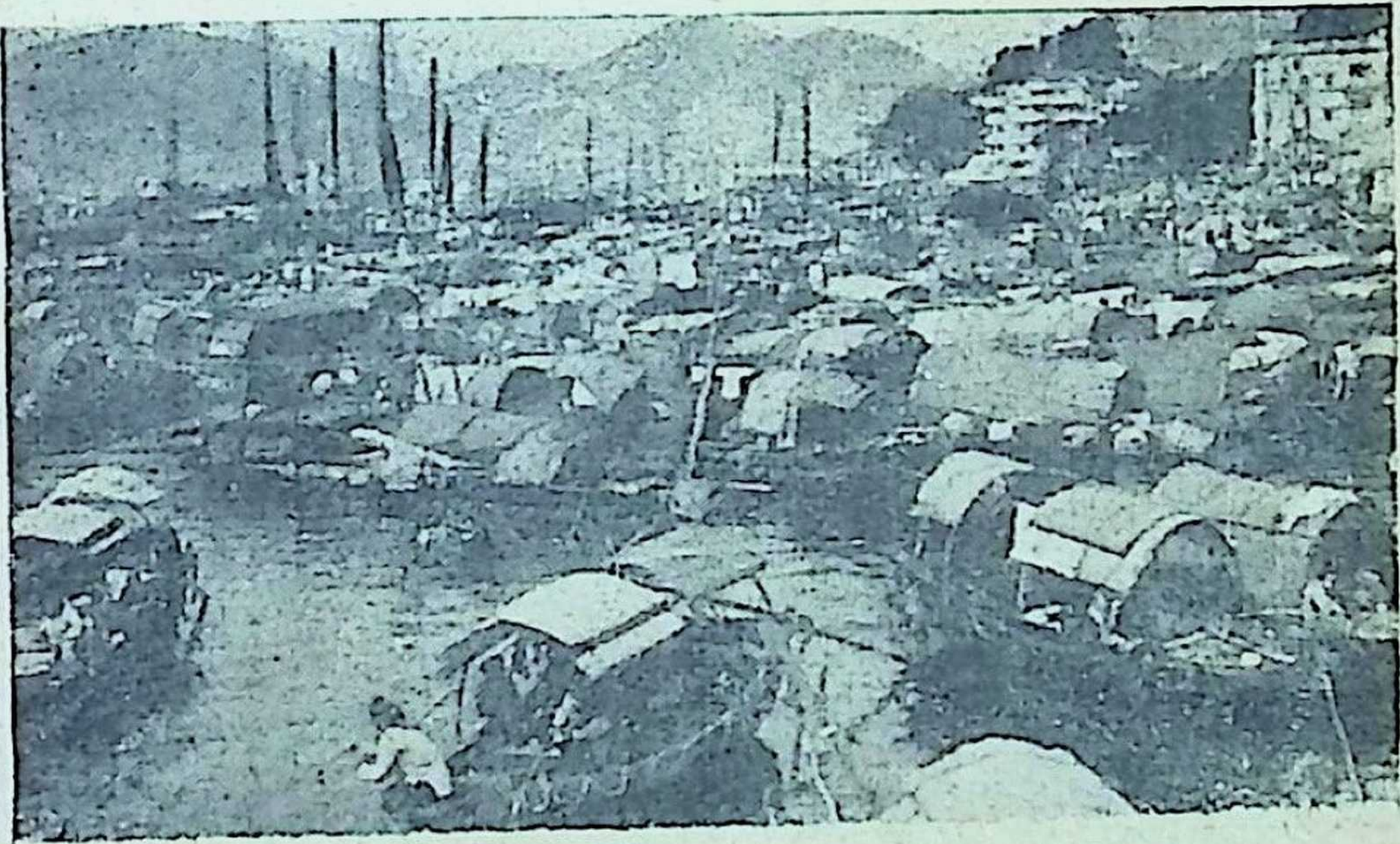
خطوات حتى يلمحها معروضة في حانوت آخر بستين قرشا ..
 وإذا ساوم الشاري كل بائع على حساب منافسيه ، واستخدم
 سلاح المقارنة بأسعار غريمه التاجر الآخر ، فقد يحصل على
 السلعة ذاتها آخر الأمر بأربعين قرشا فقط ! .. وأغلب الظن
 أن من العوامل التي تغري التجار هناك باعتناق سياسة المساومة
 والتفاوت الكبير بين الأسعار ، اعتمادهم على ضيق وقت
 السائح العابر وتعجله ، الأمر الذي لن يتيح له في الغالب أن
 يدقق ويحقق ويقارن بين الأسعار !

هذا هو الجو العجيب - الحافل بالمفارقات ! - الذي يسود
 الحياة في (هونج كونج) : ترف ، وتسلوول .. بذخ ،



حسنا، صينية مترفة ترندى
 «البيجاما» في حديقة دارها بهونج كونج

واذلال للأدمية .. قصور
 شامخة يقطنها اصحاب
 ملايين ، انجليز وصينيون ،
 (وبعض الآخرين يخصص
 لكل زوجة من زوجاته
 العديدات طابقا من قصره ،
 او يشيد لكل منهن قصرا
 على حدة !) .. وفي الجانب
 المقابل : صيادون فقراء
 لا مأوى لهم غير قوارب
 الصيد ذاتها ، يقطنون فيها ،
 ياكلون وينامون ، ويولدون
 ويموتون ! .. (ولعل من
 سخرية الاقدار - وما ينطبق
 عليه المثل القائل بأن لكل
 سيئة حسنة ! - ما حدثني



١٢٠ ألفا من سكان هونج كونج يعيشون في هذه القوارب !

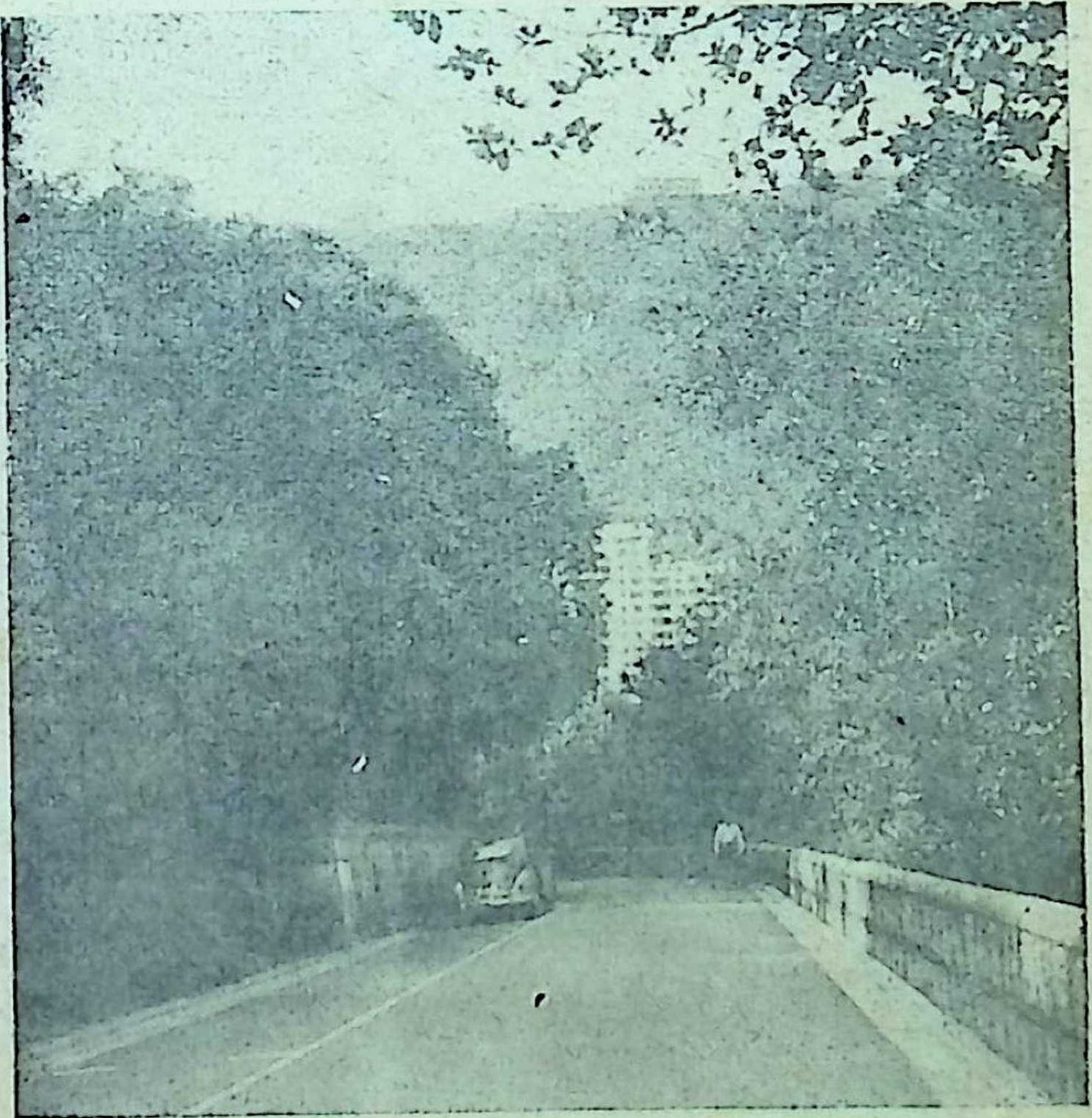


اسرة من ساكنى القوارب تدلف الى « بيتها » !

به أحد أطباء هونج كونج ، من ان الاحصاءات قد دلت على كثرة عدد المعمرين بين أولئك الصيادين الفقراء ، وقد علل الطبيب هذه الحقيقة بأن حياتهم الهادئة المستقرة ، الخالية من كل اعتبار للزمن أو ارتباط بمواعيد للعمل أو الخروج أو العودة ، قد حماهم من الامراض التي تنجم عن الانفعالات ودواعي الانزعاج التي تجلبها الحياة العصرية المعقدة ، وفي مقدمة هذه الامراض قرح المعدة والانهيارات العصبية و .. الخ)

وأعود الى اكمال الصورة التي بدأتها لتلك المستعمرة العجيبة : ان كل ما ترى أو تسمع فيها يوحى بالانحلال ، والابتذال ، والمساومة .. مساومة في الاعراض ، ومساومة في السلع .. لا صدق ولا شرف ولا مبادئ ، وانما نهب وسلب ودعارة ، وشائعات عن عصابات تستدرج طلاب اللهو الى اوكر بعيدة تسلب فيها نقودهم وثيابهم ثم يلقي بهم الى عرض الطريق ، عراة ، غائبين عن الوعي !

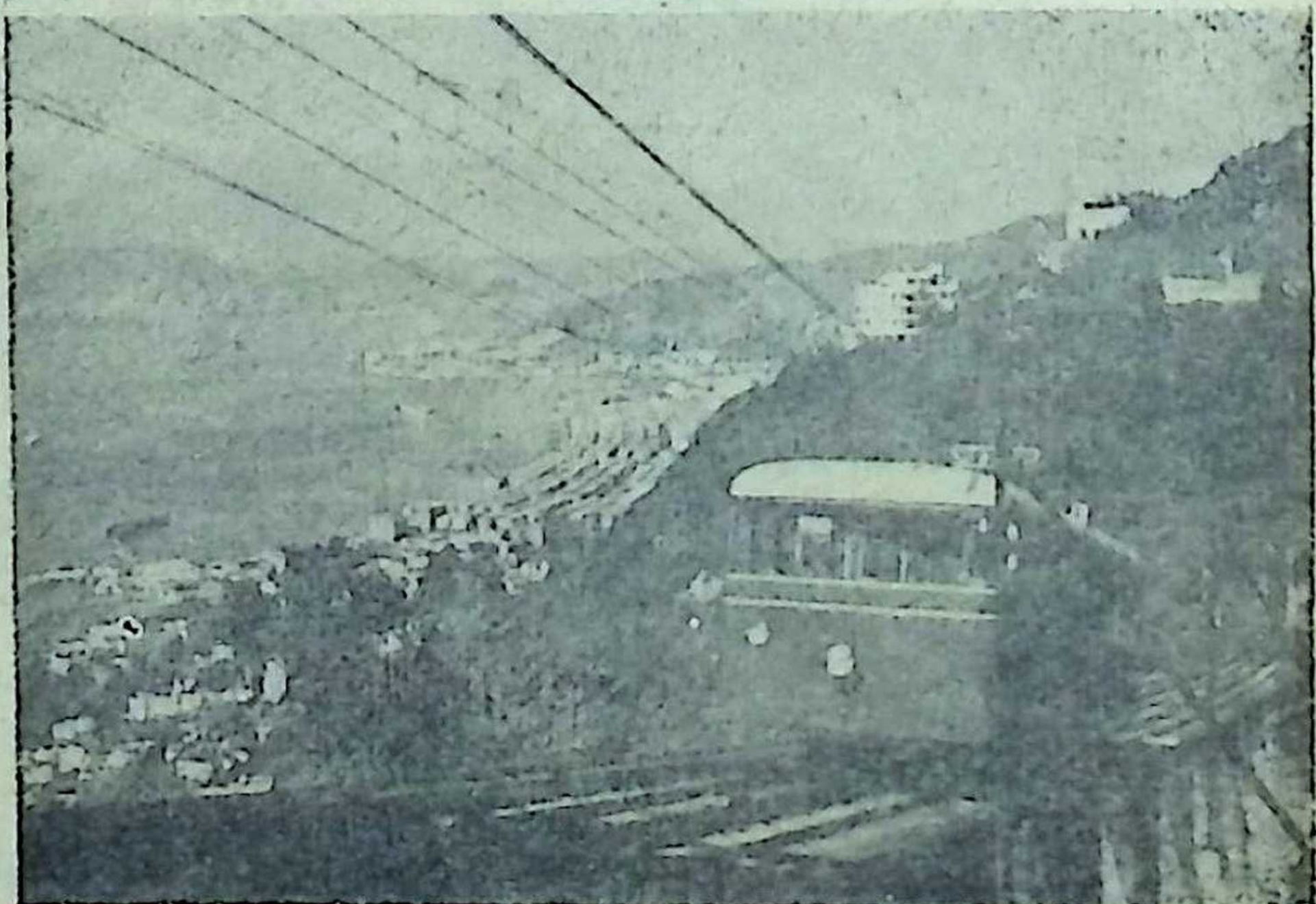
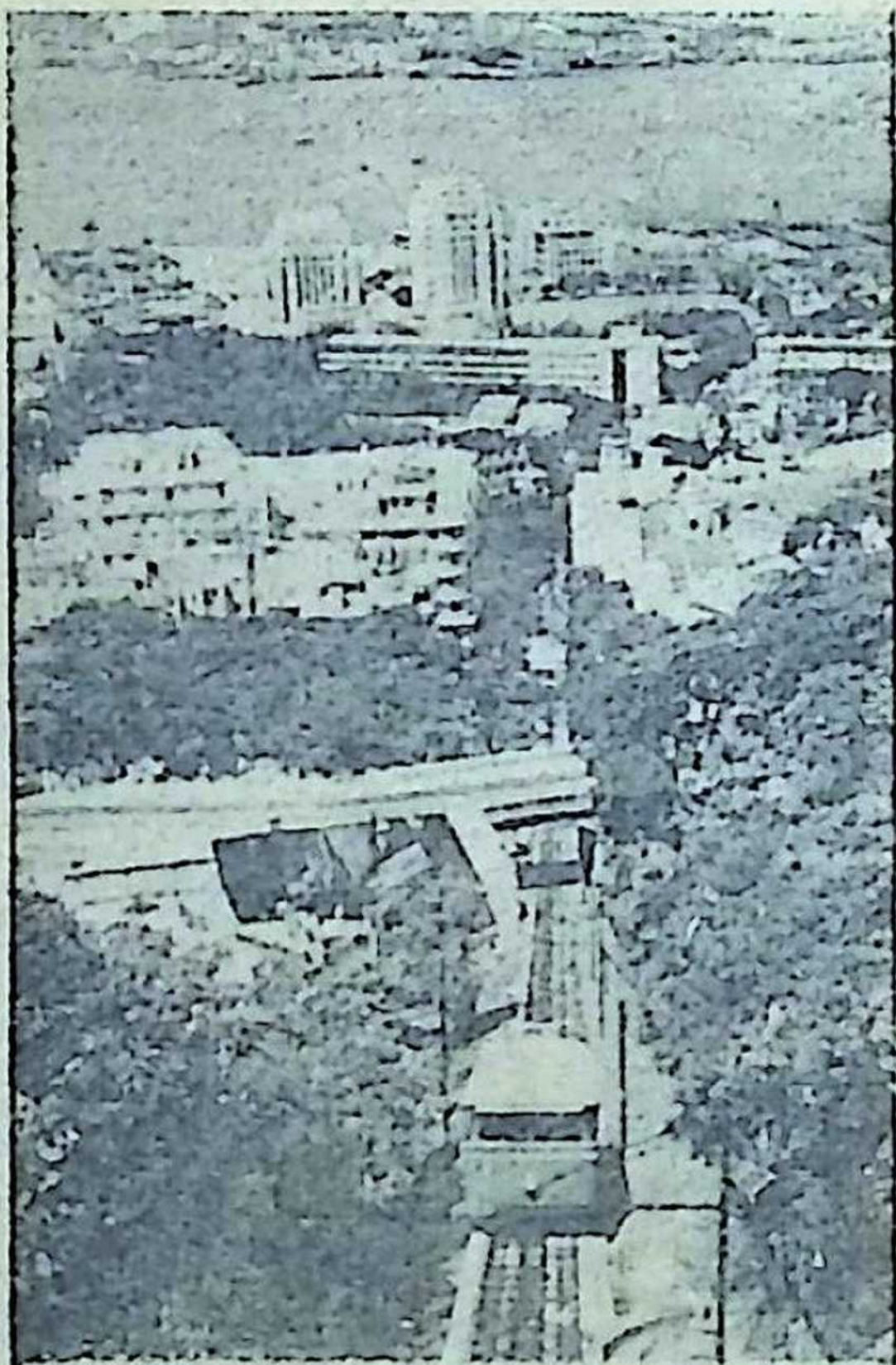
على ان « للاسطوانة » وجهها الآخر ، المشرق .. فاذا غضضنا الطرف عن الاخلاق ، ألفينا للمكان طابعا آخر - جد مختلف - وصورة يغلب عليها الجمال ، والجمال النادر ! .. جمال الطبيعة ، والجمال المصنوع .. جمال الطقس الربيعي الساحر ، والهواء المنعش الذي يهب من البحر ، والروابي الخضراء التي يتسلق الى قماتها « كورنيش » دائري ملتو ، أملس كالحرير ، أشبه بثعبان طويل فضي قد التف حول هضبة عالية خضراء ، تناثرت على سفوحها وفي منعطفاتها القصور والفيلات ، بل والعمارات السكنية الفاخرة ، ذات الاجور « الخيالية » ! .. واذا شئت ان تختصر الطريق الى قمة الهضبة أو الجزيرة - التي ذكرني كل ما فيها بشبهتها الايطالية جزيرة « كبرى » ! - ففي وسعك بدلا من استخدام



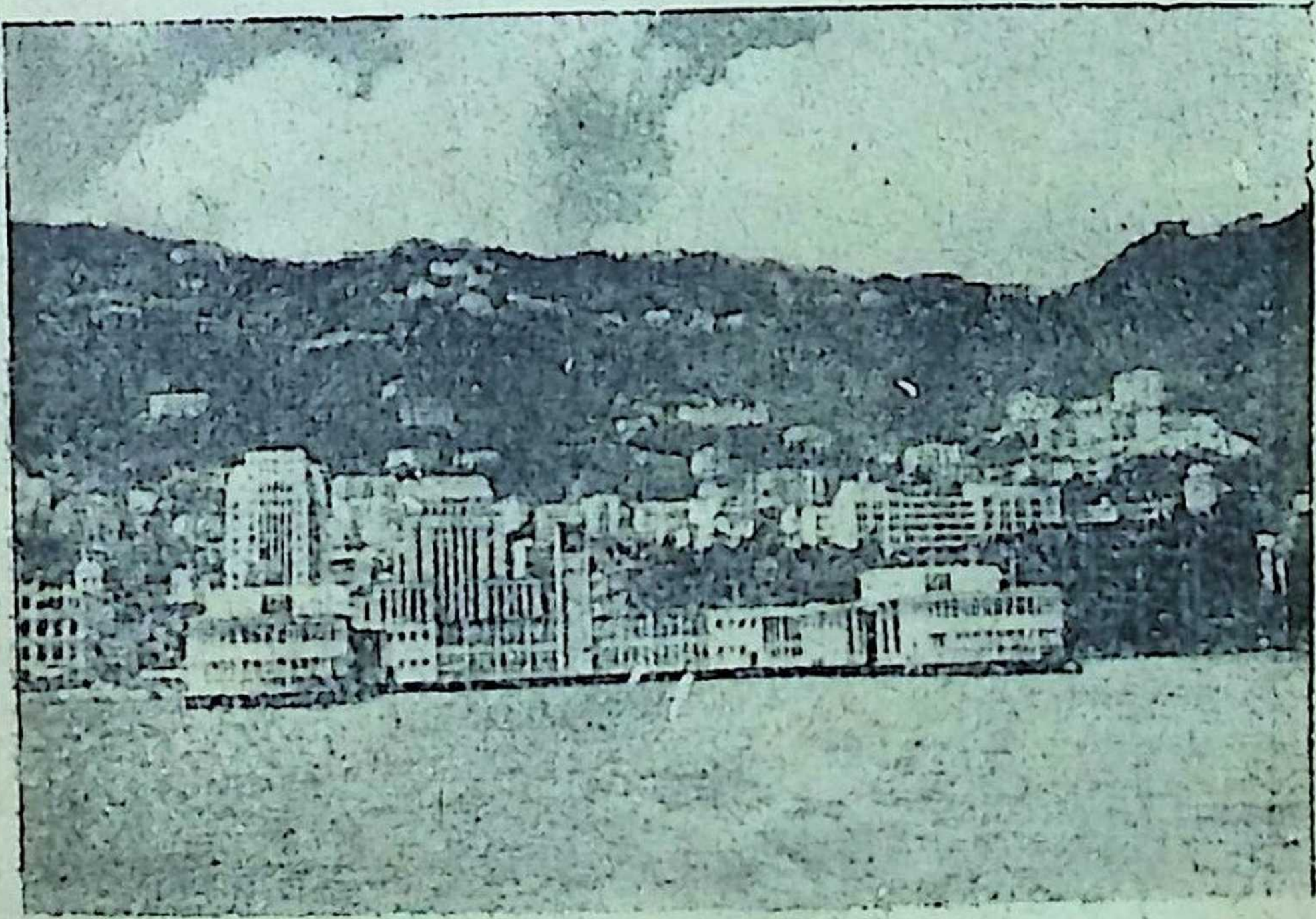
الطريق الشعباني الجميل الذي يتسلق الجزيرة الى قمته ، تحف به الغابات • وترى من بعد احدى العمارات المشيدة على السفح • وفي أعلى الصورة عمارات أخرى بعيدة فوق القمم العالية من الجزيرة

السيارة. ان تستقل الترام المتسلق الذي يصعد بك الى القمة في دقائق ، وكأنه حيوان يزحف على بطنه متسلقا الصخرة بزاوية لا تقل عن ٤٥ درجة ، مستعينا على هذا التسلق الوعر بفرس مخالفه في الارض كلما صعد خطوة ، تفاديا للسقوط!.. أما في النزول ، فانك تخاله يوشك ان ينزل بك الى هوة ليس

الترام الجبلى الذى
 يتسلق الجزيرة الى قمته
 (١٨٠٠ قدم) فى عشر
 دقائق ، مارا بثلاث
 محطات تعتبر كل منها
 بمثابة طابق من طوابق
 الجزيرة به شوارع
 و « فيلات » فاخرة .
 ويرى فى منتصف الصورة
 الطابق الاول منها ، بينما
 التقطت الصورة ذاتها
 من الطابق الثانى . وفى
 اسفل : صورة اخرى
 التقطت من قرب للترام
 المذكور ، واجر التذكرة
 به الشخص ٣٥ مليما
 بعملة مصر .

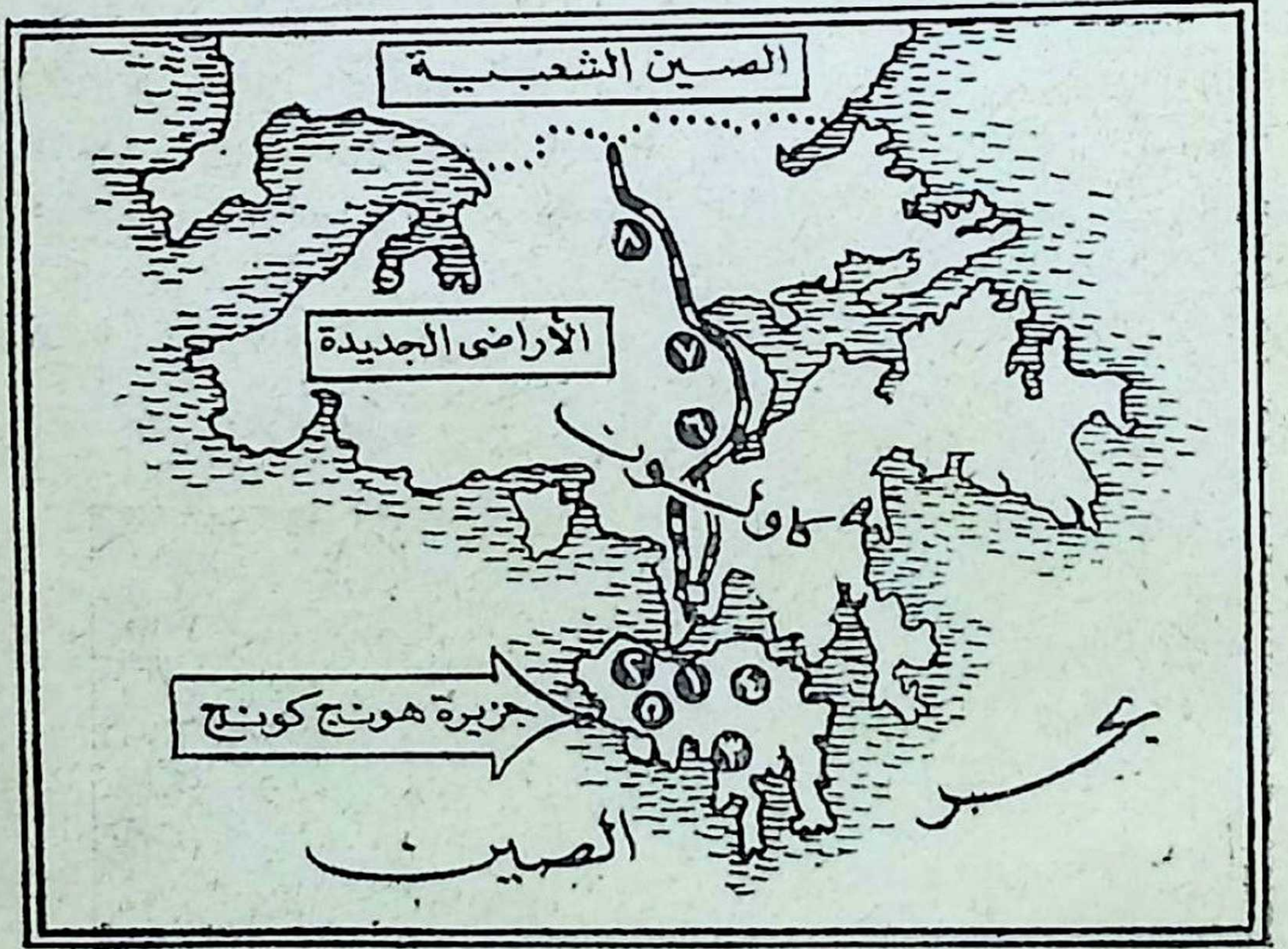


لها قرار ، وكأنك تمارس رياضة الانزلاق من قمة جبل من
الجليد ! فاذا بلغت قمة الجزيرة الصخرية الشاهقة ، أشرفت
على منظر رائع قل نظيره في العالم ، تتناهب ناظريك فيه عدة
مرئيات ينافس بعضها بعضا في السحر والجمال : سفوح من
الغابات والحدائق ، ترصعها الدور والقصور . . وبحر يلحق
أقدام الجزيرة في خشوع ، متعبدا لجمالها ، وعلى مياهه الزرقاء
تتهادى - ذاهبة آية - ناقلات أنيقة للركاب ، تحملهم في
دقائق من الجزيرة الى المدينة المكملة لها على الشاطئ الآخر
القريب . . وبالعكس . (ويطلق على تلك المدينة المقابلة اسم
(كاولون) ، وعلى الجزيرة اسم (هونج كونج) ، ولكن



منظر عام لجزيرة هونج كونج كما تبدو من شاطئ مدينة (كاولون)
المقابلة لها ، (ويفصل بينهما ميل واحد من البحر) . وترى في صدر
الصورة عمارات البنوك والمؤسسات الضخمة ، وفوق السفح « فيلات »
الاثرياء وقصورهم

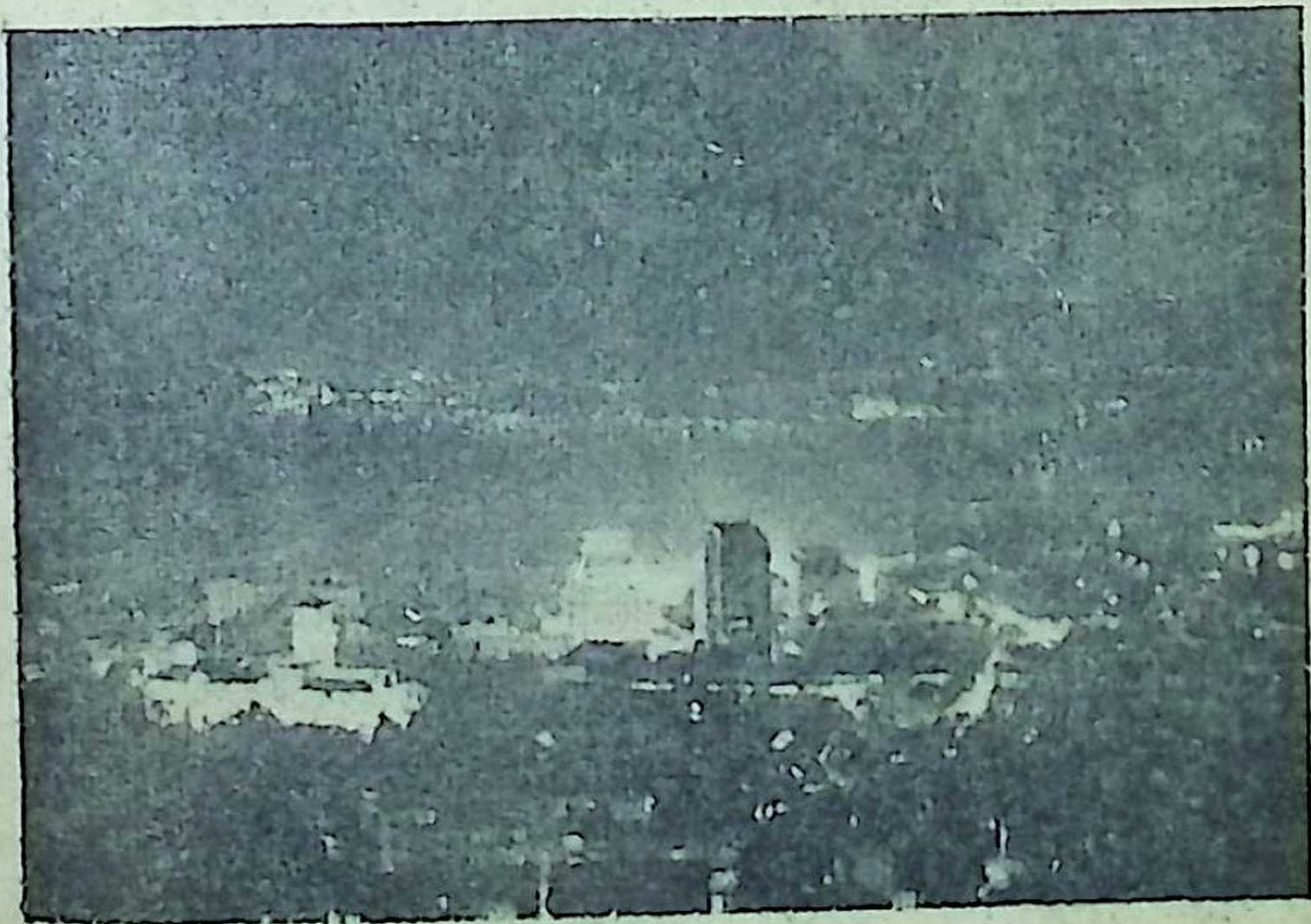
مستعمرة هونج كونج تشمل كلاهما ، بل تمتد وراء كاولون
أميالا عديدة يقطعها القطار في نحو ساعة حتى يبلغ حدود
الصين الشعبية . والواقع ان كاولون وهونج كونج تعتبران
نصفين لمدينة واحدة ، مثل بور سعيد وبور فؤاد (



خريطة تمثل جزيرة (هونج كونج) ، التي يفصلها ميل واحد من
البحر عن توأمها أو نصفها الآخر المكمل لها (كاولون) . وتعتبر
الآخرة الطرف الجنوبي لقارة الصين ، وإلى الشمال منها بقية (الأراضي
الجديدة) التي يحكمها الانجليز ، تليها حدود « الصين الشعبية » .
وفيما يلي بيان بعض معالم المستعمرة :

- (١) محطة الترام الجبل . (٢) قمة الجزيرة . (٣) شاطئ (ريبالس
باي) الساحر (٤) حديقة « بلسم النمر » (٥) قرية (أبردين) .
(٦) محطة سكة حديد (شاتين) (٧) محطة (تايبو) (٨) محطة
(فانلنج) .

واذا كان المنظر من قمة الجزيرة يبدو ساحرا في النهار ،
فان سحره يتضاعف في الليل ، حتى لتشعر وانت تتأمله بمزيج
من الرهبة والنشوة ، تود معهما لو توقف الزمن عن سيره
فأتيح لهذا المنظر الخلاب ان يثبت امام ناظريك . . الى غير
نهاية ! . . كيف لا وانت ترى شاطئين متقابلين يتوامضان
بالأنوار ، من جميع الألوان . . أنوار الشوارع ، والافتات
الحمراء والخضراء الحيوانية ودور الملهى الليلية ، والاعلانات
التجارية ، وأنوار السفن المتألئة ، والذهبية الآيلة بين الشاطئين
. . وأنوار المساكن المتناثرة على السفح والشوارع المدرجة التي
تؤلف سلما هائلا من مئات الدرجات ، يصل بين شارعين
متوازيين يرتفع احدهما عن الآخر عشرات الأمتار !

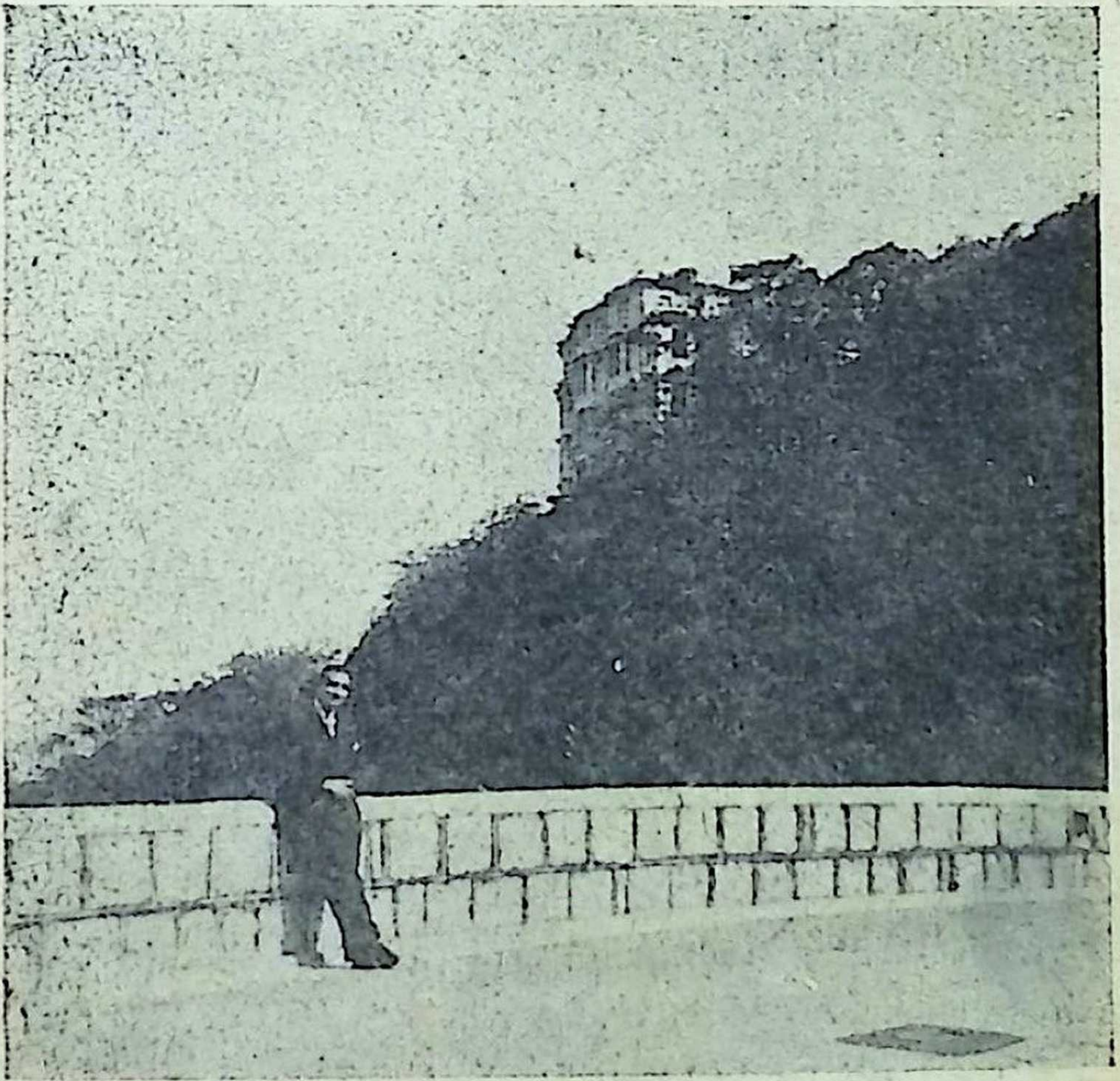


هونج كونج كما تبدو ليلا من قمة الجزيرة ، (من الخلف) .
وترى في مواجهتها مدينة (كاولون) ، وبينهما البحر

وكما يحلو للناظر ان يتأمل المنظر الساحر من فوق القمة ، فان شغفه به يبلغ غايته وهو يهبط منها الى أسفل الجزيرة ، سواء بالترام أو بالسيارة ، فعندئذ يلوح له المنظر لحظات ، ثم يختفى وراء منعطف ، ثم يعود فينبسط أمامه من جديد في سناء باهر ، لا تملك عين راته أن تنساه ! . . فاذا هبط الى الشاطئ واستقل الناقلة المائية الى الشاطئ الآخر ، ثم استدار ليواجه الجزيرة وهو يتعد عنها ، لاح له السفح المتألىء لوحة خالدة تنطق بالجلال والابداع !

وهونج كونج ، بقسميها - سواء الجزيرة أو نصفها الآخر المسمى (كاولون) - تضارع في شوارعها ، وحوانياتها ، ومبانيها ، ونظافتها ، أجمل مدن أوربا . وقد خيل الى وانا أسير فيها لأول مرة انى أسير فى إحدى مدن شمال إيطاليا أو النمسا ! . . واذا عبرت البحر من الجزيرة نحو الشمال الى (كاولون) ، وهى الشاطئ الجنوبي لقارة الصين المترامية الاطراف - وتقطع الناقلة المسافة بين الشاطئين ، وتبلغ نحو ميل ، فى اقل من عشر دقائق) - ثم هبطت من الناقلة لتستقل من امام محطتها سيارة الاتوبيس رقم ٦ ، فان السيارة ستسير بك اكثر من نصف ساعة فى شوارع واحد عريض مستقيم ، جميل التنسيق ، تحف به من الجانبين آلاف الحوانيت الفاخرة التى تعرض أرقى وأرخص منتجات العالم ، وتتخلل هذه الحوانيت مئات المسارح ، ودور السينما ، والملاهى الليلية - التى تقدم مزيجا من الفنون الصينية والاوربية - ومئات اخرى من الفنادق ، تستقبل كل يوم فى المتوسط نحو اربعة آلاف سائح قادم بطريق البحر - من شتى اطراف المعمورة - وخمسمائة سائح بطريق الجو ، الى جانب القادمين بطريق البر من الصين الشعبية

ولك ان تتصور ضخامة الحركة التجارية فى المدينة ، اذا



كورنيش هونج كونج الجبل ، المشرف على البحر ، تطل عليه
من عل دار حكومية اقيمت فوق قمة تكسوها الغابات

علمت ان البضائع التي افرغت أو شحنت من مينائها خلال عام
١٩٥٦ ، سواء من الواردات أو الصادرات ، بلغت ٢٥٥ مليون
طن ! - (قدرت الواردات منها بنحو ٢٧٠ مليون جنيه
استرليني ، والصادرات بنحو ١٩٢ مليون جنيه) - وان مساحة
الميناء المذكور نحو ١٧ ميلا مربعا . كما تستطيع ان تتصور
ضخامة حركة المواصلات بين قسمة المدينة (اي بين كاولون
والجزيرة) ، اذا علمت ان متوسط عدد الركاب الذين تقلهم

لناقلات المائىة بين الشاطئين يبلغ نحو ٣٠٠٠٠ راكب كل يوم ! . ومتوسط عدد الطائرات التى تهبط أو تغادر المستعمرة يوميا نحو عشرين طائرة . . وعدد سيارات الاتوبيس بها ٧٤٤ سيارة ، تقل نحو ٨٥٠٠٠ راكب يوميا ! . وعدد عربات الترام ١٣٨ عربة ، تحمل نحو ٤٣٠٠٠ راكب كل يوم ! . . وعدد السيارات الخاصة نحو ٣٠٠٠٠ سيارة . بقى بعد هذا أن تعرف أن عدد سكان المدينة بلغ الآن نحو ٢٧٥٠٠٠ نسمة ، (منهم نحو ١٢٠٠٠٠ يعيشون فى زوارقهم كما أسلفت) . وقد تضاعف عدد السكان اربع مرات منذ استرد الانجليز المستعمرة من اليابانيين فى عام ١٩٤٥ - (وكان هؤلاء قد احتلوها اربع سنوات اثناء الحرب العالمية الثانية) .

وقد تتساءل عن سر ضخامة الحركة التجارية التى يتداولها ميناء (هونج كونج) ، وهل ترجع الى ضخامة عدد السائحين الذين يمرون بالمدينة ويستهلكون سلعها ، فحسب ؟ . . واذا كان الأمر كذلك بالنسبة للواردات، فما سر ضخامة الصادرات التى تشحن من الميناء ، بدورها ؟

والجواب ان هونج كونج هى المنفذ التجارى الجنوبى من والى الصين الشعبية . . فبالرغم من عدم اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بهذه الاخيرة ، ومقاطعتها التجارية لها ، فان بريطانيا لم تستطع المضى فى هذه المقاطعة طويلا، فكان ان رضخت لحكم الأمر الواقع واستأنفت علاقاتها التجارية معها ، وهى تتعامل معها الآن على نطاق واسع ، فتصدر اليها ما تحتاج اليه الصين من منتجاتها ، وتستورد منها ما تحتاج اليه من منتجات الصين . على انه اذا كانت بريطانيا تستطيع التعامل مع الصين عن طريق موانئ الصين ذاتها - مثل شنغهاى مثلا - الى جانب ميناء هونج كونج ، فان اهمية هذه الاخيرة فى التجارة مع الصين تبرز بصورة اكبر بالنسبة للدول الاخرى التى لم



حارة ضيقة في الحى الوطنى بالجزيرة ، حيث يقطن الصينيون في
حوانيتهم او في مساكن متواضعة تعلوها

تعترف حتى الآن بالصين الشعبية .. فعن طريق هونج كونج يستطيع العملاء والتجار أن يبيعوا للصين جميع انواع السلع الأمريكية - ذاتها ! - سواء المعروضة في متاجر المدينة أو التي تستورد من امريكا باسم هونج كونج ثم تباع من الميناء مباشرة الى الصين ، وهي في صناديقها ! (ومن هنا ترى امام فنادق (بكين) و (شنغهاي) سيارات امريكية من آخر طراز ، رغم المقاطعة الامريكية !)

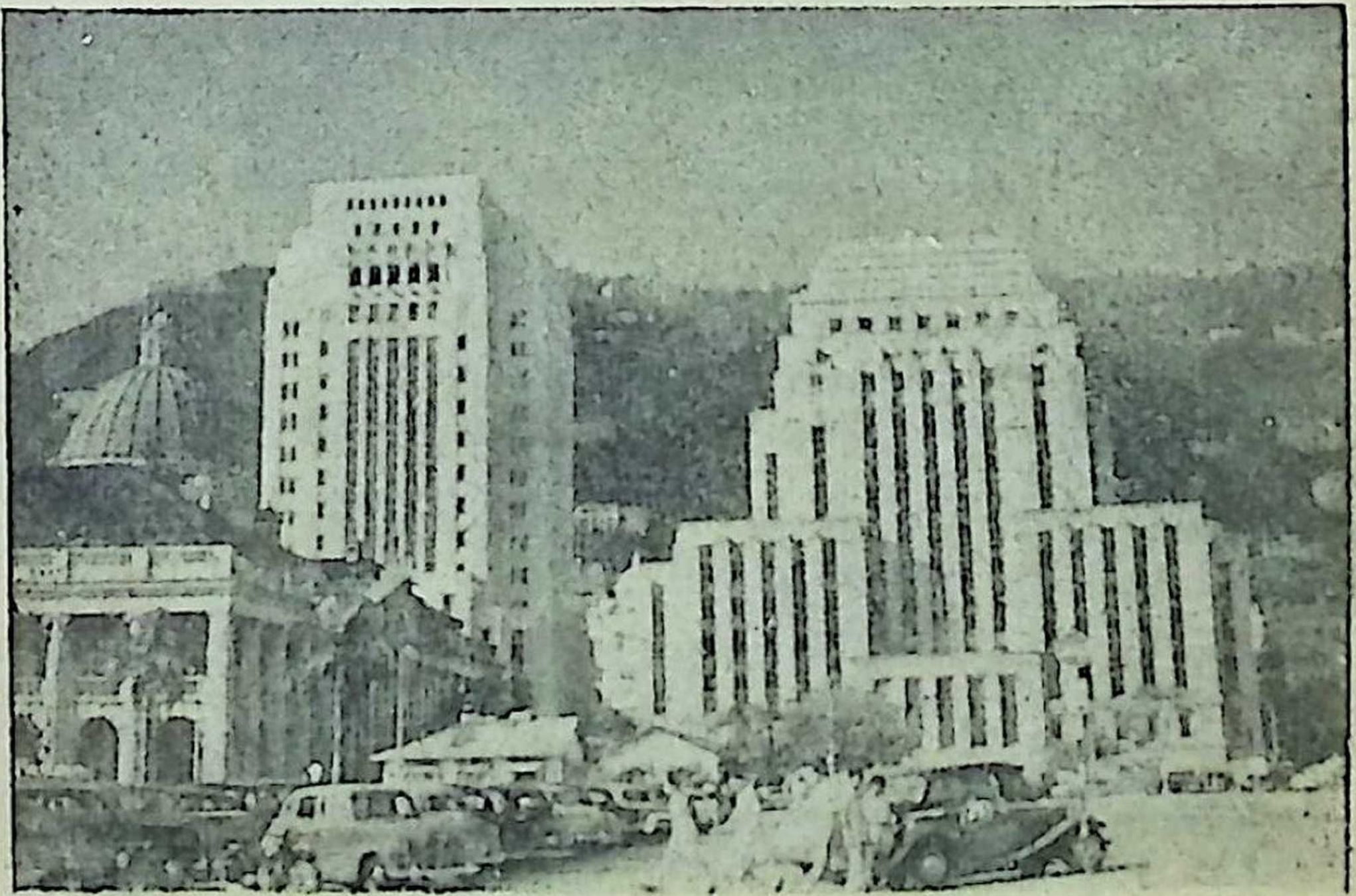
ومن جهة أخرى ، تصدر ! الصين الى هونج كونج كل ما يفيض عن حاجتها من منتجاتها ، ومن هناك يباع ويصدر الى سائر انحاء العالم ، بما في ذلك امريكا بالطبع !

والى جانب منتجات الصين ، فان بعض صادرات (هونج كونج) هي من انتاج هونج كونج ذاتها .. ذلك ان بالمدينة ٣٣١٩ مصنعا ، وتبلغ نسبة الذين يعتمدون على الصناعة - سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة - نحو خمسين في المائة من السكان ، (في حين يعتمد الباقون على صيد الاسماك ، وزراعة الارز) . والصناعة الرئيسية للمستعمرة هي النسيج ، يليها تكرير السكر ، وبناء السفن ، ومنتجات المطاط ، والتطريز ، والاحذية ، والبطاريات ، والصمامات ، ومصابيح آلات التصوير الليلية ، والمصنوعات المطلية بالميناء ، ولعب الاطفال .. ونحو اربعمائة صنف من الصناعات الصغيرة الاخرى . ويبلغ المتوسط اليومي لاجر العامل الممتاز هناك بين ٤٢ و ٧٢ قرشا (مصريا) ، واجر العامل العادي بين ١٨ و ٣٦ قرشا . كما انتجت المدينة في العام الماضي ٢١٥ فيلما سينمائيا ، وبها محطة اذاعة ومحطة تليفزيون ، تذيع كثيرا من روايات الاوبرا الصينية .

وعلى ذكر الحركة التجارية والصناعية في هونج كونج ، قد يدهشك ان تعلم ان بالمدينة ٨٠ بنكاً مرخصاً به (عدا مئات الصيارفة المنتشرين في الطرقات) ، ونحو ١٧٠ شركة تأمين .. والى عهد قريب ، كان بنك «هونج كونج - شنغهاي» البريطاني،

الذى يمول تجارة بريطانيا مع الصين ، أعلى مبنى فى الجزيرة ،
وقد أقاموا عند مدخله تمثالين ضخمين للأسد البريطانى ..
أما اليوم ، فقد أنشأت الصين الشعبية مصرفا أكبر وأعلى
منه ، أطلقت عليه « بنك الصين » ، وأمام مدخله أسدان على
الطراز الصينى ، أحدهما غاضب متحفز ، والآخر ضاحك
تكاد تسمعه يقهقه عاليا !

وقد يدهشك ان تعلم ان هونج كونج تعتمد اعتمادا كليا فى
تزودها بالمياه على الأمطار ، بحكم عدم وجود انهار كبيرة أو
موارد أخرى للماء . وأكثر أمطارها تسقط خلال أشهر
الصيف ، بين مايو وسبتمبر . (والمتوسط السنوى للأمطار
فيها يبلغ ٨٤٧٦ بوصة) . وتخزن المياه فى خزانات عديدة
تبلغ سعة أكبرها ١٩٤١٩ مليون جالون . وبسبب هذا النقص



بنك « هونج كونج - شنفهاى » البريطانى - الى اليمين -
وبجواره البنك الاكثر ارتفاعا الذى شيدته الصين الشعبية

في موارد المياه كان ماء الصنبور ينقطع عن غرف الفندق الذي نزلنا فيه اثناء عودتنا من الصين (يوم ٢٢ نوفمبر الماضى) ابتداء من الساعة العاشرة حتى الساعة الخامسة من بعد ظهر كل يوم

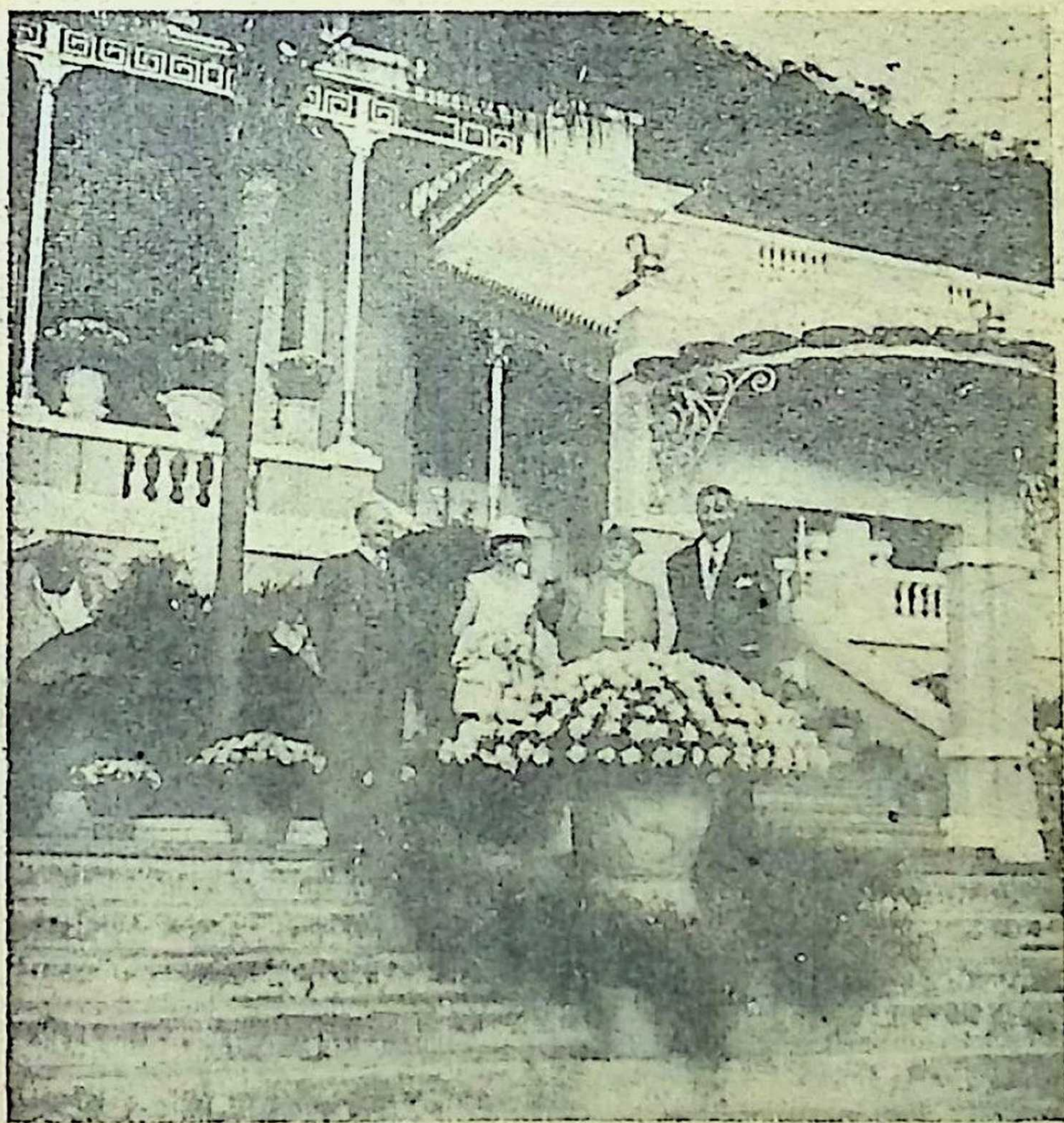
وفي هونج كونج عدة شواطىء ممتازة للاستحمام ، تزدهم بروادها خلال اشهر الصيف - لا سيما في عطلة نهاية الاسبوع - وأشهر هذه « البلاجات » .



شاطىء خليج « ريبالس » ، الذى سمي بهذا الاسم نسبة الى السفينة الحربية « ريبالس » التى اشتركت في محاربة القراصنة في اواسط القرن الماضى ، ومن المعروف ان (هونج كونج) كانت يومئذ مأوى للقراصنة ومهربى الأفيون ! .. واذا كنت شهدت الفيلم الممتاز: LOVE IS A MANY - SPLENDoured THING الذى عرض فى القاهرة منذ عامين ، فلا بد انك تذكر المنظر الساحر لخليج « ريبالس باى » ، الذى بدت فيه بطة الفيلم الفنانة « جنيفر

حسناء صينية تستمتع بالشمس والهواء على شاطىء (ريبالس باى)

جونز » - وكانت تمثل دور طبيبة صينية - تسبح مع صديقها المراسل الحربى الأمريكى « وليم هولدن » .. ثم يخرجان من الماء الى شرفة فيلا جميلة تشرف على البحر . وقد رأيت الدار المذكورة قائمة على شاطىء الخليج - اذ لم تكن من



فندق « ريبالس باى » الفاخر المشرف على الخليج والبلاج

قبيل الديكور المؤقت الذى يقام داخل الاستديو لتصوير بعض مناظر الأفلام - وقيل لى أن صاحب تلك الدار طبيب برتغالى وأنه سمح للشركة منتجة الفيلم باستغلالها فى تصوير ذلك المنظر. وعلى ذكر الفيلم المذكور ، وقفت على تفاصيل غريبة تتصل بملايسات القصة « الواقعية » التى اقتبس عنها . فقد كتبت هذه القصة طيبة وادبية صينية تنحدر عن ابوين



صينية من هونج كونج ، تدلف
من وراء الاغصان لتلقى شباكها..
على البر !

احدهما صينى والآخر اوروبى
- لست ادرى على وجه
التحديد - وكانت الطبيبة
المذكورة تعمل فى اكبر
مستشفى فى هونج كونج ،
حين وقعت فى حب مراسل
حربى انجليزى - (لا
امريكى ، كما أظهر الفيلم)
- كانت زوجته تقطن فى
سنغافورة . فلما قتل
المراسل اثناء حرب (كوريا)،
ونشرت الطبيبة قصة غرامهما
الحقيقى ، كان الأمر مفاجأة
أليمة لزوجها المراسل ،
التي لم تكن تعلم شيئاً عن

غرام زوجها بأخرى ! وقد دفعتهما الصدمة الى أن ترفع دعوى
ضد المؤلف تطالبها فيها بتعويض كبير عن ((اساءتها لسمعة
زوجها القتل)) ! .. ولا تزال الدعوى منظورة امام القضاء ،
لم يفصل فيها بعد

وقبل ان يغادر (هونج كونج) بصفة مؤقتة ، (حتى نمر
بها مرة أخرى ونحن فى طريق عودتنا من الصين الشعبية) ،
قد يهملك ان تعرف سر انفصال هذه المستعمرة الصغيرة عن
بقية « القارة الصينية » - كما احب ان اسميها - وسبب
خضوعها للحكم البريطانى ، فى حين ان اهلها صينيون اصليون،
شأنهم شأن بقية شعب الصين ! ؟
والجواب سأحدثك عنه بالتفصيل بعد قليل حين اروى

لك قصة الحضارة الصينية ، والكفاح الصينى ضد الاستعمار الاوربى . الخ . . وانما أكتفى هنا بالاشارة الى انه على اثر محاولة الانجليز التسلل بنفوذهم الى الصين ، فى اواخر القرن الثامن عشر ، بغية ايجاد سوق هائلة لتجارة الأفيون - الذى كانوا يحتكرون زراعته فى الهند ، ويجنون من بيعه ارباحا خيالية ! - اصدر امبراطور الصين قرارا بتحريم تجارة الافيون وتدخينه ، ابتداء من عام ١٨٠٠ . . لكن الشركة البريطانية التى كان يعنيها الأمر - وهى المسماة شركة الهند الشرقية - ارادت ان تتحدى قرار الامبراطور ، فلجأت الى القراصنة الذين يعيثون فسادا فى المنطقة ، وأعدت بمعاونتهم ((اسطولا)) من الزوارق المسلحة لتهريب الافيون الى داخل الصين ، واعتمدت



عجوزان صينيتان طاعتان فى السن ، جلستا تسمران وقد رسمت السنون اخايد عميقة على وجهيهما . انهما من الجيل الذى جنى عليه الافيون !

ميزانية ضخمة لرشوة رجال الموانئ والجمارك وكل موظف صيني قد يقف في طريق نشر هذه التجارة الشائنة .. وافلحت الشركة بالفعل في تعميم الافيون في كل مدينة وقرية من ارض الصين ، اكثر من ذي قبل ! .. فلما رأى الامبراطور هذه المخالفة الاجتماعية لقراره السابق ، عين احد رجاله الاقوياء حاكما لمنطقة (كانتون) الجنوبية - وكانت المركز الرئيسى لتوزيع الافيون - فانتقل الحاكم اليها ، وهناك وجه اذارا لجميع التجار الاجانب بوجوب تسليم كل كميات الافيون التى فى حوزتهم قبل انقضاء موعد محدد .. لكنهم سخروا من الانذار ولم يبالوا بالرد عليه ، فانقض رجاله فى لحظة واحدة



بائعة صينية فى احد شوارع هونج كونج ، تنتظر الفرج ..
فى صبر واستسلام !

على سائر اوكار هذه التجارة ومخازنها وبور تقطيرها ، وصادروا كل ما كان فيها من الافيون - وقد بلغت زنته يومئذ نحو عشرين الف طن ! - ثم احتفلوا بحرقها في احتفال شعبي كبير !

عندئذ جن جنون تجار الافيون الانجليز ، واستغاثوا بحكومتهم . . . التي وجدت في الامر فرصتها المنشودة لبسط نفوذها على الصين ، فوجهت الى الامبراطور

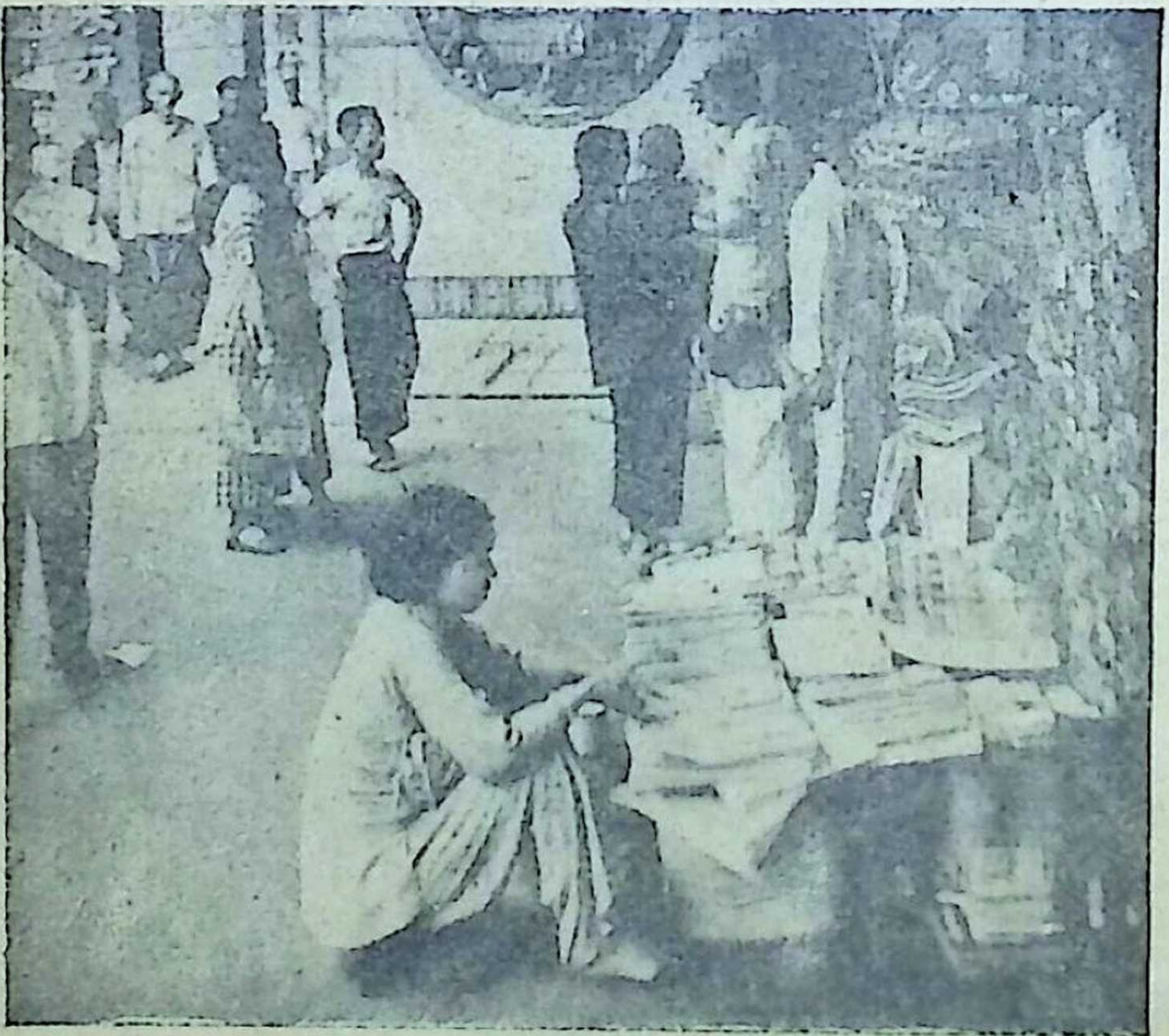
احتجاجا عنيفا طالبت فيه بالقضاء قرار تحريم الافيون ، وتعويض التجار البريطانيين الذين صودرت بضاعتهم تعويضا سخيا ، والا . . . اضطرت هي الى التدخل !

وكان طبيعيا ان يرفض « الانذار » . . . فتحرك الاسطول البريطاني - كعادته ! - الى حيث صب حممه على مدينة (كانتون) ، في احد ايام مارس سنة ١٨٤٠ ، بوحشية منقطعة النظير ! . . . لكن حاكمها الباسل ابي التسليم ، واعد عدته لمواجهة الحصار الرهيب الذي قرر الاسطول ان يضربه على المدينة ، والذي استمر اكثر من عام ، اضطرت الصين في نهايته



رغم ان الفرس اول من ابتكر زى « البيجاما » ، فانه انسب زى لاجسام الصينيات النحيلة .

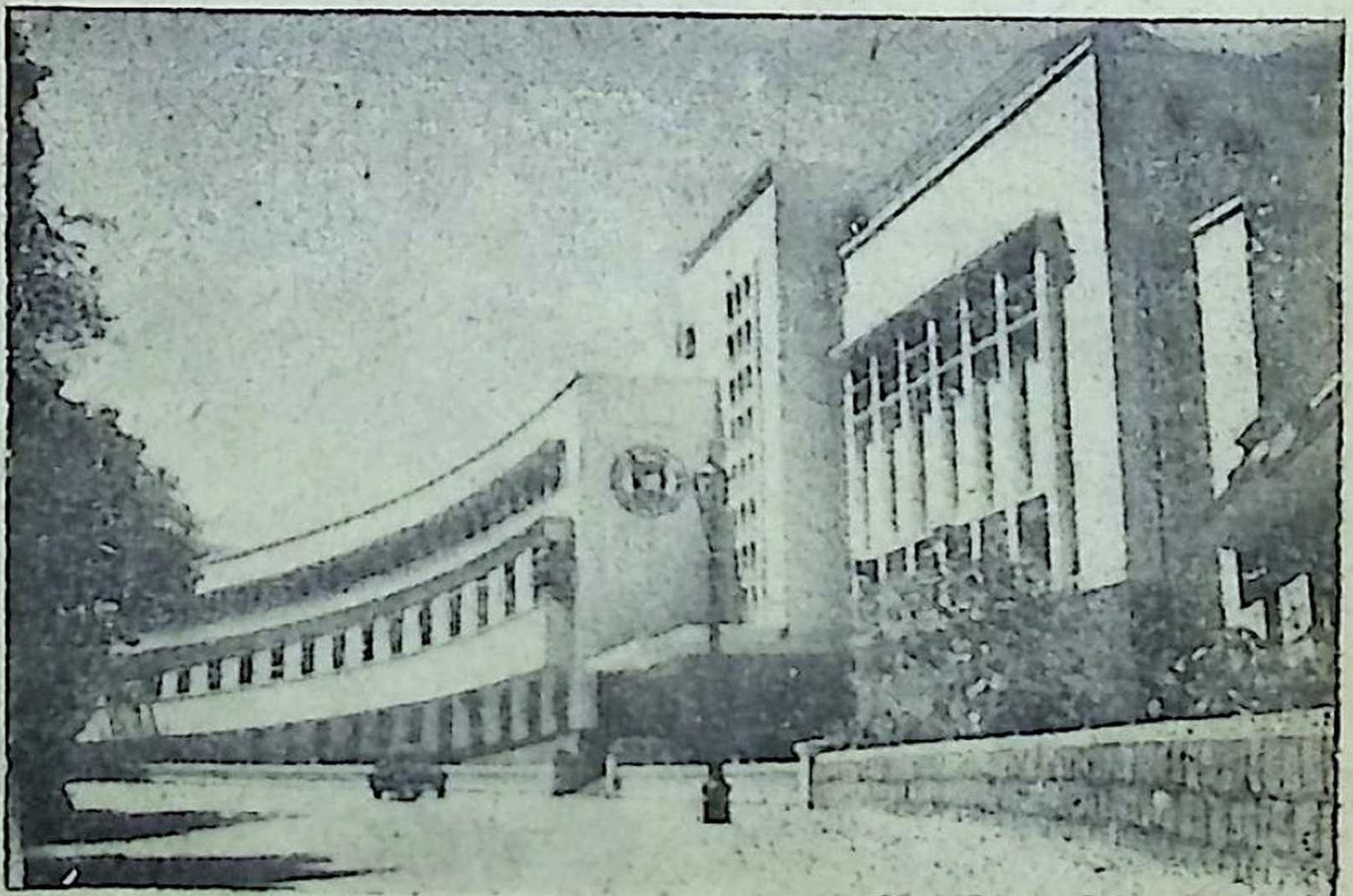
الى التسليم بمطالب الانجليز : وكانت في مقدمتها اباحة تداول
 الافيون وتدخينه ، في جميع انحاء البلاد ، والتنازل لهم عن
 ميناء وجزيرة هونج كونج ، لضمان تنفيذ هذه المطالب ! ..
 ثم تعويض التجار الذين احرقت بضاعتهم تعويضا ماديا وادبيا
 سخيا ، واعفاء الانجليز منذ ذلك التاريخ من الخضوع للقوانين
 الصينية والمحاكم الصينية .. الخ
 وأطلق الانجليز على غنيمتهم الدسمة اسم (فيكتوريا) ،
 نسبة الى ملكتهم التي وقع في عهدها هذا الاحتلال ، الذي



اكثر باعة الصحف في هونج كونج من النساء ، وترى فتاة منهن
 جالسة امام « فرش » الصحف الخاص بها

باركته . . كما اطلقوا على قمة الجزيرة اسم « قمة فيكتوريا » ،
وهو اسم ما يزال ساريا الى اليوم ، أما الجزيرة نفسها
والمستعمرة عامة فقد صارت تعرف بعد ذلك باسمها الحالي
(هونج كونج) - ومعناه « الماء العذب » او « الماء المعطر » -
وكان البرتغاليون قديما يسمونها « جزيرة اللصوص » ، اذ
كانت مأوى للقراصنة كما أسلفت

وفي عام ١٨٦٠ ، بعد اقل من عشرين عاما من احتلال الانجليز
للجزيرة ، استولوا ايضا على منطقة (كاولون) ، وهي الشاطئ
المواجه لها من ارض الصين . . ثم ازدادت مطامعهم بمرور
الزمن ، فحصلوا من الصين في عام ١٨٩٨ على رقعة كبيرة من
الارض تلى كاولون الى الداخل ، بايجار اسمى لمدة ٩٩ عاما ،



جامعة هونج كونج ، وقد شيدت على أحدث طراز ، في بقعة مرتفعة
من الجزيرة

واطلقوا عليها اسم (الاراضى الجديدة) ، وهى التى يخترقها القطار الآن فى نحو ساعة قبل ان يصل الى الحدود الفاصلة بينها وبين الصين الشعبية . . وهكذا بلغت مساحة مستعمرة هونج كونج كلها نحو ٣٩٤ ميلا مربعا ، أما الجزيرة وحدها فلا تزيد مساحتها عن ٣١ ميلا مربعا ، ويبلغ طولها من الشرق الى الغرب ١١ ميلا ، اما عرضها فيتراوح حسب اختلاف كل جزء بين ميلين وخمسة اميال ، وترتفع قممتها المشهورة التى حدثت عنها حوالى ١٨٠٩ اقدام فوق سطح البحر

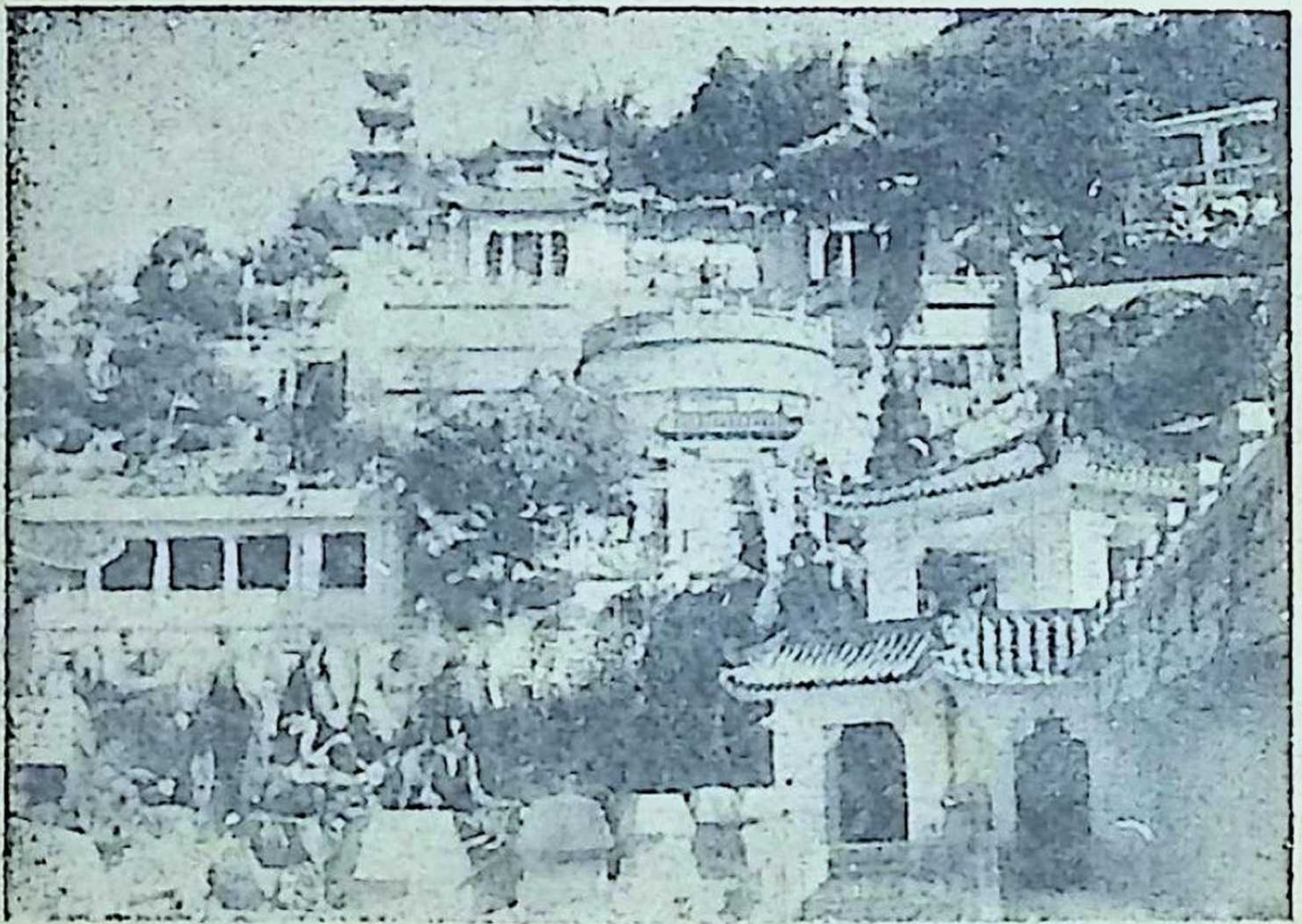
((روكفلر)) الشرق الأقصى !

• **ومن أشهر الاماكن التى يحدثك عنها أهل (هونج كونج)** اذا سألتهم عن اهم معالمها ، حديقة « بلسم النمر » - أو «مرهم النمر» (تايجر بالم) - ولهذه الحديقة قصة « واقعية » تقرب من خرافات الف ليلة وليلة ، فقد انشأها فى عام ١٩٣٥ ثرى صينى يدعى « أو بون هاو » ، انفق عليها من جيبه الخاص مليون جنيه استرلينى بالضبط ، (كما انشأ حديقة اخرى من نفس الطراز فى جزيرة سنغافورة ، انفق عليها أربعة ملايين من الجنيهات !) . . أما فكرة انشاء الحديقتين ، وسر ثراء المليونير المذكور ، فتتلخص فى أنه كان قد تمكن من تركيب « مرهم » خاص لا يحتوى على اى دهن حيوانى ، أطلق عليه « مرهم النمر » ، وقد ظهرت فائدته الأكيدة الفعالة - على حد قول الصينيين - فى علاج امراض : السعال ، والبرد ، والصداع ، والروماتيزم ، واللمباجو ، والربو ، وآلم الأسنان ، والنقرس ، وعرق النساء ، والآلام العصبية ، وبحة الصوت ، ولسعة العقرب والحشرات ، والجروح ، والتواء العضلات ، وجميع آلام الصدر ! . . وطريقة العلاج ان يدلك به مكان الألم او الاصابة ثلاث مرات فى اليوم ثم يربط بقطعة من « الفانلة » او القماش الدافئ . . كما نص فى النشرة الخاصة بهذا الدواء

« السحري » انه يحسن الاحتفاظ بزجاجة منه في البيت واثناء السفر « لمنع الاصابة بالامراض المعدية » ! . . والى جانب الدواء المذكور توصل « المخترع » الى تركيب مسحوق اطلق عليه « مسحوق شفاء الصداع » ، ودواءين آخرين اطلق عليهما اسمين صينيين لم اهتم الى ترجمة مدلولهما ، وهما : « بالاشين ساي » ومزيج « شنكاويت وينك » ، فلم تلبث العقاقير المذكورة ان انتشرت وذاع استعمالها في انحاء الصين وفي اقطار اخرى خارجية ، لما ثبت من نفعها العاجل في شفاء هذه الامراض ، (وما تزال محتفظة بشهرتها وانتشارها حتى اليوم !)

وعلى اثر ذلك اقام الرجل عددا كبيرا من المعامل لانتاج هذه العقاقير في كل من بلاد : الملايو ، واندونيسيا ، وهونج كونج ، وكوونجتونج ، وفوكين ، وشنغهاي ، والفيليبين ، وفيتنام ، وتايلاند . . الخ . فلما اثرى صاحبنا من ذيوغ صيت عقاقيره ، أخذ يساهم بثروته في الكثير من اعمال البر والمشروعات العامة النافعة ، فمنح هبات سخية للمدارس الاهلية ، والمستشفيات ، ودور كفالة العجزة ، وملاجيء اليتام والمسنين ، وضحايا الفيضانات والابوئة ، سواء في الصين او في سواها من البلاد . . وبالاختصار فقد خصص ٦٠ في المائة من ارباحه السنوية لأعمال البر ، حتى جاوز ما وهبه لهذا الغرض سبعة ملايين من الجنيهات ! . . وفي عام ١٩٣٨ خلع عليه ملك انجلترا الراحل « جورج السادس » وساما رفيعا ، تقديرا لمساهمته في مشروعات الترفيه الاجتماعي ببلاد الملايو . وبالإضافة الى اعماله الخيرية ، اضطلع بكثير من المشروعات الاقتصادية والثقافية ، فأنشأ مصفا ماليا في سنغافورة ، وأسس ١٢ صحيفة ، بعضها في مدن الصين وبعضها في هونج كونج وبلاد الملايو .

أما الحديقة المذكورة فقد شيدها في عام ١٩٣٥ على قطعة من الارض مساحتها ثمانية افدنة ، وملأها بالتمثيل وبمناظر



منظر لجانب من حديقة (تايجر بالم) - « بلسم النمر » - التي انفق عليها صاحبها الثرى الصينى مليون جنيه !

مجسمة لحيوانات واشخاص ، يمثل كل منظر منها قصة من قصص الأدب الشعبى الصينى والفولكلور البوذى التى يؤمن بها الصينيون ويعلمونها لأولادهم فى كتب الاطفال ، وهى قصص تحض الناس على فعل الخير ، وحب الوطن ، والرفق بالوالدين ، والاخلاص للاصدقاء .. كما تنفر الناس من فعل الشر . كالتمرد ، والقتل ، والسرقة ، والخداع .. وقد هدف الثرى الصينى من وراء اختيار التماثيل والمناظر المجسمة التى اقامها فى حديقته أن تساعد على نشر الفضائل وتحقيق الفايات الاخلاقية النبيلة التى يستفاد مغزاها من تلك الأساطير والقصص ، الى جانب امتاع زائرى الحديقة بطرافة المشاهد التى تحتونها .. او على حد قوله ذات مرة : « لقد جمعت

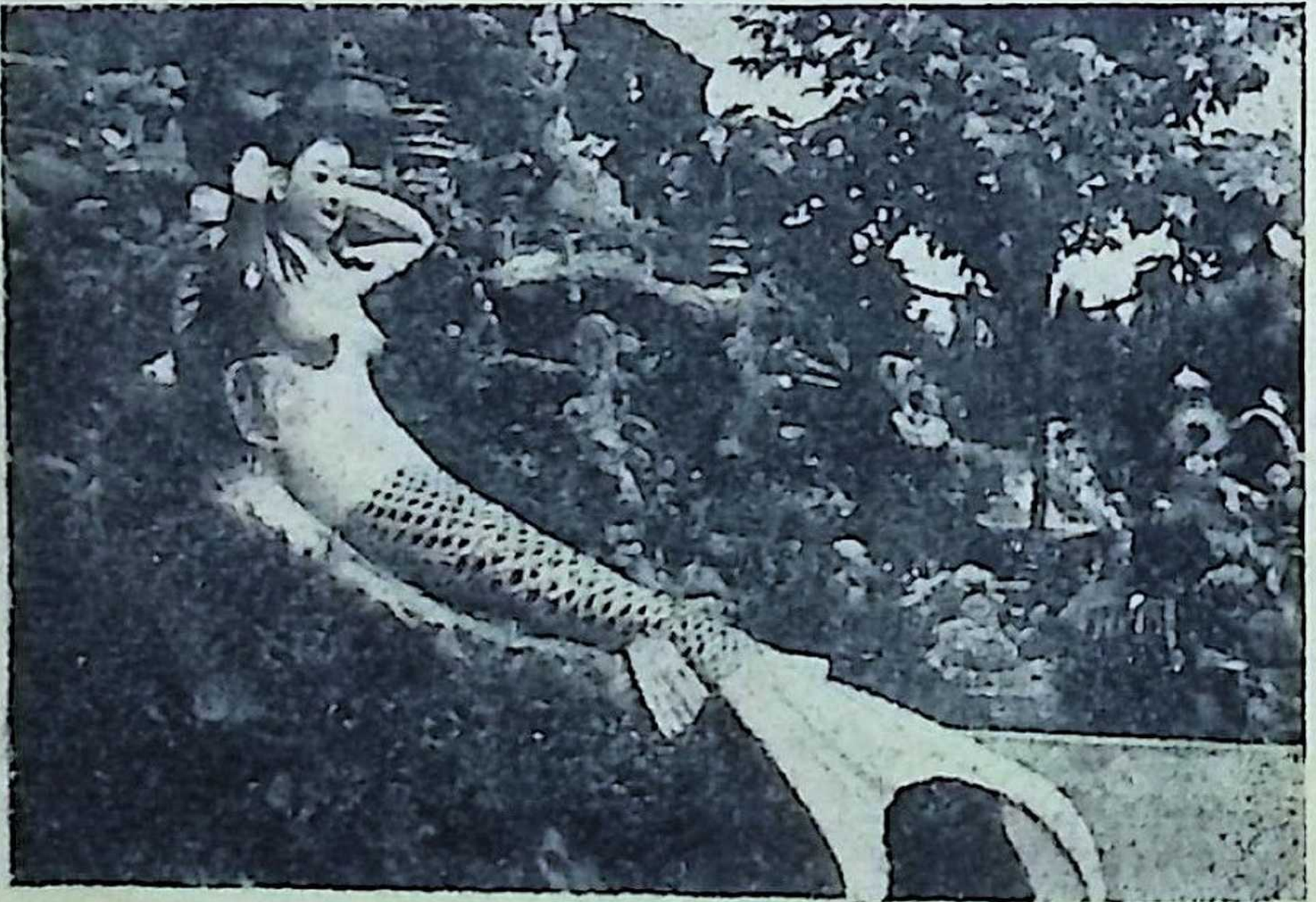
ثروتى من الشعب ، ومن ثم ينبغى ان أنفقها من اجل اسعاد الشعب ((

ومما يذكره اهل الشرق الاقصى بالخير للمحسن المشار اليه ، انه لم يقصر برد واحسانه على مواطنيه وحدهم ، وانما تعداهم الى جميع شعوب جنوب آسيا ، **دوناية تفرقة تتصل بالدين أو الجنس ، فأنعم بهباته على بوذيين ، وكاثوليك ، وبروتستنت . . الخ . .** لكنه لم يكن يمنح عطاياها جزافا ، دون تدقيق - رغم ان موارد كانت تمكنه من ذلك ، وكان هذا خليقا بأن يجنبه كثيرا من العناء والمتاعب - بل كان يبذل عناية فائقة في دراسة المشروعات التى تنشده عونه ، **ولا يعطى الا من يقتنع بانهم يستحقون المساعدة ، وفي مقدمتهم الاطفال - ولا سيما اليتام - والمسنين والعجزة . .** ونتيجة لهذا السخاء فى العطاء ، وهذه الحياة الحافلة بالحسنات ، كان حزن الاسيويين عليه شديدا حين فاجأته منيته يوم ٥ سبتمبر عام ١٩٥٤ ، فى مستشفى الملكة بمدينة (هونولولو) ، على اثر اصابته بنوبة قلبية مفاجئة، وكان يومئذ فى الثانية والسبعين . وقد احرقت جثته بعد الوفاة حسب تقاليد عشيرته .

واليوم ، تعتبر حديقته مزارا للصغار والكبار ، من السائحين واهل الجزيرة ، بل ان زوجته الاخيرة - التى ما تزال فى شرح الشباب - تقيم حتى الآن فى قصرها الرائع الذى يقع فى ركن من الحديقة ، والذى لا يفصله عن روادها سور ولا حجاب ، حتى لتقع عين الزائر وهو مار امامه على محتويات ردهته من اثاث ورياش . . ولعلك مشوق بعد هذا الى ان اصف لك تلك الحديقة العجيبة التى انفق على انشائها مليون جنيه . .

ولكنى اعترف بعجزى عن وصفها وصفا كاملا يصورها لك على حقيقتها ، بل ان الزائر لها لا يملك ان يعي ببصره كل دقائقها وجزئياتها - حتى وهو فيها - ما لم ينفق فيها نهارا كاملا على الأقل ، يتأمل خلاله كل شبر منها ، امامه ، وعن

يمينه ، ويساره ، وفوق مستوى نظره ، من كل جهة ..
 فكلما رفع بصره درجة الى أعلى رأى شيئاً جديداً ، أو سلماً
 جميلاً من الصخور الصناعية يقود الى طابق أعلى ، فالحديقة
 مكونة من ٤ أو ٥ طوابق ، وبين كل طابق والآخر عدة اتجاهات ،
 وتفرعات ، وسلاسل أخرى ، تؤدي الى كهوف مخبئة ،
 و « جبلات » ، وأروقة ، وشرفات ، وسرايب ، تدخل من
 أحدها فلا تعرف كيف تعود الى حيث كنت ! .. والخلاصة
 انك لكى تحيط بهندسة الحديقة أو تختزن في وعيك مسالكها
 لا بد من ان « تدرسها » دراسة متفرغ مقيم ، وتقف كل حين
 لتسأل نفسك من اى طريق جئت ، و اى اتجاه يقودك الى
 الجزء الذى لم تره ! .. وفى كل خطوة تخطوها يباغت عينك
 شئ غريب ، صارخ ، يستوقف انتباهك حتما مهما كنت شارد



حورية البحر (امرأة على شكل سمكة) كما تخيلها المثال فى تمثاله
 بحديقة (تيجر باله)

البال : فهذا نمر ضخيم تفاجأ بأنيابه على قيد شبر من ذراعك ، فتخاله أول الأمر وحشا حيا يوشك ان يزمرجر .. وهذه سمكة كبيرة في حجم التمساح ، لها رأس امرأة ! .. وذاك طاووس جميل تكاد تمر بيدك على ريشه الجميل .. وهنا منظر مجسم لجموعة من المخلوقات اختلطت فيها سمات البشر والوحوش .. وهذه تماثيل لكائنات خرافية عجيبة الهيئة ، كالتي تقرأ عنها في الأساطير .. وهناك جماعة من النسوة العرايا في الحمام .. الى عشرات بل مئات من هذه الفرائب ذات الأشكال والألوان الصارخة التي امتلأ بها المكان .. وفي ركن مرتفع من الحديقة برج صيني (باجودا) من سبعة طوابق ، يرى عن بعد من اجزاء كثيرة من الجزيرة . ومن طريف أمر هذا البرج ان السلطات حرمت على الزائرين الصعود اليه ، بعد ان كثرت حوادث الانتحار من فوق قمته ، اذ ثبت ان الشعور الذي يراود من يطل من ذلك الارتفاع الشاهق كثيرا ما يوحى بفلسفة الزهد في الحياة ، ويفرى بالتخلص من متاعبها !

وقد يكون من الطريف ان اروي لك احدى قصص الاساطير التي اقيمت لها رموز مجسمة في الحديقة .. ومن هذه الاساطير قصة الحسناء « يانج كواي في » : اذ يحكى انه في عصر اسرة « تونج » التي كانت تحكم الصين حوالي عام ١٧٨ قبل الميلاد ، كانت تعيش فتاة تدعى « يانج كواي في » ، اعتبرت يومئذ واحدة من اربع اجمل حسان في الصين .. ومن هنا وقع اختيار الملك عليها كملكة « ثانية » - الى جانب زوجته الملكة الشرعية - وأغدق الرتب والالقباب على افراد اسرتها ، ورفعهم الى مرتبة النبلاء ، وعين ابن عمها « كوك شونج » في منصب الوزير ، دون ان تؤهله لذلك موهبة أو دراية ، فساءت امور الدولة على يديه ، حتى اضطر الملك الى عزله وتنصيب حاكم



برج مشيد على الطراز الصيني .
في حديقة (تيجر بالم)

أحدى الولايات في مكانه . .
قلم يلبث الحاكم الجديد -
وكان يدعى « اون لوك شان »
- ان بذل من المجهود في
الاصلاح ما استحق من اجله
ان يرضى عنه الملك ، وتقع
الحسناء « يانج كوى في » في
هواه ! . . واذ ذاك نهشت
الغيرة قلب ابن عمها المعزول
« كوك شونج » ، فدرس
خلفه عند الملك متهما اياه
بالتآمر على العرش ! وحين
أبدى الملك ترددا في القبض
على الحاكم ، انتهز هذا
الفرصة فلاذبالفرار الى ولايته
القديمة ، خشية ان تنجح

الوشاية فيصدر الملك - في لحظة ضعف - امرا
بقتله ! . . ومن هناك أعد الهارب جيشا لمهاجمة المملكة وقتل
غريمه المعزول ثم اختطاف محبوبته الحسناء . . واذ ذاك اضطر
الملك الى الخروج على رأس جيشه لملاقاته والدفاع عن عرشه . .
لكن الجيش تمرد في الطريق ، واعلن الناطقون بلسان الجنود ان
سبب كل هذه الكوارث شخصان اثنان ، هما الحسناء « كواى
في » وابن عمها « شونج » ، وانهم لن يقاتلوا المهاجمين ما لم يأمر
الملك بقتل رأسى البلاء أولا ! . . وازاء ذلك لم ير الملك بدا من
الرضوخ لمطلبهم ، فأعدم ابن العم ، بفصل رأسه عن جسده .
أما الحسناء « كواى في » فقد سمح لها بالانتحار ، بيدها لا بيد
عمره !

وتصيف الاسطورة ، ان « كواى في » كانت تكثر من

الاستحمام بالمياه المعطرة ، كي تظهر مفاتها للملك ، فأقام من اجلها حوضاً كبيراً للاستحمام ، في الحديقة ، تحيط به شتى انواع الزهور . . فكانت كلما شرعت في اخذ حمامها ، طوت الازهار جميعاً كمامها ، من فرط ادراكها ان العطر والجمال اللذين يشعان من ((كواي في)) كانا يسموان كثيراً على عطرها هي وجمالها !

هذه هي الاسطورة ، اما النموذج أو الرمز الذي اقيم في حديقة « بلسم النمر » لتذكير الناس بها ، فيمثل الحسناء وقد جلست على حافة حوض الاستحمام ، ومدت ساقها لحدى وصيفاتها كي تفسلها لها . . بينما انهمكت وصيفة اخرى في تدليك ظهرها !

(وترى صورة لهذا المنظر المجسم مع هذا الكلام) .



حسنا الصين القديمة « كواي في » تأخذ حماما ، وقد تولت وصيفتاها تدليك ساقها وظهرها (اقرا مع هذا الكلام الاسطورة التي خلدها الثرى الصينى بهذا التمثال في حديقته)

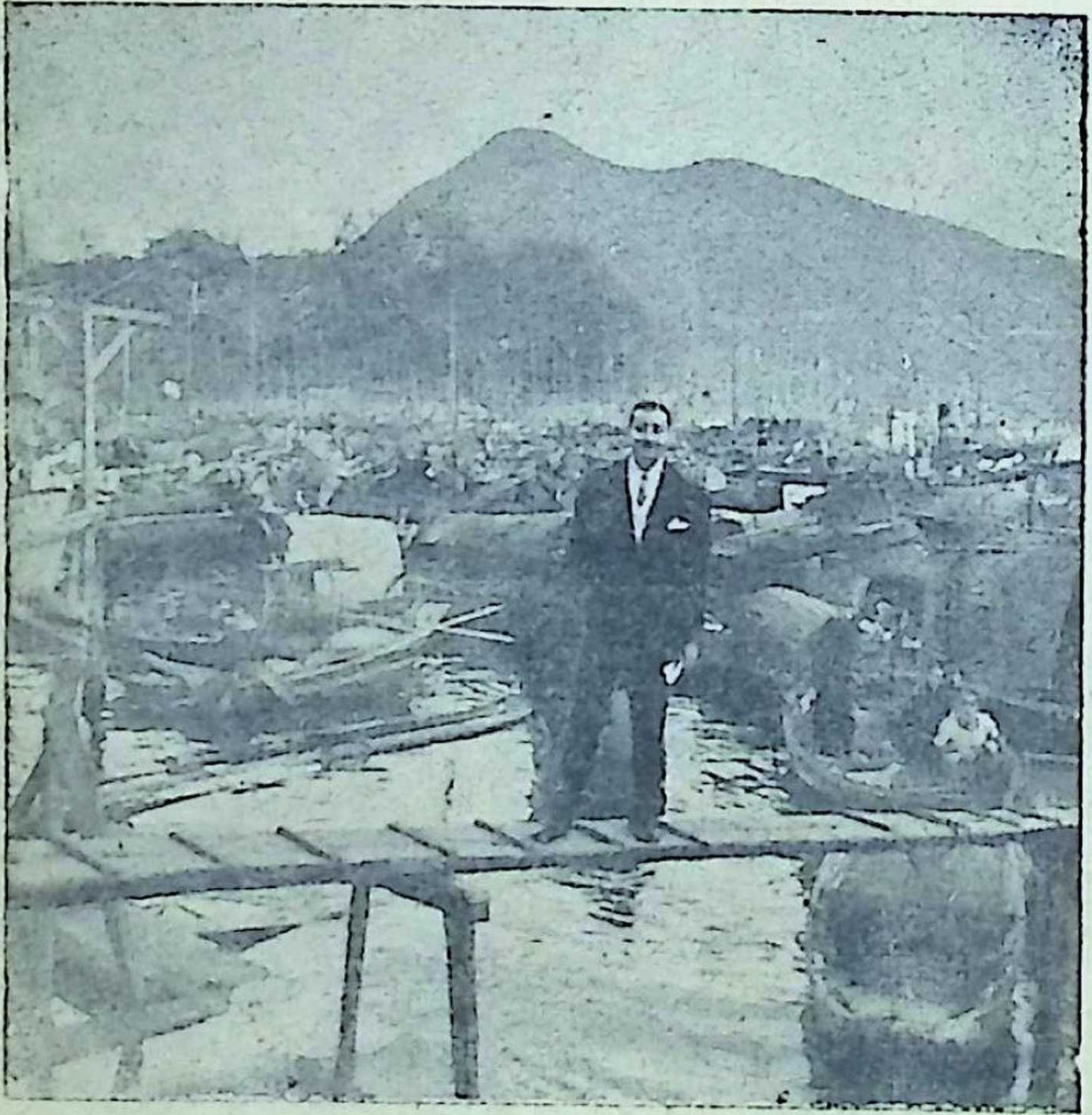
عند هذا الحد تعال نغادر متاهات هذه الحديقة العجيبة ،
 كي نواصل جولتنا بين روابى هونج كونج .. فإذا القينا نظرة
 على ما يلوح لنا من معالم الجزيرة ، بدت لنا في بطن السهل
 مساحة كبيرة مستوية ، زاهية الخضرة ، يحيط بها سنور
 منخفض من الخشب الأبيض .. انها حلبة سباق الخيل ، وهي
 حلبة فسيحة شاسعة ، وأن كانت لاتصل في اتساعها الى
 مثيلتها في (كلكتا) - التي تعتبر ثاني حلبة للسباق في العالم
 من حيث مساحتها ، بعد حلبة (سيدني) المشهورة في استراليا -
وهل يطيب للانجليز مقام في بلد بغير ان يحيطوا انفسهم
بأسباب الترف التي ألفوها في مستعمراتهم ، وأنواع رياضاتهم
التقليدية ؟ .. وهكذا أقاموا لأبنائهم في هونج كونج - دون
 أهل الجزيرة من الصينيين - شتى النوادي والمؤسسات
 الرياضة : هذا لسباق الخيل ، وذاك لكرة القدم ، وثالث للجولف ،
 ورابع للرجبي ، وخامس للكريكت ، وسادس لسباق السيارات ،
 وسابع لتنس الطاولة ، عدا الأندية المتعددة التي أقاموها
 للعبة التنس وحمامات السباحة في كل من هونج كونج وكاولون
 وتنحدر بنا السيارة في الكورنيش الجبلي الشعباني ، مرة
 بمستشفى « كوين ماري » الحكومي ، المقام فوق ربوة عالية ،
وهنا عجت كل العجب حين رأيته يطل على منظر هو ابعد
مناظر العالم صلاحية لأن يقام في مواجهته مستشفى ! أتعلم
ماهو ذلك المنظر ؟ انه مقابر الجزيرة ! (وياله من اختيار موفق
لتقوية الروح المعنوية في نفوس المرضى !) .. وتذكرت اني لم
 أر هذه المفارقة الدالة على ذوق سقيم ضمن مناظر المكان كما
 صورت في فيلم « جنيفر جونز » الذي أشرت اليه من قبل ..
 فسألت الدليل الذي يرافقني عن جلية الأمر ، فقال لي ان
 المبنى الذي صور في الفيلم على انه المستشفى ، لم يكن سوى
 مبنى نادي المراسلين الأجانب بالجزيرة !
 ووصلنا في هبوطنا بالسيارة الى حديقة رائعة مترامية ،

توقفت عندها ثم طفت بأرجائها ، فاذا هي آية في جمال التنسيق ،
 اقيمت في جنباتها الشرفات الفسيحة الشبيهة بالمقاصير ،
 تصعد اليها بضع درجات فاذا انت تشرف على الحديقة بأسرها ..
 فاذا فرغت من نزهتك في أرجائها وجدت باب الخروج يقودك
 الى سلم سحيق النهاية تهبط عليه عشرات الدرجات فاذا انت
 في طابق أسفل من طوابق الجزيرة ، أو « كورنيش » آخر من
 طرقاتها .. وترفع بصرك الى باب الحديقة الذي خرجت منه ،
 فترى مكتوبا عليه هذا العنوان « حديقة النباتات » .. ثم تمر
 سيارة اتوبيس تهبط بك في خلال دقيقتين الى المحطة النهائية
 للترام الجبلى في سفح الجزيرة ، ومنها بعد دقيقتين آخرين الى
 اقرب مشرب للشاي تستطيع ان تتناول فيه قدحا ينعشك بعد
 هذه الجولة الشاقة

رحلة المساء التقليدية في (هونج كونج)

• والآن ، هل جمعت شمل قواك المبعثرة ، وارتحت
 ساقيك ؟ .. اذن تعال نشترك في احدى الرحلات المسائية التي
 تنظمها شركات السياحة ، ولتكن وجهتنا في هذه المرة قرية
 (ابردين) . و (ابردين) هي قرية الصيادين الذين يعيشون
 في قواربهم ، ويعتبرون اقدم سكان في الجزيرة ، اذ كانوا النواة
 الاولى لها قبل ان يدركها العمران وتتطور الى ما هي عليه اليوم .
 وللقرية سحرها الخاص الذي يجعلها من احب معالم الجزيرة
 الى السياح !

.. فاذا بلغتها الفيت سطح الماء عندها - على الشاطئ
 الجنوبي من شواطئ الجزيرة - ((مفطى)) بعدد لا يدركه الحصر
 من القوارب التي ياوى اليها اصحابها وعائلاتهم ، ويقضون فيها
 حياتهم كلها .. وفي كل قارب منها ((تجويف)) تنام فيه
 العائلة ، ومنضدة يأكلون عليها ، ومكان يطهون فيه طعامهم ،
 وهكذا .. ويحمل اليهم الماء الصالح للشرب كل يوم بواسطة
 قوارب متجولة مخصصة لذلك . وبين تلك الآلاف من القوارب



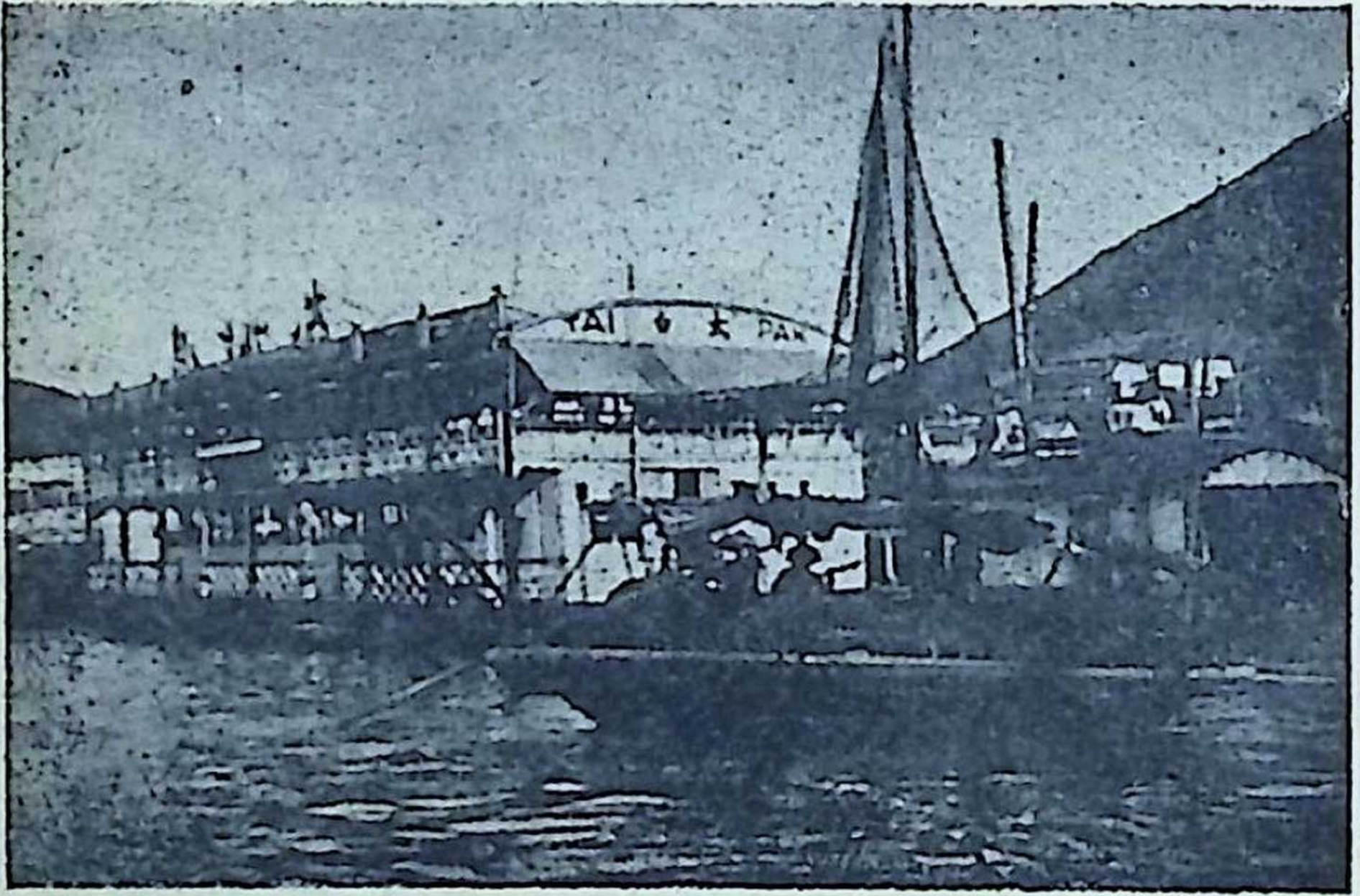
شاطئ قرية (أبردين) وقد ازدحم بمئات الزوارق التي يعيش فيها اصحابها ليل نهار

اقيمت بضع عوامات كبيرة فاخرة تستخدم كمطاعم عائمة للسائحين .. (ولعلك رايت في الفيلم السينمائي الذي حدثتك عنه منذ حين منظرا لبطلية وهما يتناولان العشاء في احد هذه المطاعم) .. فاذا نزلت من السيارة في قرية (أبردين) أحاطت بك « مجموعة » من الفتيات يرتدين القبعة القش العريضة والبنطلون ، وراحت كل واحدة منهن تدعوك لتستقل زورقها دون سواه ، كى تحملك الى المطعم العائم الذى تعمل لحسابه .

ويطلقون على تلك الزوارق هناك بالانجليزية كلمة (سامبان) ، وعلى أولئك الفتيات (Sampan Girls) وهن يتقاضين اجرا لنقل الراكب لا يزيد على قرشين أو ثلاثة (بالعملة المصرية) . وقد يأخذك الزورق في نزهة حول الخليج اذا أردت ، مقابل أجر اضافى . وتقتصر مهنة النقل بتلك الزوارق على الفتيات اللواتى دون سن العشرين ، واللواتى يساهمن بايرادهن الضئيل من هذا العمل فى أعالة عائلاتهم الكبيرة العدد . ويدهشك ان ترى الفتاة النحيلة منهن - (والصينيات على وجه العموم نحيلات الاجسام) - تقود زورقها البالغ من الطول نحو سبعة امتار ، وتحرك مجذافها الذى لا يقل طوله عن خمسة امتار ، فى حركة دائرية شبه آلية ، بقوة ونشاط ملحوظين !

.. فاذا بلغت المطعم العائم ، الفيته يتألف من طابقين ، وقد انتشرت فى جنباته قطع الاثاث والرياش ذات الطابع الغربى ، واضاءته مصابيح « الفلورسنت » .. وهناك تنتقى بنفسك السمكة التى تحب أن تطهى لك ، من سلال معلقة خارج جدار المطعم ومدلاة الى نصفها فى الماء . وبعد ان تلتقط السمكة التى يقع عليها اختيارك ، (أو الجمبرى ، أو سرطان البحر .. الخ) ، تستطيع أن تقف الى جوار الطاهى كى تتابع عن كثب عملية الطهو بالطريقة الصينية .. وفيما انت تتناول طعامك على مائدة نظيفة كما لو كنت فى افخر مطعم ، تدير بصرك فيما حولك ، داخل العائمة وخارجها ، فاذا انت تعيش فى جو اختلطت فيه أحدث وسائل الراحة ، بأقدم سبل العيش واكثرها بدائية !

وتسأل عن حياة أهل القرية ، ومواردهم من صيد الأسماك ، فتعلم أن منهم من أثرى من هذه المهنة حتى بات يستخدم عددا من الصيادين لحسابه الخاص .. ومنهم من اقام بماله



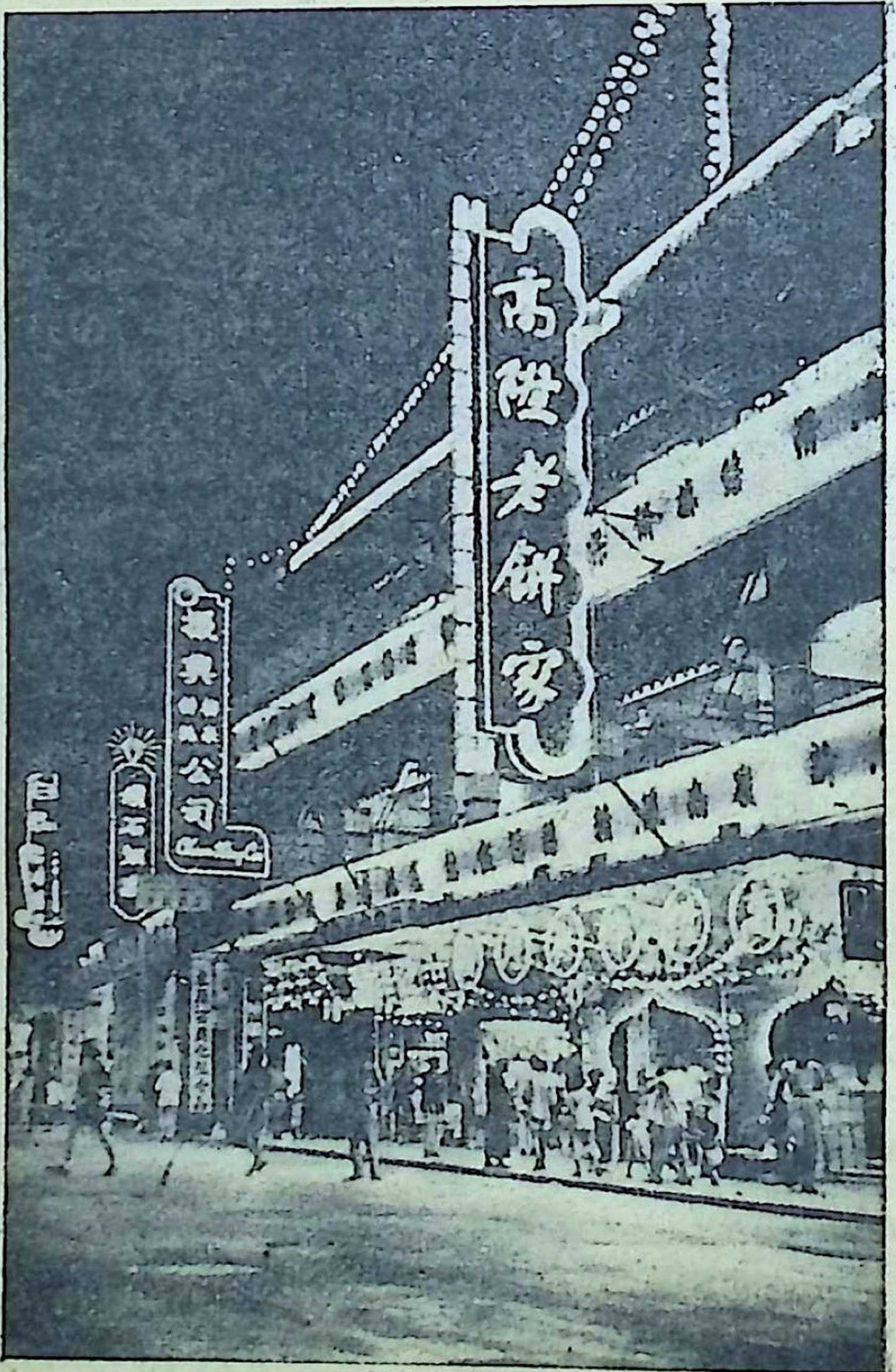
المطعم العائم « تاي باك » أحد مطاعم (أبردين)

مطاعم عائمة من هذا الطراز لاستقبال السائحين . وتعلم ان
 ((اسطول)) صيد السمك في هونج كونج يتألف من نحو ستة
 آلاف سفينة وزورق ، من جميع الاحجام ، ينطلق اكثرها حائما
 حول مياه الجزيرة سعيا وراء صيد من الأسماك والأحياء
 البحرية يكفي سواء للاستهلاك المحلي أوللتصدير الى الخارج . .
 ويشير لك محدثك الى انوار السفن والزوارق التي هامت على
 وجهها ، على مرمى البصر ، تبحث عن الرزق الحلال في اعماق
 البحار . . ثم تدير بصرك الى ظلال الاضواء الخسافتة التي
 تتراقص حولك على صفحة الماء ، منعكسة من آلاف القوارب
 التي اخلد سكانها للنعاس ، أو أوشكوا . . فاذا فرغت من تناول
 عشائك في هذا الجو الحالم ، فتعال نناد احدى فتيات (السامبان)
 كي تقلنا الى الشاطئ حيث نركب السيارة عائدين الى السفح

الشمالى للجزيرة ، المواجه لتوامها (كاولون) ، فنبلغه بمد
نحو عشرين دقيقة ، عبر طريق ثعبانية ملساء تتلوى بنا بين
الغابات والروابي والقصور الهاجعة فى احضان حدائقها الفناء ..

خلية النحل .. ونماذج من الاسعار !

• فاذا بلغنا المدينة الراقدة عند السفح ، ألفيناها تموج
بالحركة الصاخبة ، والأنوار .. هل تود ان تقوم بجولة على
الاقدام فى شوارعها الرئيسية ، ومتاجرها ؟ لا بأس ، فالساعة
الآن لم تجاوز الثامنة والنصف ، ومتاجر هونج كونج لا تغلق
ابوابها قبل التاسعة ، والتاسعة والنصف .. ها نحن فى الشارع
الأكثر ازدحاما بالمارة ، وبالحيوانات ، والمطاعم ، والملاهى . انه
يدعى ((كوينز رود)) ، أى ((طريق الملكة)) ، وهو أشبه بخلية
نحل دائمة الطنين .. رصيفاه يعجان بالمارة ، من أهل الجزيرة
والسائحين ، من جميع الأقطار : الصينى ، والأمريكى والهندية
وبنت السويد ! .. الكل يتكالبون على البضاعة الرخيصة ،
ويخرجون من متجر ليدخلوا المتجر الذى يجاوره .. والمتاجر
نفسها متعددة الجنسيات : هذا متجر « هوايتواى » الانجليزى ،
الذى يبيع لك احذية لندن بجنيهين وثلاثة ، وقميص « أرو »
المشهور بمائة وعشرين قرشا ! .. وهذا متجر « موهان »
الهندي ، الذى ينافس فيه فطيك « البولوفر » الانجليزى
المصنوع من وبر الجمل بجنيهين ونصف ، واذا ابتعت منه
بنحو سبعة جنيهات أو ثمانية اعطاك حقيبة كبيرة من « الفير » ،
عليها من الداخل اسم المحل ، كذاكار ! .. وذاك متجر ثالث
لاجهاز الراديو وما شابهها ، يبيعك جهاز التسجيل الالماني
المشهور - « جروندج » - بثمانين جنيها ، وهو يباع فى المانيا
ذاتها بمائة وثلاثين ! .. ومحل رابع يعرض قلم الحبر الامريكى
ماركة « شيفرز » بأربعة جنيهات ، وهو فى نيويورك نفسها
يساوى ثمانية ! .. والساعات السويسرية تباع باسعار



« كوينز رود » ، شارع المتاجر والملاهي في (هونغ كونج)
... كما يبدو ليلاً

زهيدة .. والثلاجات الأمريكية بنصف ثمنها في أى بلد آخر ! ..
والسيارة « المرسيدس » الفاخرة بثمانمائة جنيه ! .. والمتر
من أغلى الاصواف الانجليزية بثلاثة جنيهات أو اربعة على
الاكثر ، ويأخذ « ترزى » المحل مقاسك فوراً ليرد اليك القماش
بعد ٢٤ ساعة سترة كاملة مفصلة أحسن تفصيل ، يبرز حياكة
أشهر ترزى عالمي ، و « ترزية » هونج كونج يصعدون الى
سطح البواخر العابرة المقدر لها ان تبقى في الميناء يوما أو يومين ،
فيعرضون على الراكب عينة القماش وياخذون مقاسه ثم
يسلمون « البذلة » اليه في اليوم التالى قبل ان تغلق به الباخرة !

والتحف الصينية الثمينة ، والحرير الصينى ، والمفارش
واشغال الابرّة ، تباع بأرخص من سعرها في الصين ..
واسطوانات بيتهوفن وباخ وتشايكوفسكى - الطويلة المدى -
تباع بمائة وعشرين قرشا للاسطوانة .. وآلة التصوير « الرولى
فليكس » ، بأربعين جنيها .. وخلاط الفواكه الكهربائى بعشرة
جنيهات ! .. الى امثلة اخرى لا حصر لها لاسعار السلع
الخيالية في هذا الميناء الحر الذى لا شبيه له في العالم !

والآن ، وقد اغلقت المتاجر ابوابها ، يخلّى طلاب الشراء
المنهومون مكانهم من اربعة الشارع الكبير لفئة اخرى ،
تزايد بالتدريج ، هى فئة طلاب السهرات والملاهى .. ترى
ما هى برامج الملاهى الليلية في هذه المستعمرة المجيبة ؟ وابن
تحب ان تقضى السهرة ؟

في الاوبرا ؟ .. كلا ، فما دمنا في طريقنا الى (بكين) ومدن
الصين الكبرى فخير لنا ان نرجىء سهرتنا في الاوبرا الى
المناسبات القادمة ، كى نرى فن الاوبرا الصينى في موطنه الاصيل ،
فان فرق الاوبرا في هونج كونج لاتقاس في عراقه فنّها الى
زميلاتها من الفرق « المتعددة » التابعة لاوبرا (بكين) ، سواء
منها الفرق المقيمة التى تمثل رواياتها على مسارح العاصمة



المنظر التقليدى لكواكب الاوبرا
الصينية : مغالاة فى المساحيق
والثياب المزركشة !

الصينية ذاتها ، أو الفرق
المتنقلة التى تقدم برامجها
على مسارح الاوبرا فى
(شنغهاى) و (نانكنج)
و (كانتون) وغيرها من
مدن الصين .

واذن فلكى نتزود بفكرة
« صادقة » عن سهرات
هونج كونج التقليدية ،
تعال تقم بجولة بين أشهر
ملاهيها الليلية ، فنقضى
فى كل منها فترة قصيرة
نلم فيها بألوان الفن التى
تعرض فيها ، واعنى
بذلك : الفن الصينى
المحلى ، لا الفن الاوروبى
الذى نستطيع ان نراه فى
اى بلد آخر ..

شارع الملاحى

• وقبل ان نبدا سهرتنا ، ما أحوجنا الى شراب منبه
يعيننا على مغالبة التعب ، وينشط اذهاننا . هل لك فى قدح
من القهوة المصرية - أو التركية كما يطلقون عليها - فى هذا
المطعم الباريسى الانيق ؟ انه يسمى « باريزيان جريل » -
ويختصرونها الى (P.G.) - وقد اكتشفته حين دعانى صديق
هندى للفداء فيه ، قائلا انه أشهر مطاعم المدينة وأجودها
طعاما ، وأرقاها روادا .. وعجبت لقوله حين وجدته يقودنى
الى طريق جانبى ضيق متفرع من الشارع الكبير .. لكنى لم

أكد ادفع الباب الزجاجي وأدخل في اثر صاحبي حتى خيل
الى اننى حقا فى احد مطاعم باريس التقليدية : السقف المنخفض ،
والجدران الحمراء الداكنة ، وفى مواجهة الباب لوحة من نوع
لوحات « تولوز لوتريك » فى (الطاحونة الحمراء) ! ..
والسقاى برشاقتهم الفرنسية ، والمناضد بتنسيقها الجميل
وورودها .. وقد امتلأ المكان بوجوه توحى بان صاحباتها
واصحابها هن وهم بالفعل صفوة اهل المجتمع الراقى فى المدينة
.. وفوق البار كتب على الحائط المثل الفرنسى المأثور :
« وجبة بغير خمر ، أشبه بيوم لم تشرق له شمس ! »
(Un repas sans vin, une journée sans soleil)

.. وبعد ان اخذنا مكاننا الى احدى المناضد ، اقترح على
صديقى ان اجرب الطبق الروسى الذى اشتهر المطعم
بتقديمه : (Chicken Marshad) وهو نوع من الدجاج « المخلى »
من العظام ، محشو بالبطاطس والجبن والخضروات ! .. وقد
وجدته بالفعل طبقا شهيا للغاية ، بعيدا كل البعد عن الاطعمة
الاوربية أو الشرقية المألوفة . وحين فرغنا من الطعام قال لى
صديقى الهندى انه سيفاجئنى مفاجأة سارة لاتخطر ببالى ! ..
ثم نادى الساقى وطلب اليه ان يجيئنى بقدرح من القهوة التركية !
وأيقنت ان الرجل سيقدم لى شيئا لاطعم له ولا رائحة ، زاعما
انه القهوة التركية ! لكن دهشتى تضاعفت حين جاءنى بقدرح
امتع والذ من اى قدرح نشربه فى مقاهى القاهرة ، وكان السخاء
باديا للعيان فى حجم الفنجان وكثافة الزبد الذى يطفو على
سطحه ! وكم تظن كان سعر القدرح الضخم ؟ .. ستة قروش
فقط ! .. اما طبق الدجاج « الروسى » فكان ثمنه نحو خمسين
قرشا ، وهو مبلغ لا يقاس عليه اذا اريد معرفة نفقات المعيشة
فى الجزيرة ، ففى مواجهة ذلك المطعم مطعم آخر
اسمه A.B.C. يقدم وجبة العشاء الكاملة بما فى ذلك الحساء
والسمك باربعة وعشرين قرشا فقط

وفي هونج كونج عدد لا حصر له من المطاعم ، من جميع الدرجات والانواع ، بعضها اوروبى الجو ، مكيف الهواء ، وبعضها صينى الطابع ، او هندي السمات .. ومنها ما يقدم الاطعمة الاوربية وحدها ، وما يقدم الاطعمة الاوربية والصينية معا ، حسب الطلب ، ومنها ما يقدم الاطعمة الصينية وحدها . وقد تكون مشوقا الى معرفة ألوان هذه الاخيرة - وطريقة تناولها بالعصى الخشبية ! - غير انى اوتر ارجاء هذا الحديث حتى يجيء اوانه الطبيعى عند وصولنا الى (كانتون) و (بكين) ، حيث نتناول الطعام الصينى الاصيل !

هل فرغت من تذوق قدح القهوة التركية ، واستمرت نكهته ، وانتعشت للسهرة ؟ اذن هيا بنا نغادر المطعم الباريسى لنبدأ جولتنا فى شارع الملاهى .. ولكن مهلا ، ما هذا ؟ « فرش » ضخم للكتب والمجلات العالمية من جميع الانواع ، اقيم على رفوف خشبية بجوار الباب الخارجى للمطعم . يالها من تشكيلة ضخمة ، اشهى منظرا من الطعام الذى فى الداخل ! .. حتى لتفرينى بالتوقف امامها اكثر من نصف ساعة ، اتصفح واقلب ، ثم انتقى مجموعة شائقة من الكتب وأمضى ..

والآن ، بأى ملهى تود ان نبدأ جولتنا ؟ .. هذه لافتة مضاءة تعلن عن برنامج صينى ، والملهى فى الطابق السادس ، فلنستقل المصعد . وندخل الى قاعة مكيفة الهواء ، خافتة الضوء ، فى صدرها لوحة كبرى لامرأة عارية ، داخل اطار زجاجى ، وتحتها جوقة موسيقية ، وفنائة صينية تغنى ، بالانجليزية ، اغانى دافئة . انه اذن برنامج « انجلو - صينى ! » .. ونجلس على اريكة فى مقصورة جانبية ، وتقبل فتاة صينية رقيقة المحيا ، قد تدلت على كتفيها ضفirtا شعر ، وحملت على صدرها صندوقا به بعض المأكولات الخفيفة ، كى تختار منه ما يروقك ، على ضوء بطارية رشيقة فى يدها . ويقبل فى

اثرها كبير السقاة يعرض عليك ان يرسل اليك فتاة تجالسك !
 .. وتعتذر اليه بانك لن تطيل البقاء في المكان .. وترى على
 قيد خطوات منك شابا وفتاة يتبادلان القبلات على مرأى من
 الجميع ، دون ادنى حرج . أهذا هو البرنامج الصيني المزعوم ؟
 فلنخرج من هذا الملهى الى سواه ، سيما وان القوم هناك
 لا يتقاضون تذكرة عند الدخول - كما هو الحال في سائر
 البلاد - فضلا عن انهم والحق يقال معتدلون للغاية في اسعار
 الطلبات .. ونمضى الى ملهى آخر يجاوره .. ثم ثالث .. ثم
 رابع .. فخامس .. الخ .. فنقضى في كل منها ربع ساعة ،
 ريثما نسمع اغنية او نشاهد رقصة ، ونحن نلقى نظرات
 فاحصة على جو المكان : على الديكور ، والزخرفة ، والاضاءة ،
 وطريقة الخدمة ، والسحن المتفاوتة للحاضرين - من شتى
 الجنسيات والاقطار - ثم نخرج من هذه الجولة بين عشرات
 الملاهى ، (وفي كل من الجزيرة وكاولون بدل العشرات مئات !)
 نخرج بفكرة واضحة محددة : ان هونج كونج شيء ، والصين
 شيء آخر ! هنا فنون سطحية ، اختلطت فيها السمات الصينية
 بالاوروبية فصاعت هذه في غمار تلك ! .. فنون « تصنع »
 صناعة ، بغية جلب السياح وامتاع غالبيتهم العابرة التى تشد
 مجرد التسلية . ومن اجل هذا نشروا في كل ملهى عشرات
 من الحسان ذوات السحنة الصينية والاثواب الانيقة المشقوقة ،
 لكل طالب صيد على طريقة البحارة الذين يحبون ان يتزودوا
 من كل ميناء بمغامرة ، وذكريات ! .. ومن فاض عن حاجة
 هذه الملاهى من الحسان خرج الى الطريق يعترض طريقك امام
 ابواب الفنادق والخوانيت ، ليدعوك الى غرفته او غرفتك ..
 ولو اتيح لى ان اكتب اليك يومئذ رسالة من هونج كونج ذاتها ،
 لكنت اطلقت عليها (باريس) الشرق الأقصى ، فقد كانت
 المفارقة شاسعة - في ميدان اللهو - بينها وبين مدن الهند ،

أو حتى بينها وبين القاهرة - (وسوف ترى ان المفارقة ستكون أشد وأبعد مدى بينها وبين مدن الصين الشعبية ، بلا استثناء) - لكنى أعود الآن فأجرد هونج كونج من هذا اللقب الذى يشبهها بباريس ، بل انى اخلع عن باريس ذاتها - دون تردد - هذا الثوب الذى اشتهرت به ، ثوب التحرر من كل قيد فى باب العلاقات بين الجنسين .. فان باريس خليقة بأن تعتبر فى نظر طلاب اللهو ((معبدا)) ، وهونج كونج ((سجنا)) ، بالقياس الى .. طوكيو !

أعلم انها مفاجأة بالنسبة لك ، لكنها كانت مفاجأة أشد وقعا بالنسبة لى .. فانت حين تزور طوكيو معى - بعد عودتنا من الصين باذن الله - سوف تكون مهيتا لهذه المفاجأة بعض الشيء ، بعد ان أثرت ان امهد ذهنك لها الآن بهذه السطور ، تخفيفا لحدثها ، أو - بلغة الاطباء - تحصينا لك منها بجرعة مخففة ، تكون بمثابة المصل الواقى ! .. اما بالنسبة لى ، فقد ادهشتنى المفاجأة - التى لم تكن لها مقدمات - الى حد جعلنى اتخذها موضوعا للدراسة ، أسأل فيه وأناقش كل من توسمت فيه القدرة على تفسير هذه الظاهرة التى حيرتنى ، وهى : كيف استطاع شعب اليابان ان يجمع ، فى آن واحد ، بين هذا الاغراق الهائل فى اللهو والمتعة ، الى حد التحرر من كل قيد .. وبين ذاك الاغراقى - الهائل ايضا - فى الجد والعمل والانتاج ؟ !

لقد بدا لى الأمر لغزا جديرا بالدراسة كما قدمت - (رغم انى لست من المتزمتين بحال ، بل انى اعد نفسى من دعاة التحرر من كثير من التقاليد ، والتمرد على كثير من الاوضاع !) - ولكن ما رأيته فى طوكيو فاق نزعتى التحررية بمراحل ، وسبقها بأميال ، بل لم لا اقول انه صدمها وحيرها ، فذهبت أسأل ، وأبحث ، وأنقب ، عن تفسير لهذا اللغز : كيف استطاع شعب



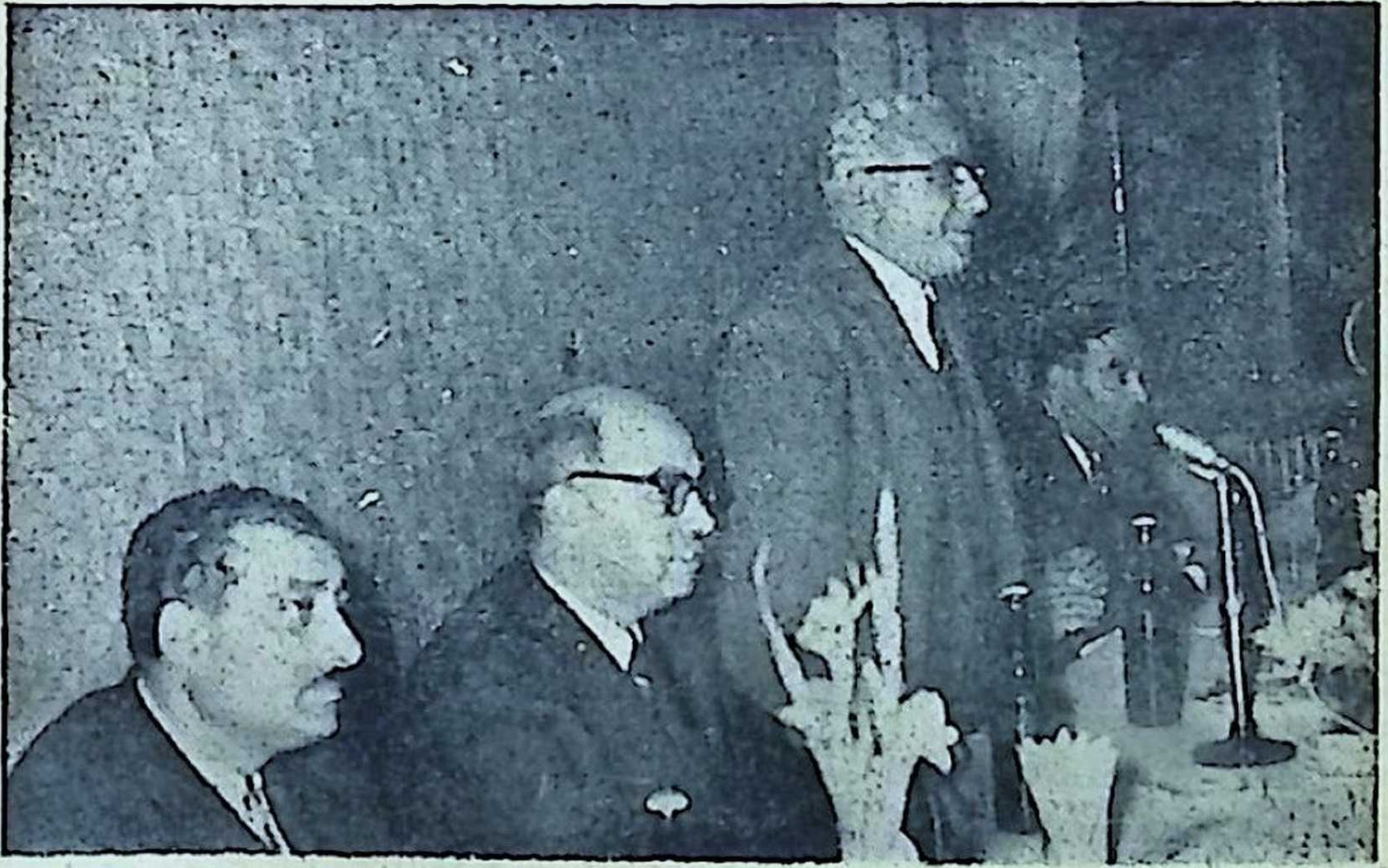
يابانية من فنانات مسرح « كوكازاي » المشهور بطوكيو ، وهو
بضارع ملهى « الفولى برجير » ببـاريس ، بل يتفوق عليه !

اليابان أن يلهو دون وعى ودون حدود حتى الصباح . . ثم يعمل وينتج ويجد ، دون وعى ودون حدود أيضا ، من الصباح حتى المساء ؟ !

كيف استطاع هذا الشعب العجيب ان يطفر - فى ميادين العلم ، والصناعة ، بل والحرب ! - هذه الطفرات الجبارة التى اذهلت العالم ، دون أن يحرم نفسه من سبب من اسباب المتعة ؟ . . بل كيف استطاع ، وهو على هذه الحال من التحرر المطلق ، ان يسبق شعوب العالم قاطبة فى ميدان الطب الجراحى ، كما اكد لى طبيب من (بورتو ريكو) بأمريكا الوسطى - هو الدكتور « ينارو باريراس » - وكان قادما لتوه من حضور مؤتمر عالمى للجراحة عقد فى هونولولو فى اواخر نوفمبر الماضى ؟ ! (وقد شهدت مصداق قوله فى قاعة العمليات بمستشفى كلية الطب فى طوكيو ، حين حضرت فيها جراحة خطيرة اجريت فى القلب !)

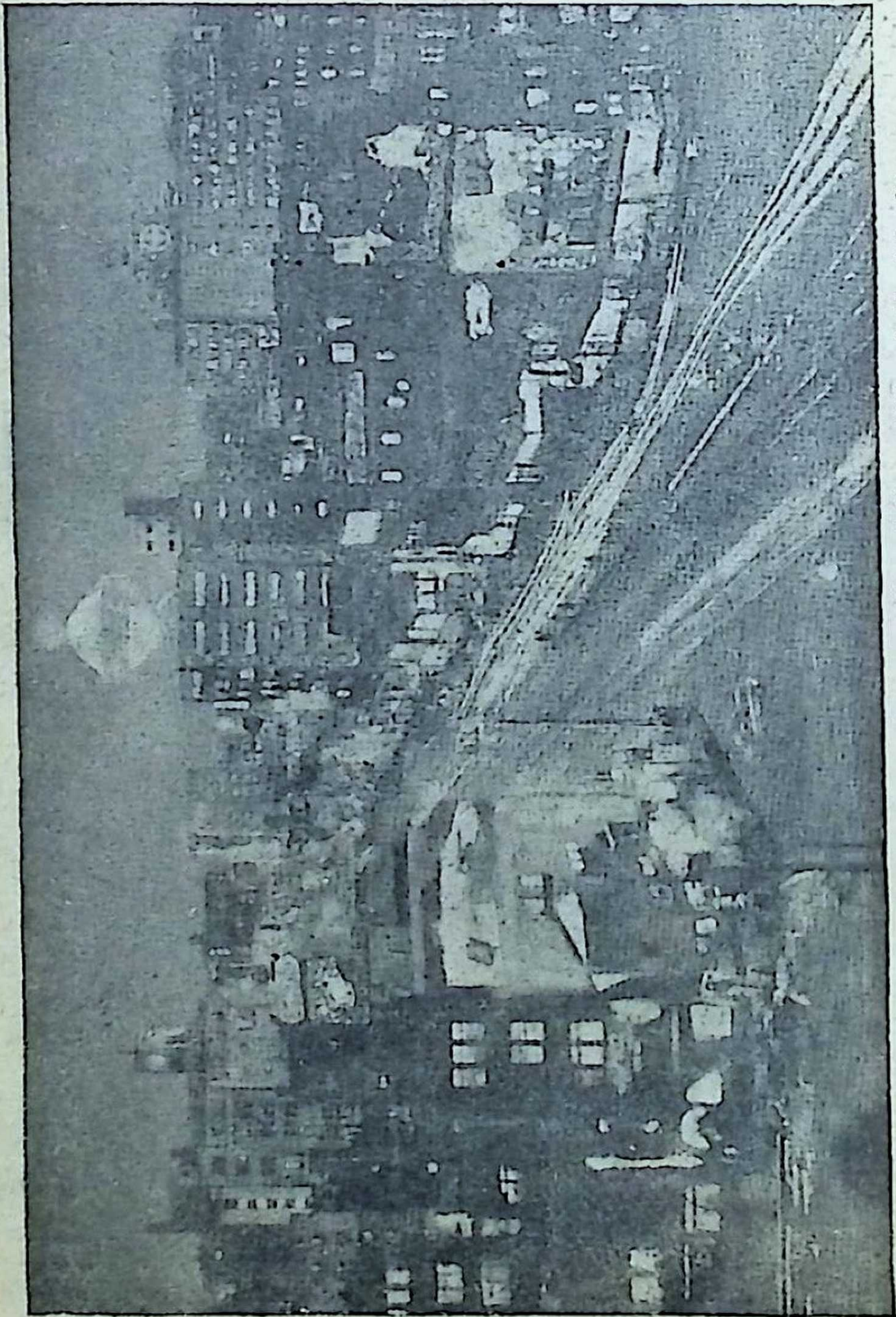
لقد وجهت هذه الأسئلة الى كثيرين من اليابانيين الذين التقيت بهم فى طوكيو . . وجهتها الى الأديب ((ايشيرو كايتا)) الذى كتب اول دراسة جدية مزودة بالأسانيد التاريخية والاستقراءات الاجتماعية لنظام فتيات « الجيشا » فى اليابان ، اللواتى يلتحقن بمدارس خاصة لمدة خمس سنوات ، تمهيدا لاحترافهن مهنة الترفيه عن الرجال ، بالغناء والرقص والعزف على القيثارة اليابانية التى يطلقون عليها SAMISEN

ووجهت الاسئلة ذاتها الى الصحفي والكاتب ((ريوسوكى هوندا)) مدير وكالة JAPAN PRESS ، والى الثنائة ممثلة المسرح اليابانية الكبيرة « تيروكو كيشى » ، حين تعرفت بهما فى الندوة التى اعقبت الاحتفال الكبير الذى دعتنا اليه الجمعية اليابانية للتضامن الاسيوى فى دارها بطوكيو مساء ٢٧ اكتوبر الماضى .



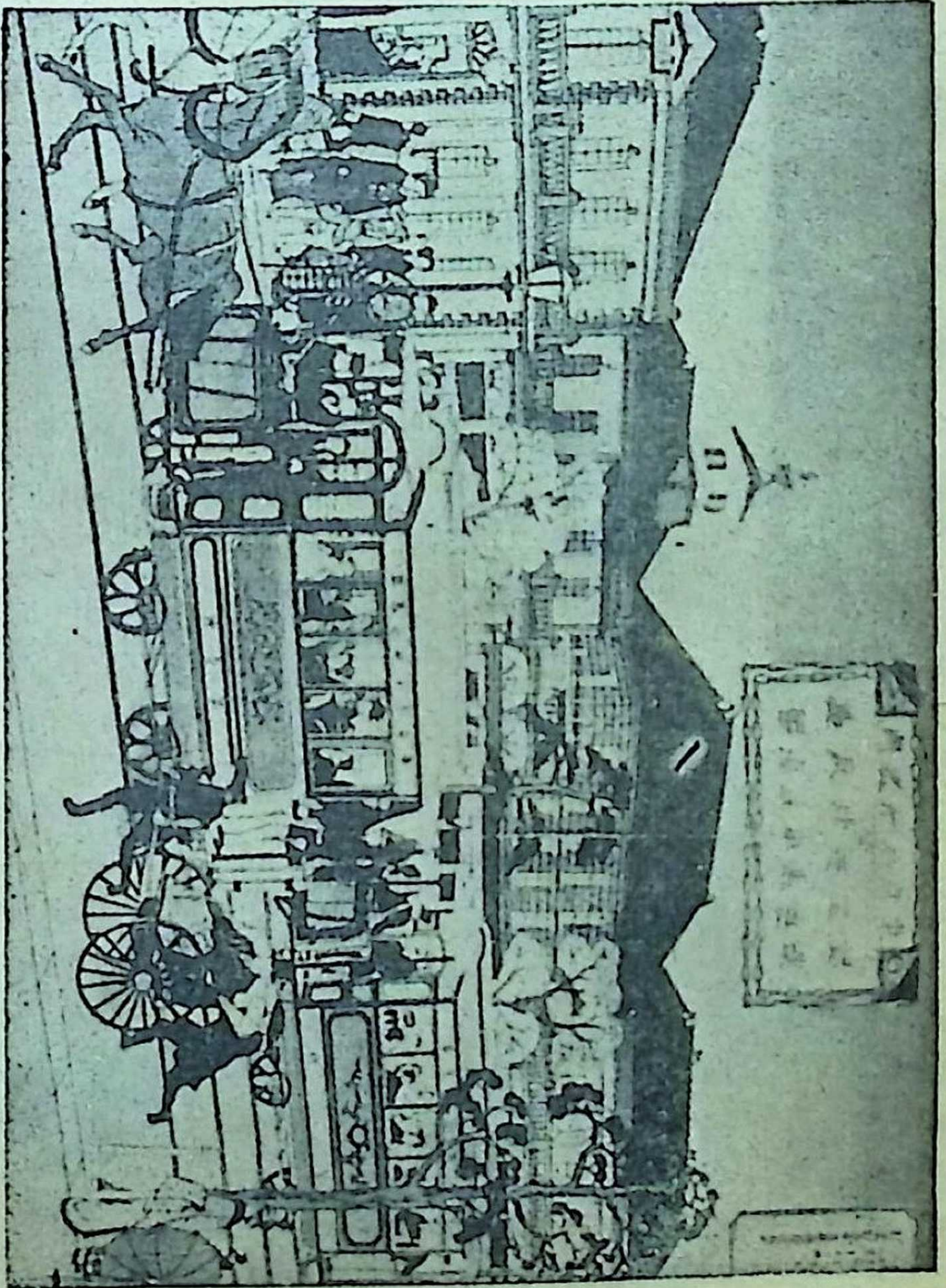
في الاحتفال الذي اقامته للوفد الثقافي جمعية التضامن الاسيوى بطوكيو ، يرى رئيس الوفد الدكتور السعيد مصطفى السعيد مدير جامعة الاسكندرية يلقي كلمة ... والى يمينه الدكتور احمد نجيب هاشم وكيل وزارة التربية والتعليم ، فالمحرر ..

ووجهت نفس الاسئلة الى المالى الكبير صاحب مصانع النسيج « ج . و . امبلر » ، الذى التقيت به فى الطائرة اثناء عودتى من طوكيو ، فتحدثنا فى هذا الموضوع طويلا
لقد رايت فى طوكيو - وعلى الاخص فى حى (جنزا) المشهور بمتاجره العالمية الضخمة وملاهيته التى لا تقع تحت حصر - « عشرات » الشوارع الكبرى التى تسير فيها السيارة نحو نصف ساعة دون ان تنحرف ، بين صفين من الابنية المضائة بأنوار الفلورسنت والنيون المتراقصة بلا انقطاع .. وفى كل شارع منها ، وكل بقعة من كل شارع ، تجد بين كل ملهى وملهى ، ملهى ثالث ! .. هذا تصعد اليه بسلم ضيق طويل ،

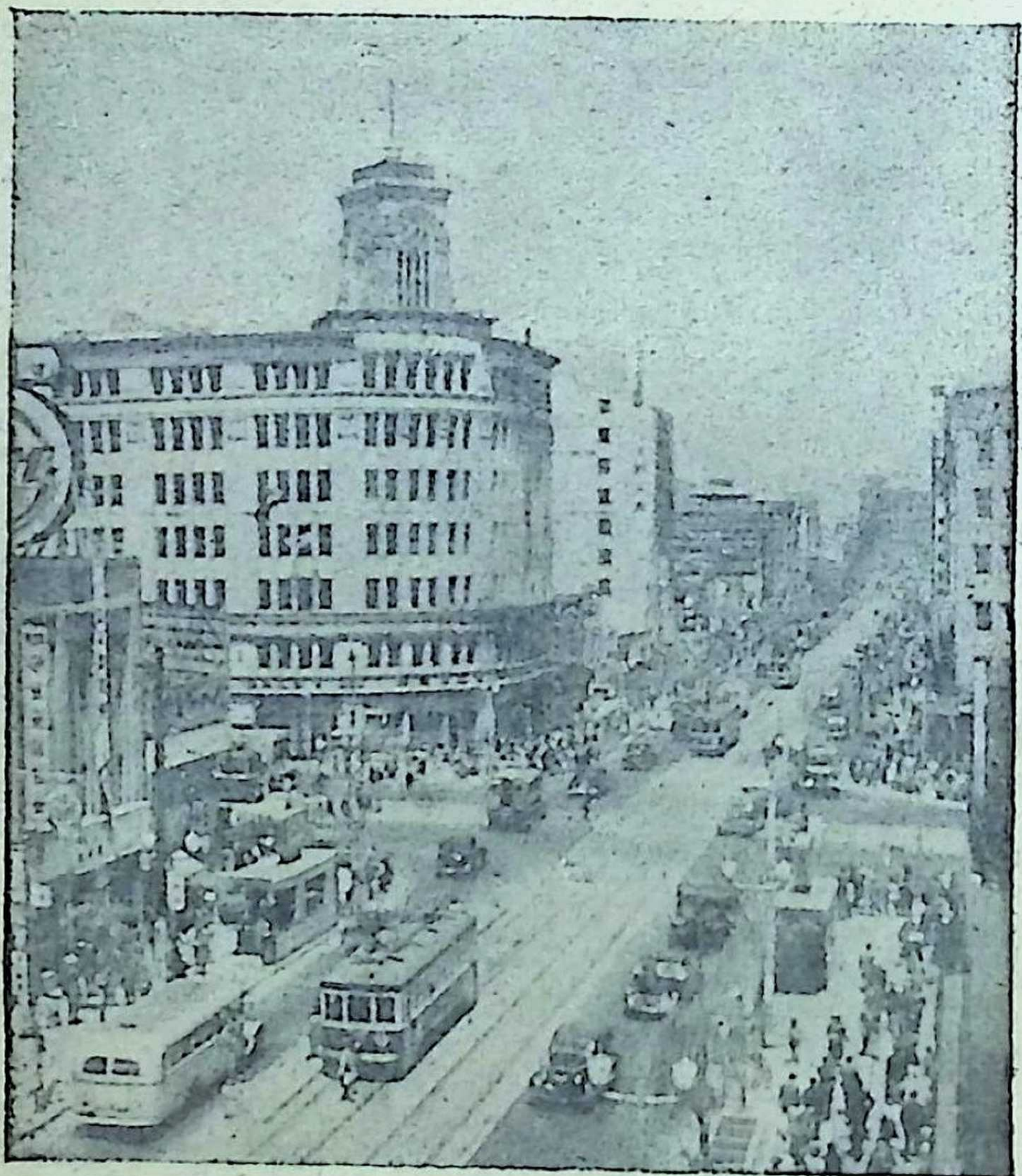


منظر لیلی لشوارع الملامى والمتاجر الكبرى بطوکیو ، ویطلق على الشوارع وعلى الحى
کله اسم «جنزا» ومعناه «حى الفضة» لانه کان فى الماضى مرکز صیافة الحلى الفضية

وبجواره آخر تهبط اليه من الشارع بسلم ضيق طويل ! ..
 وثالث تدخله خلال باب واسع عريض ، شأن الملاهي العصرية ..
 رابع تحسبه مطعما فاذا دخلت الفيته ملهى ! .. وخامس



شارع « جنزا » كما كان يبدو في عام ١٨٦٠ ، وترى فيه عربات السرام التي يجرها الحصان . وفي يمين الصورة عربة الريكشو التي يجرها الادميون ، وقد انشأ استعمالها في اليابان منذ زمن



شارع جنزا كما يبدو اليوم

تظنه حانوتا فاذا دخلت وجدته ملهى ! .. وسادس تخاله بيتا فاذا دخلت ظهر انه بدوره .. ملهى ! .. وقد أحصيت مرة عند الملاحى فى مسافة من الطريق لا تزيد عن المائة متر ، فبلغ خمسة واربعين ملهى ! .. ولا تعجب ، فان ابواب الكثير من الملاحى اليابانية القديمة لا يزيد عرضها عن متر واحد ، بحيث

لا يتسع لمرور شخصين في وقت واحد ! .. وقد خرجت من هذا الاحصاء بأن في طوكيو وحدها لا أقل من عشرة آلاف ملهى ، ان لم تزد ..

فأنت تسير في هذه الشوارع اميالا ، وتنفق من الوقت ساعات ، دون ان تنقطع لافتات الملاهى وعلب الليل من كل لون يخطر على البال : هذا على الطراز اليابانى تستقبلك فيه حسان يرتدين ثيابهن التقليدية ويجلسن على حشيات ناعمة على الارض .. وذاك اشبه بالبار المضاء بانوار خافتة ، وقد جلست فيه النساء اليابانيات في ثياب اوربية ، ولكن عاريات الصدور تماما ! (واكثر راقصات كازينوات اليابان يرقصن هكذا !) .. وهذا كباريه عصرى ضخمة اشبه بقصر من البللور الازرق والاحمر والاسود ، تجتاز بابه فاذا انت امام معجزة من معجزات التصميم والزخرفة لم ار لها مثيلا في اية عاصمة اوربية زرتها .. فقد جلست جوقة الموسيقى على منصة مستديرة معلقة في منتصف المسافة بين الطابق الارضى وسقف الطابق الخامس للملهى ، كأنها « نجفة » مدلاة من السقف ، وحولها خمسة طوابق من الشرفات الدائرية التى جلس فيها رواد الملهى

والى جانب الملاهى التى من نوع الكباريهات وعلب الليل ، توجد في طوكيو مئات المسارح ودور الاوبرا وصالات الاستعراض والميوزيكهول (التى يفوق بعضها استعراضات « الفولى برجير » بباريس !) ، ثم قاعات الموسيقى الكلاسيكية ومسارح الفن اليابانى القديم المسمى « كابوكى » .. والمطاعم والحانات الخاصة التابعة لكبريات الشركات والمؤسسات اليابانية ، التى تقوم فيها فتيات (الجيشا) بخدمة روادها والترفيه عنهم بالرقص والغناء والعزف على القيثارة ..



اليابانية ابرع نساء العالم في تنسيق الازهار ، وترى في الصورة
حسنا تتاهب لهذه المهمة ، وقد جلست على حشية على
الارض ، كعادة بنات جنسها .. فالبيت الياباني لا مقاعد
فيه ، ولا سرير ، بل « مرتبة » على الارض ! ...

وهناك الحمامات اليابانية الفريدة في نوعها (وعددها في
طوكيو وحدها ١٨ حماما كبيرا ، يتألف كل منها من مبنى
يشبه العمارة الضخمة ، يضم المئات من غرف الحمام الصغيرة ،

ويطلقون على هذه الحمامات اسم « اونسن » . وفي هذه الحمامات تجد الفتيات اللواتي يرتدين زيا اشبه بلباس البحر « البكينى » المؤلف من قطعتين ، يقمن باعطائك حمام البخار التمهيدى ، ثم يغسلن لك جسمك بالماء والصابون ، وبعدئذ تاتى مرحلة تدليك الجسم ، ظهرا لبطن ، بطريقتهم الخاصة التى يدرسنها فى معاهد خصصت لذلك .

بل ان التدليك بمعرفة فتيات محترفات لهذه المهنة لا يقتصر فى اليابان على الحمامات ، وانما هو نظام شائع فى الفنادق ، حيث تستطيع فى اى وقت تشعر فيه بشيء من التعب أو البرد، ان تدق الجرس لتطلب من خادمة الفندق ان ترسل اليك فى غرفتك فتاة من المخصصات للتدليك ، ويطلقون عليهن : Massage Girls . فلا تمضى دقائق حتى تدخل عليك فتاة لاتزيد سنها عن ثمانية عشر عاما ، مرتدية زيا انيقا سماوى اللون ، وحذاء من المطاط ناصع البياض ، تحمل فى يدها علبة « بودرة » صغيرة ، فتأخذ فى تدليك جسمك - وانت مرتد ثيابك الداخلية فى هذه المرة - مبتدئة من الكتفين ، الى الذراعين ، والظهر ، فالساقين . ويتقاضى الفندق عن عملية التدليك هذه ٣٥٠ « ين » بعملة اليابان ، اى خمسة وثلاثين قرشا مصرية .

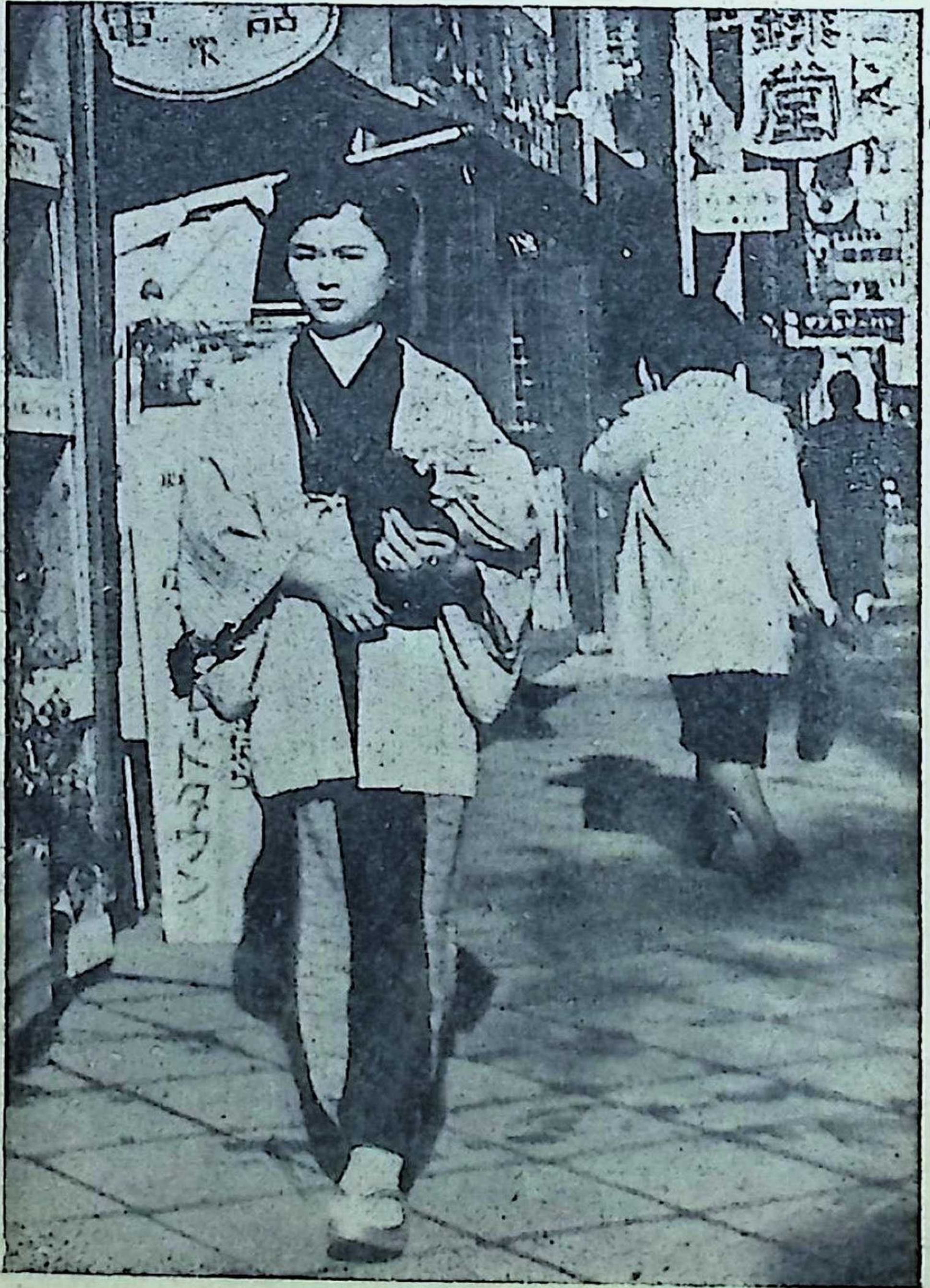
ومن اغرب ملاهى طوكيو ايضا ملهى «سفينة الاستعراض» . ويتألف من ثلاثة طوابق ، انتشرت فيها نحو ثلاثمائة فتاة يرتدين ما يشبه « مايوه » الاستحمام ، ولا تكاد تدخل من الباب حتى يتزاحم عليك عدد منهن ، كل تبغى ان تجالسك أو تراقصك وتقضى السهرة معك . وفى ملاهى طوكيو نظام شائع هو نظام «المضيفة» ، الذى يتيح لك ان كنت وحيدا ان تنتقى من تروقك من بين عشرات الحسان الفاتنات الانيقات المخصصات لذلك ، كى تجالسك وتؤنس وحدتك طيلة السهرة ، مقابل مبلغ الف « ين » - اى جنيه مصرى - دون ان تفرض عليك

مشروبا غالى الثمن كما تفعل « الأرتيست » في سائر بلاد العالم
الآخري



ثلاث من فتيات « الجيشا » اليابانيات ، اللواتي يدرسن فنون
الفناء والعزف والرقص لمدة خمس سنوات ... وترى
مبلغ عنايتهن بتصفيف شعرهن وزدكشة ازيائهن ! ...

فاذا خرجت الى اى شارع من شوارع اللهو في طوكيو ، او وقفت لحظات امام اى ملهى ، او فندق ، فلا بد ان يتقدم منك شاب حسن المظهر ، يعرض عليك - بغير مقدمات او مواربة - ان يقودك الى بيت من بيوت الدعارة ، او الى حيث تتفرج على ((مشهد خاص)) من مشاهد الشذوذ الجنسى ، او المشاهد الجنسية الطبيعية ، او الافلام الجنسية المثيرة ! .. الخ الى هذا الحد تمارس الاباحة الجنسية في اليابان ، بلا قيود ، ولا حدود ، من اى نوع كانت ! .. فلا منع ولا تحريم لآى لون من ألوان المتع التى تدخل فى هذا الباب .. والفنادق مفتوحة على مصراعيها لآى رجل وامرأة ، دون ادنى تدخل او تعرض لحقيقة العلاقة بينهما او مداها .. ونساء الطريق منتشرات فى كل خطوة ، وامام كل فندق وملهى ، يعرضن انفسهن على كل عابر ، قبل ان يلقى اليهن نظرة او تحية .. وبيوت البغاء فى حى (يوشيوارا) متراسة على جانبى الشوارع ، تشرف عليها الدولة من الناحية الصحية ، وتصرح بها - (ولعل هذه أهون الظواهر التى تشهدها فى اليابان ، فى هذا الباب ، اذ تشاركها فيها الكثير من دول العالم وعواصمه ، وفى مقدمتها (روما) عاصمة الفاتيكان) - والقوادون الى بيوت الدعارة والشذوذ ينتشرون فى الشوارع الكبرى بشكل غريب ملحوظ ، بحيث لاتسير مائة خطوة الا ويستوقفك واحد منهم .. الامر الذى لا يحدث فى (باريس) نفسها الا فى النادر - فلقد قضيت فى باريس عشرة ايام ، لم يعترضنى خلالها من تجار الشذوذ غير شخص واحد ، فى ميدان (بيجال) .. اما فى طوكيو ، فخلال الايام الثمانية التى قضيتها فيها ، اعترض سبيلى نحو ثلاثين او اربعين من هؤلاء ! .. بل لقد وقع لى ما هو أعجب من ذلك ، حين كنت أعبر الميدان المواجه لفندق (نيكاتسو) ، وهو من اكبر فنادق المدينة ، وكان ذلك فى الساعة السابعة مساء - وليس فى الثالثة او الرابعة بعد منتصف الليل مثلاً! - اذ اعترضنى



حسنة يابانية تسير في شارع «جنزا» مرتدية زي اليابانيات القومي

شاب يبغى التحدث الى ، فأدركت انه سيعيد على سمعى
نفس « الاسطوانة » التى سمعتها مرارا من سواه ، فلم أعبأ
به وهممت بمواصلة المسير ، واذ ذاك بادر يوضح لى اننى اخطأت
ولم افهم قصده الحقيقى ، فانه ليس قوادا - لا سمح الله ! -
كما تبادر الى ذهنى ولا شك ، وانما هو « فتى مخنث » ، أو على حد
تعبيره بالنص GAY BOY ، يمارس الشذوذ ولا يرشد
اليه ! (ويرحم الله مخنثى (نابولى) المشهورين وقواديهما !)

ومرة أخرى أتساءل ، وأدعو علماء النفس وعلماء الاجتماع
الى الادلاء برأيهم فى هذا اللفز العجيب : كيف استطاع اليابانيون
ان يجمعوا بين المغالاة فى اللهو ، وبين التفوق الهائل فى العمل ، فى
وقت واحد ؟ ! .. هل يرجع ذلك الى استعداد خاص فيهم ،
وعبقريّة جبارة ، غير عادية ؟ وكيف كان يكون انتاجهم فى العمل ،
لو عاشوا فى ظل حكم يفرض عليهم التقشف الكامل والحرمان
من كل اسباب اللهو الرخيص ، كماهى الحال فى الصين الشعبية
مثلا ؟ هل كان نهوضهم يكون اقوى وأعظم ، أم لعله - ومن
يدرى ! - كان عندئذ يتناقص ؟ .. وهل يختلف تأثير اللهو
على العمل ، بين شعب وشعب - طردا وعكسا - أم ان للأمر
قاعدة وقانونا ثابتين ، يقضيان بأن الاغراق فى اللهو يؤدى الى
النقص فى الانتاج ، والى الانحلال الخلقى . . والعكس بالعكس ؟
.. الواقع ان المشكلة ليست بالسهولة التى تتبادر الى الذهن
لأول وهلة ، فالثابت ان هناك شعوبا - كالشعب الفرنسى مثلا
- ادى بها اللهو الى الانحلال . . والقاعدة ذاتها تسرى على
الصين ، التى نهضت فى ظل التقشف الحالى نهضة جبارة
سأحدثك عنها فى حينها . . فهل شعب فرنسا وشعب الصين
من طينة ، وشعب اليابان من طينة اخرى ، بمعنى ان لكل شعب
طبيعته الخاصة ، وظروفه ، وبيئته ، وميوله ، التى تفرض عليه
اتجاهها معين ، قد لا يصلح لغيره ، أو قد يؤدى بهذا الغير الى

عكس النتيجة التي أدى به هو إليها ؟ .. ان صح هذا فأنا ادعو علماء النفس والاجتماع في كل دولة الى ان يدرسوا طبيعة



من العادات المألوفة في كل من الصين واليابان ان تحمل الام طفلها في كيس تضمه على ظهرها ، كما يبدو في هاتين الصورتين ، (واليمنى منهما لصينية ، واليسرى ليابانية)

شعبها ، ليقررُوا مدى الحرية التى ينبغى ان يمنحها ، ونوع النظام الاجتماعى الذى يصلح له ، وينهض به ..

أسمعك توشك ان تقاطعنى بقولك ان اباحة هذا الاغراق فى اللهو قد تكون شيئاً جديداً على اليابان ، ادخلته عليها السيطرة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية ، ربما لتبذر فيها بذور الانحلال ، وتستريح من منافستها لها فى التجسار ، ومناواتها لها فى الحرب ! .. ويتفرع عن ذلك ان هذا الاتجاه الجديد قد يكون عاق عجلة التقدم فى اليابان ، وعرق نهوضها الذى اذهل العالم قبل الحرب الاخيرة !

لكنى ابادر فأنفى هذا الظن ، وأبعد هذه الفكرة عن نطاق البحث ، بعد ان خطر ببالى هذا الاحتمال وتبينت عدم صحته .. للأسباب الآتية :

اولا : ان الشوارع الرئيسية ، التى تتزاحم فيها ابواب دور اللهو بالمناكب ، لم تشق وتنشأ حديثاً ، وانما هى شوارع انشئت منذ عهد بعيد ، و ٩٠ فى المائة من ملاهيها قديمة البناء والطراز - من الخارج - وقد اقيمت منذ عشرات السنين ، قبل الاحتلال الأمريكى !

ثانيا : ان هذا الاغراق فى اللهو لا يمكن ان يكون من صنع امريكا أو من وحيها ، لأن اقوى جيش احتلال فى العالم لا يستطيع ، مهما بلغت سطوته ، ان يفرض على شعب من الشعوب مسلكاً اجتماعياً معيناً ، أو اتجاهها ليس من طبعه ! .. فضلاً عن ان اباحة اللهو على هذه الصورة ليست معروفة فى امريكا ذاتها ، أو فى اية دولة أخرى من دول الغرب .. أو الشرق !

ثالثاً : ان هذا العدد الضخم من دور الملاهى لا « يعيش » على رواد امريكيين ، بل ان نسبة هؤلاء بين رواده ضئيلة لا تذكر ، وانما غالبية الذين يترددون على كباريهات طوكيو يابانيون ، أو سائحون من دول اخرى غير امريكا .. وبهذه



من اليابانيات من تحرص على ارتداء زيا الوطنى ، ومنهن من ترتدى الزى الاوروبى ، وترى فى شوارع طوكيو خليطا من الفريقين

المناسبة فانك لا تلحظ في طوكيو أثرا للأمريكيين ، سواء العسكريين أو المدنيين ، لا في الشوارع ولا في الملهى ولا في المجتمعات .. ولا تكاد عينك تقع على نفر منهم الا في الفنادق ليلة الأحد ، حين يخرجون من ثكناتهم البعيدة ليقضون يوم عطلتهم الاسبوعية . وقد عدت من طوكيو مقتنعا بأن الاحتلال الأمريكى لم يستطع ان يتغلغل الى ما وراء نطاقه السياسى ، فلم يترك في القومية اليابانية أو في المجتمع اليابانى - بتقاليد الموروثة - أى أثر ملحوظ

رابعاً : ان هذه الصور من الإباحة ، فيما بدا لى ، متأصلة فى صميم الطبع اليابانى الموروث ، فهى جزء من تقاليدهم وتراثهم ، لا يرون فيه أى غضاظة أو وجه للاستغراب ، بل أكاد أشعر انهم يعتزون بحريتهم الشخصية فى هذا المضمار ، ويفخرون بها .. سيما وانها لا تؤثر فى كيان الأسرة أو تصيبه بأى تصدع أو انحلال ، بالمعنى المفهوم ، فالأسرة عندهم - فيما سمعت - بخير ، لها احترامها وحصانتها ، والزوجة مخصصة لزوجها ، تحبه وتطيعه ، والزوج يحب زوجته واولاده ، ويوفر لهم كل مطالبهم ، المادية والمعنوية .. اما ان تضطره متاعب الحياة الى ان ينشد لنفسه السلوى ، أو ينشد لأعصابه الراحة ، فى رفقة فنانة من فتيات (الجيشا) تغنى له بصوتها العذب وهى تعزف على القيثارة ، أو ترقص له رقصة كلاسيكية رفيعة ، لها اصول و « مدارس » .. أو ترفه عنه بقصة أو طرفة ترويحها ، أو تقدم له الطعام والشراب بيد حانية تفهم متاعب الرجال .. اما هذا كله فشىء آخر ، يدعم الأسرة فى نظرهم ولا يهدمها ، لأنه يجدد نشاط الرجل ومعنويته ، وجلده على العمل والكفاح .. (وللقوم فى هذا فلسفة يطول شرحها ، سوف أعود اليها بالتفصيل فيما بعد) .

خامسا : واما ان في طوكيو وحدها من نساء الهوى المحترفات قرابة ثلاثة ارباع المليون - (من بين تسعة ملايين نسمة تقطن المدينة التى انتزعت منذ شهر مايو الماضى اولوية التعداد من نيويورك ولندن !) - فذلك امر قد يكون الغرض منه تشجيع السياحة ، والترفيه عن الاجانب - الذين يدرون على خزينة الدولة دخلا هائلا ! - كما قد يكون الغرض منه الترفيه عن اليابانيين انفسهم . . او الأمرين معا ، لست أدري . . لكن الذى استطيع ان اجزم به على اى حال - وهذا يعود بنا الى اللغز العجيب ، او الحلقة المفرغة ! - هو أن الشعب اليابانى برغم هذه السياسة «الترفيهية» ، أبعد ما يكون عن الانحلال . . وانه اذا كان قد استطاع ان يذهل العالم بنهضته السريعة قبل الحرب الاخيرة ، فانه اليوم اقوى وأشد نهوضا ، ونتاجا ، منه فى أى وقت مضى !

لقد زرت فى طوكيو المعاهد والجامعات ، والمتاحف - على اختلافها - والمعابد، والمستشفيات، والمطابع ، ودور النشر . . وذابت نفسى حشرات وأنا اتنقل بين أقسام أضخم مكتبة فى آسيا ، وهى مكتبة (ماروزين) التى لم أر لها مثيلا فى باريس نفسها ، والتى تشتري منها كل ما يخطر ببالك من انواع الكتب ، بشتى اللغات . . وتضاعفت حسرتى وأنا ادخل دار صحيفة (مينيتشى) اليومية ، التى تطبع حوالى ثمانية ملايين نسخة يوميا ، لا سيما حين وقفت من المشرفين عليها على الحقيقة المزعجة - لنا - التى تقرر ان الوعى « القرائى » والاقبال على شراء الصحف فى اليابان قد بلغ الحد الذى يباع فيه من الصحف اليومية كل يوم نحو ٣٥ مليون نسخة ، أى بمعدل نسخة لكل شخصين ونصف شخص من السكان !

. . وزرت فى العاصمة القديمة - (كيوتو) - آثارها ، وحدائقها ، ومراكز بعض الفنون التطبيقية فيها ، كالحفرة على

الخشب ، والرسم على الحرير ، كما زرت فيها اقدم مدرسة
لتخريج راقصات الجيشا - (ومدة الدراسة فيها خمس



احدى فتيات « الجيشنا » جالسة في حديقة بمدينة
« كيوتو » - عاصمة اليابان القديمة ، حتى عام ١٨٦٨ -
وقد كانت الموطن الاصلى لنظام « الجيشنا »

سنوات !) - حيث خلعت حذائي على الباب قبل ان يسمح لي بالدخول الى حرم المعهد العريق الذي انتقضت عليه ٣٠٠ سنة ! .. ثم زرت مشربيا للشاي ، على الطراز الياباني ، فجلست على الارض وحضرت « العملية » التقليدية لاعداد الشاي المر وتقديمه مع الحلوى ، بعد الانحناء له في خشوع ! .. وفي نهاية اليوم نمت في حانة يابانية ، على فراشهم التقليدي الذي يتألف من حشية على الارض ووسادة ملفوفة ، محشوة بالقش !

وفي (اوزاكا) - المركز الصناعي الضخم - زرت مصنعين ، أحدهما للنسيج والآخر للمواد الكيميائية ، وشهدت من مظاهر التقدم الصناعي الجبار ما سأحدثك عنه بأسهاب فيما بعد . وكانت الطائرة اليابانية السريعة التي اقلتنى بين اوزاكا وطوكيو ، مصداقا آخر لهذا التقدم . وفي تلك الطائرة ، قرأت في الصفحة الأولى من صحيفة ذلك الصباح ، الثاني من ديسمبر ، نبأ وشك اقرار الحكومة لبرنامج العشر سنوات الخاص بتحسين الطرق والسكك الحديدية والموانئ ، وهو برنامج سوف يكلف الدولة ١٧٠٠٠٠٠٠٠٠ (ألفا وسبعمائة مليون) جنيه مصري !

والخلاصة ، اننى رأيت وسمعت من مظاهر نهوض الشعب الياباني ، في ميادين الصناعة .. والتجارة .. والطب .. والعلوم .. والفنون .. والآداب - (وهو ما سوف احدثك عنه جميعا بالتفصيل في حينه) - ما يكذب كل مظنة انحلال ، أو تدهور ، أو حتى توقف أو تمهل في النهوض الى مستوى لا يستطيع التكهن به !

ويبقى اللفز العجيب الذي شرحته لك .. بغير حل !
ومرة اخرى .. أدعو علماء النفس والاجتماع الى ابداء رأيهم في هذا الموضوع !



في حديقة معبد « شنتو » - وهو اسم الديانة الرئيسية لليابانيين - التقطت عدسة « كتابي » هذه الصورة لثلاثة أجيال من اليابانيات : الجدة ، والام ، والحفيدة ..!

والى ان يبدى العلماء رأيهم فى هذا الصدد ، اضع امام اعتبارهم الحقائق الآتية ، التى خرجت بها من ملاحظاتى الخاصة ومن مناقشاتى مع من تحدثت اليهم فى هذا الموضوع من قادة الراى والفكر فى اليابان :

١ - ان جرائم الشباب وانحرافاتهم تكاد تكون منعدمة فى اليابان ! .. واندر منها تداول الصور والكتب الجنسية المثيرة التى تكثر عادة حيث يوجد الكبت والحرمان والقيود فى مجال الامور الجنسية .

٢ - اننى لم ار شابا يابانيا « يعاكس » فتاة او امرأة من المحصنات ، فى شارع او ترام ، او يعمد الى نظرة ، او حركة ، او تصرف ، او اشارة ، فيها بذاءة تخدش الحياء !

٣ - ان نسبة من يقبلن على التعليم الجامعى من الفتيات ضئيلة الى حد ملحوظ ، فهى اقل منها فى مصر بكثير ، اذ لاتتجاوز هذه النسبة خمسة فى المائة من مجموع عدد طلبة الجامعات .. ومعنى هذا ان المرأة اليابانية أشد رجعية ومحافضة من المرأة المصرية مثلا فى هذا المجال ، واكثر منها تمسكا برباليتها كربة بيت وزوجة تكرر حياتها وطاقتها كلها للعناية ببيتها وزوجها واطفالها ، وتربية جيل سليم الجسم من الامراض ، سليم النفس من العقد والمركبات

٤ - ان اخلاذ المرأة لحياة البيت والعائلة ، دليل على عدم احتياج البلد لها كيد عاملة اضافية تساهم فى الانتاج ، الى جانب الرجل .. وبالتالي ان طاقة الرجل الانتاجية فى اليابان تفوق طاقة الرجل فى الدول الاخرى المساوية لها فى مستوى الانتاج - وهذا التفوق « يتضاعف » بالمقارنة الى الدول « المتخلفة » فى الميدان الانتاجى بطبيعة الحال

٥ - ان هذا التفوق الهائل فى الانتاج ، دليل حاسم على

ارتفاع المستوى الصحى ، والنفسى ، والذهنى ، للرجل اليابانى . . وبالتالى على حسن تبصر الزوجة اليابانية ، والأم اليابانية ، ومبلغ تفانيهما فى رعاية الزوج أو الابن ، وتهيئة الجو البيتى والعائلى الذى يساعده على زيادة الانتاج

٦ = ودليل آخر على سلامة كيان الاسرة اليابانية ، انخفاض نسبة الطلاق بين الازواج الى درجة غير عادية . (وسيأتى مجال الاحصاءات والتفصيلات الخاصة بهذا الشأن فى موضعها ، فيما بعد)

٧ = وحقيقة اخرى تدل على ارتفاع المستوى الصحى والنفسى للشباب اليابانى - علاوة على وفرة الانتاج - هى ارتفاع نسبة النجاح فى الامتحانات ، كما يستفاد هذا الارتفاع من المقارنة بين عدد طلبة الجامعات وعدد خريجياتها فى كل عام (وعندى فى هذا الباب احصاءات وبيانات سأوردها بالتفصيل حين نزور اليابان معا زيارة مفصلة ، بعد عودتنا من الصين !)

اقول : حين نزور اليابان ، لأن كلامى عن اليابان حتى الآن لم يكن سوى استطراد عارض ساقنى اليه الحديث عن اللهو المقترن بالانحلال فى (هونج كونج) ، والمقارنة بينه وبين اللهو المقترن بالانتاج فى (طوكيو) . . فهل نخرج من هذه المقارنة بأن اباحة اللهو على مصراعيه ، دون قيود ، ليست فى ذاتها عاملا من عوامل الانحلال ، **وانما العامل الاول والاكبر للانحلال فى هونج كونج هو الاستعمار** . . كما كان العامل الاول والاكبر للانحلال فى الصين « القديمة » هو الاستعمار ايضا ، وفساد الحكم ؟

مرة اخرى ، لا أحب ان انفرد بالرأى وبإصدار « الاحكام » القاطعة فى هذا الموضوع ، فلست ازعم اننى خير أو « اخصائى » اجتماعى أو نفسانى . . **وانما انا كاتب واديب ، عاهد نفسه ان يكتب ما رآه وسمعه على حقيقته ، ويسجل شتى الانطباعات التى تتركها فى نفسه مشاهداته فى كل بلد يزوره ، دون زيف ،**

ولا نفاق ، ولا مجاملة ، ولا موارد ، تاركاً للاخصائين فى كل باب من ابواب البحث ان يخطئوا الاستنتاج الذى يرونه خاطئاً ، ويؤيدوا الاستقراء الذى يرونه صائباً ، حسبما تنتهى اليه ابحاثهم . . فرائدى ورائدهم واحد ، هو خدمة الوطن العربى : أخدمه أنا بما أنشره عليه من حقائق رأيتها بعينى وسمعتها بأذنى ، ويخدمونه هم بالاستعانة بهذه « المادة الخام » التى اقدمها لهم على استكمال ابحاثهم والانتهاى منها الى اصدار الاحكام وتقرير النتائج ! . . والمشكلة فى رأى من الخطورة والاهمية للشرق العربى ، المتحفز الى النهوض السريع واللحاق بركب التقدم العالمى ، أقول انها من الاهمية والخطورة بحيث تستدعى ان ينشأ لها فى مصر - وفى كل بلد شرقى متخلف - « مجلس اعلى للتوجيه الاجتماعى » ، يضع سياسة « مدروسة » متعمقة لمدى الحرية الفردية التى تلائم كل شعب وتكفل النهوض به . . بحيث تعطى لهذا المجلس سلطة اعادة النظر فى جميع الاوضاع السارية والقيود المفروضة فى هذا المجال منذ القرن الماضى ، وفى عهود الاستعمار ، فيعدلها - سواء بالتخفيف ، أو الزيادة ، أو التطوير - وفقاً لما تنتهى اليه دراساته ، وبحوثه واستقراءاته ، على ضوء العلم والنظريات الحديثة من جهة ، ومن الجهة الأخرى على ضوء تجارب الحاضر والماضى ، القريب والبعيد - بل وامثلة التاريخ ، القديم والحديث ! - وبما يتفق وطبيعة الشعب ، وظروفه ، وبيئته ، ونفسيته . . وما يحقق له مستقبلاً أفضل ، يقوم على الاستقرار الاجتماعى ، والرخاء الاقتصادى ، والنهوض الصناعى . . الخ

اخشى ان يكون الاستطراد قد طال ، اكثر مما قدرت ، فتعال نعود من تحليقتنا المؤقتة فوق اليابان ، الى حيث كنا على وشك عبور الحدود من هونج كونج الى الصين الشعبية . . لكن ذكر التحليق فوق اليابان يذكرنى بخاطرين آخرين - وكان الانطباعات تأبى الا ان تلاحقنا فى كل خطوة ! - فقد حدث

اثناء عودتى من طوكيو الى القاهرة ، فى نهاية الرحلة ، ان كان بين ركاب الطائرة رجل يابانى ، فى نحو الاربعين ، لم ألق اليه بالا فى اول الأمر ، حتى افقت من نومى فى ساعة متأخرة من الليل ، على صوت خافت ، غير عادى ، فاذا صاحبنا قد نهض من مقعده ، ثملا ، مخمورا ، فسار فى ممر الطائرة خطوات ، يتعثر ، ويتخبط ، ويأتى بحركات لاتصدر الا من شخص فاقد الادراك ! .. ثم يسقط فوق أحد الركاب ، وأخيرا يرتطم بالأرض ، بلا حراك ! - ويبدو انه كان قد افرط فى الشراب ، من زجاجة كان يحتفظ بها فى جيب معطفه .

ودب فى تلك « الكابينة » من الطائرة شىء من الهرج المكتوم ، والهمسات ، والنظرات المتبادلة بين من استيقظوا من الركاب ، دون ازعاج لمن ظلوا نائمين .. وأقبلت مضيفتا الطائرة ، على حذر ، فراحتا كلاهما تحاول ايقاظ المخمور ، بالرفق ، والحسنى ، ولكن دون جدوى ، فاستنجدتا برجل من هيئة الطائرة ، تعاون معهما على جر صاحبنا الى دورة المياه ، لعلهم يفلحون فى رده الى وعيه بسكب بعض الماء على وجهه .. لكنه لم يلبث ان « تكوم » وراء باب التواليت من الداخل ، فحال بجسمه بينهم وبين الدخول .. وحين تمكنوا من « اقتحام » الباب بعد لآى ، وجدوه ملقى على أرض الحمام ، فى نصف ثيابه ، وقد استغرق فى غيبوبته ، ناعم البال ! .. ولم يجدوا مفرا من تركه هكذا ، حتى تهدأ خواطر بعض الركاب الذين كانوا قد تركوا مقاعدهم الى أماكن أخرى بعيدة ، خشية أن يصيبهم منه سوء ! .. وفى الصباح ، واصلت هيئة الطائرة مهمتها الثقيلة حتى افاق الرجل وارتدى بقية ثيابه ، ثم عاد الى مقعده مطأطئ الرأس - خجلا - منكس العينين ! .. وكم كانت دهشتى حين تطوع أحد الركاب بالكشف عن شخصية صاحبنا ، فاذا به من أشهر مهندسى اليابان ، وواضع تصميم مطار طوكيو العالمى الرائع !

وحانت منى - دون قصد - نظرة الى ظهر المقعد الذى امامى ، وكانت تطل منه نشرة شركة الطيران الهندية الدولية « اير انديا » التى كنا نستقل احدى طائراتها الضخمة ، فتذكرت للحال مفارقة صارخة : تحريم تناول الخمر في مدينة (بومباي) بالهند ! .. وكان الانتقال مفاجئا ، عنيفا !

وثمة انتقال آخر مفاجيء ، ومفارقة اخرى صارخة ، شعرت بها في نفس الطائرة ، بعد ان استرحنا في مطار (هونج كونج) ساعة ثم واصلنا السفر في طريقنا الى (بانجكوك) و (بومباي) ثم القاهرة : ففي هونج كونج غيرت الشركة « طاقم » مضيفات الطائرة ، فاستبدلت اليابانيات اللواتى خدمن الركاب خلال المسافة من طوكيو الى هونج كونج ، بمضيفات اخريات ، « هنديات » .. فلما ركبنا الطائرة بعد فترة الاستراحة القصيرة ، شعرت كأني انتقلت من اليابان الى الهند، في لحظة ! .. وكان انتقالا آخر سريعا ، مفاجئا ، عنيفا ! .. فرغم ان الطائرة كانت هي نفس الطائرة ، والركاب هم نفس الركاب ، فقد تغير ((الجو)) كله ، بتغير المضيفات ! .. ذهب المرح ، والخفة ، والضحكات المنطلقة من قلب خلى .. وجاء الوقار الهادىء الرزين ، الصارم ، الذى لا يتسم الا نصف ابتسامة ، وبحساب !

ذهبت العيون الضيقة ، المشقوقة ، الضاحكة .. وجاءت العيون السوداء ، العميقة ، الساحرة !

ذهبت المضيئة التى تمازح « طوب الأرض » وتغمر لجدران الطائرة ، وتسال الركاب ان كانوا قد استمتعوا باقامتهم في طوكيو ؟ .. وجاءت المضيئة الجادة ، الوقورة ، التى يستأذنها احد الركاب فى ان يلتقط لها صورة وهى تقدم له الطعام ، فتقول له : ممنوع !

وكان انتقالا مفاجئا كما ذكرت ، ومفارقة صارخة ، بين بلدين .. وشعبين .. وعقليتين .. وتاريخين .. وبيئتين ..

ونوعين من التقاليد ، والمادات ، والسماط ، التى تكونت
ورسخت خلال قرون وقرون !

تعال معى . . الى الصين الشعبية !

♦ نحن الآن فى (هونج كونج) ، نتأهب لمفادرتها الى الصين الشعبية ، بعد ان قضينا فى المستعمرة العجيبة يوما وبعض يوم ، ألمنا خلاله بما قدمت لك من معالمها وأحوال شعبها فاذا كان اليوم التالى - ٢٦ اكتوبر - وقد انقضت على قيامنا من القاهرة خمسة ايام حافلة بالتنقل المستمر ، بين بومباي ، ودلهى ، وأجرا ، وكلكتا ، وبانجكوك ، وهونج كونج . . (ثم ساقنا الاستطراد الى المقارنة بين الاخيرة وبين طوكيو من الناحية الاجتماعية والاخلاقية) . . فتعال نغادر الجزيرة بالناقلة المائية الى (كاولون) ، فلا نكاد نهبط الى البر حتى نجد فى مواجهتنا محطة سكة حديد (كاولون - كانتون) التى تربط بين المستعمرة وبين . . الصين !

الساعة الآن الثانية بعد الظهر ، وقد أخذنا أماكننا فى القطار الذى يوشك ان يتحرك . انه قطار ليس فيه ما يلفت النظر ، (وقد قيل لنا ان القطار الفاخر هو الذى يغادر المدينة فى الصباح الباكر) . . لا بأس ، فسوف يتاح لنا ان نقارن بين الاثنين عند عودتنا من الصين باذن الله . وينطلق القطار بين مناظر رائعة على الجانبين ، تذكرنى بمناظر ايطاليا والنمسا الى حد كبير . . تذكرنى بها من حيث الطبيعة وجمالها ، اما من حيث مستوى المعيشة ونظافة الشعب ، فالبون شاسع ، فنحن نرى هنا - كلما مر القطار بقرية من القرى - صورا تنطق بالفقر ، والعري ، والحفاء ، وشتى مآثر الاستعمار على المستعمرة ! . . فنحن نعبّر الآن « الاراضى الجديدة » التى تمتد بين كاولون وحدود الصين الشعبية . ويقف القطار بعد قليل فى محطة (يومانتي) ، فتقع العين على مفارقة ظاهرة : عجوز حيزبون فى



أسرة صينية أمام كوخها في (الأراضي الجديدة) ، التي استأجرتها
بريطانيا عام ١٨٩٨ لمدة ٩٩ سنة . وترى الابنة وقد حملت شقيقها
الرضيع على ظهرها حسب العادة الصينية المألوفة

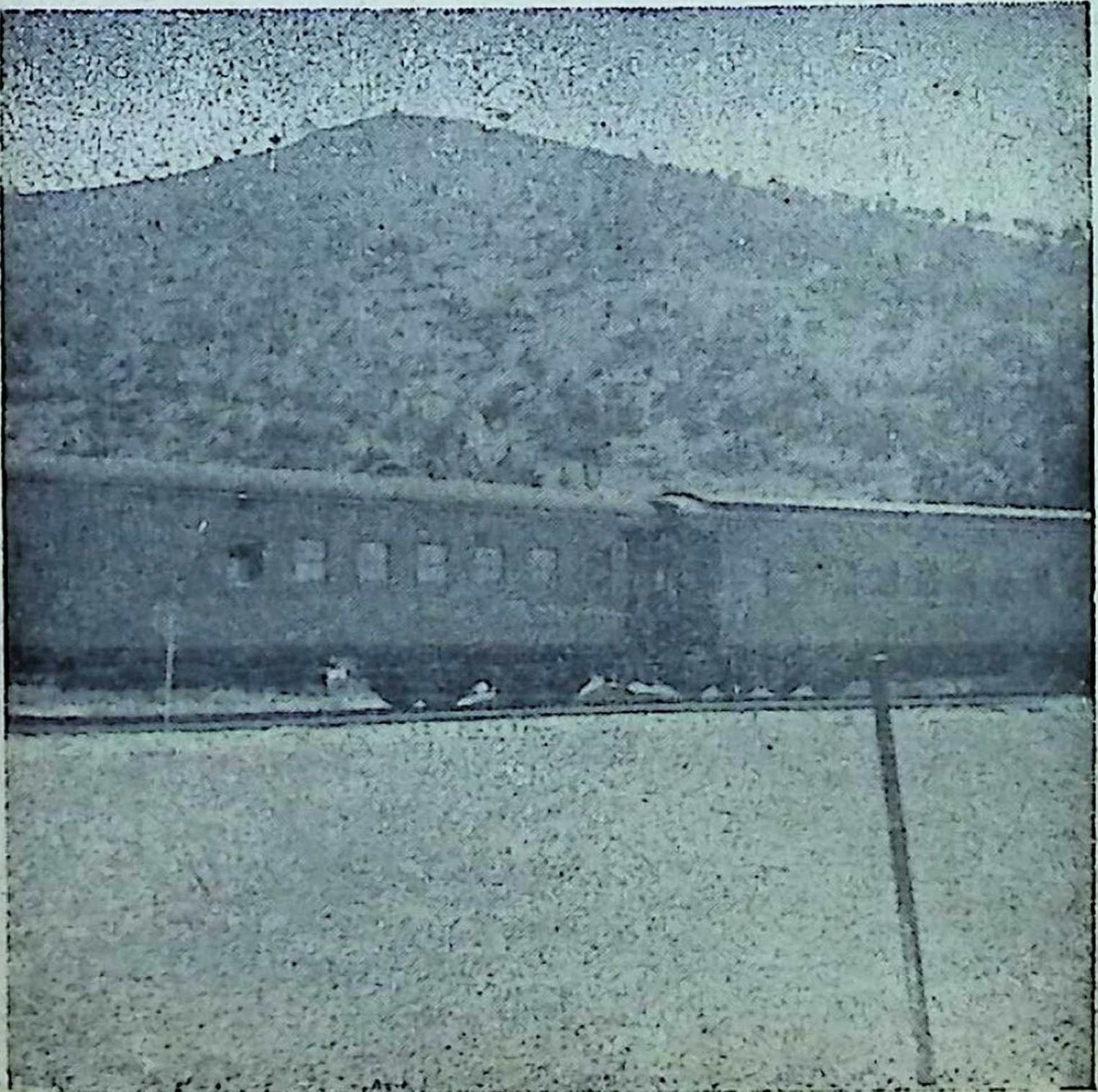
ارذل العمر ، تمد يدها عبر نافذة القطار بآناء صغير ، تستجدي
فيه احسانا .. ووراء ظهرها ، خلف رصيف المحطة ، عمارات
حديثة فاخرة ، وسيارات « اتوبيس » ذات طابقين ، وشوارع
فسيحة جميلة .. ثم يتحرك القطار ، وينطلق ، ولا يلبث ان
يظلم الكون كله فجأة ، كأنما قد سقطت خلف نوافذ القطار
ستائر سوداء ! لقد دخل القطار في قلب الجبل ، في نفق طويل
لا تبدو له نهاية .. ونتطلع الى ساعاتنا ، ونحصى الثواني ..
فالدقائق .. حتى تنقضي ثلاث دقائق كاملة قبل ان يمرق
الضباب المجنون الى النور مرة اخرى ، والى الشمس الساطعة .
حقا ، ما اقسى الظلام ! .. ليت كل من يبخل بماله على مكفوف
البصر ، في اسبوع النور والامل ، يعيش تلك الدقائق الثلاث ،
ويجرب العمى المؤقت ، ليرحم !



الصين بالأمس !



ويقف القطار مرة ثانية بمحطة (شاتين) ، حيث تحف
بالرصيف سوق كبيرة ، وحوانيت ، وسيارات ، وحركة ،
وضجيج .. ثم ينطلق القطار الى الخلاء ، مارا ببحيرات خلابة ،
وجبال ، وخضرة ساحرة .. ثم وقفة قصيرة في محطة
(تايبو) ، فمحطة (فانلنج) ، وفي نهاية الواحد والعشرين
ميلا التي اقتطعتها بريطانيا من الصين عنوة واقتدارا - تحت

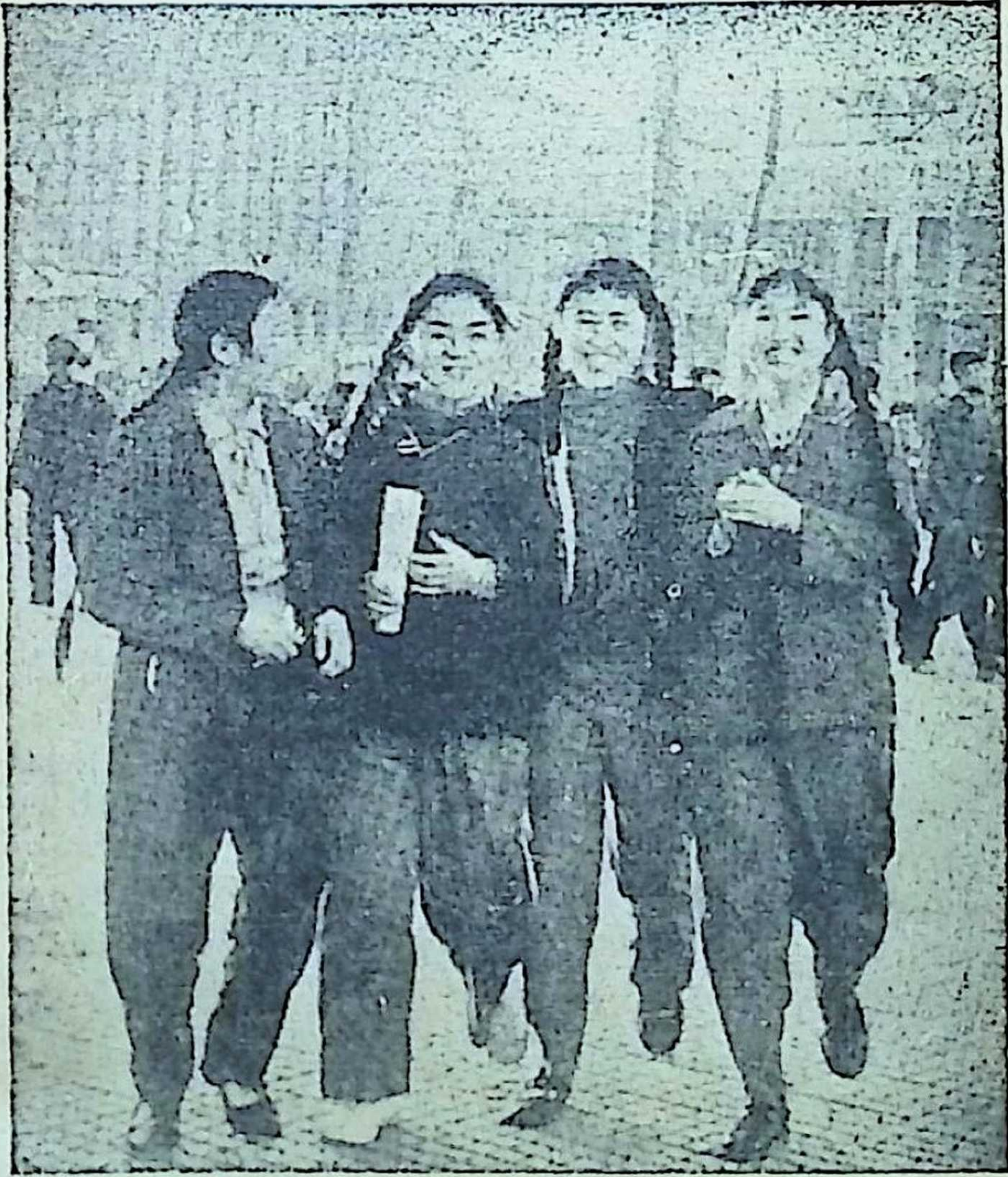


في هذه البقعة المسماة «شن تشون» تترك القطار الانجليزى
التابع لمستعمرة هونج كونج ، لتركب هذا القطار الصينى
الذى يملك الى الصين الشعبية

اسم الايجار الاسمى - يصل القطار الى غايته ، افتهبط منه
 لنعبر خط الحدود الفاصل بين الدولتين ، والنظامين ، والذي
 يخفّره نفر من الجنود الانجليز ، ومرؤوسون لهم من جنود
 الحدود الصينيين يرتدون زى الانجليز .. وعلى جانبى خط
 الحدود المذكور محطتان متقابلتان ، احدهما محطة (لوى) ،
 والاخرى محطة (شن تشون) ، هذه ينتهى عندها القطار البريطانى،
 وتلك يبدأ منها القطار الصينى . وبين المحطتين نقطة جمرك
 الحدود ، حيث يفتش شرطة المستعمرة اهاليها العائدين من
 زيارة ذويهم القاطنين فى الجانب الآخر ..
 ولا نكاد نعبّر الحدود ، فى دقائق ، حتى نجد فى انتظارنا وفدا
 من مندوبى حكومة الصين الشعبية ، وفى رفقته فتاة ترتدى
 بنطلونا بسيطا لائاقة فيه ، كبنطلونات الرجال ، تعلوه سترة



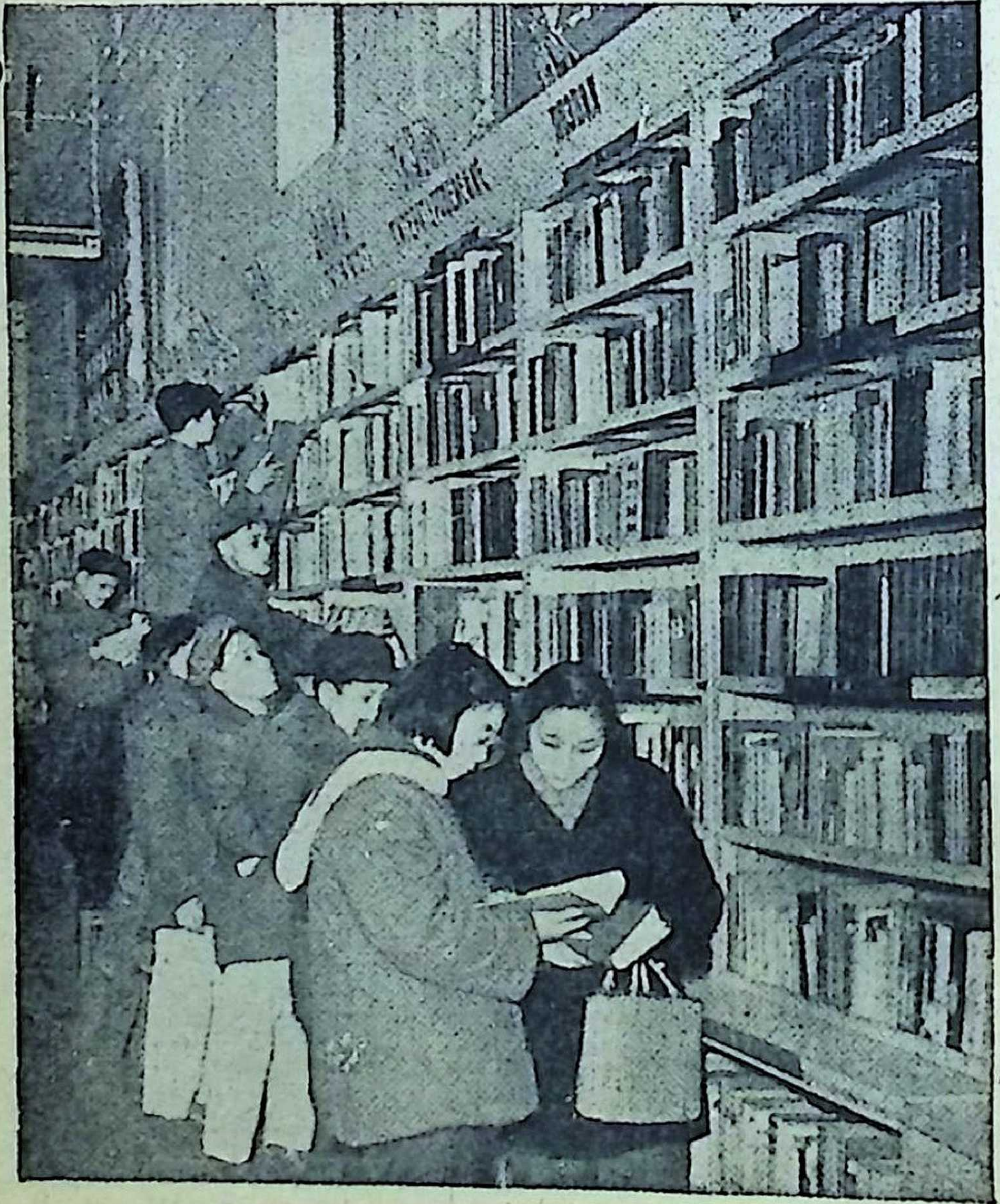
هذا هو الزى البسيط الذى ترتديه اكثر فتيات الصين ، وترى
 فى الصورة معلمة فى مدرسة للتطريز تشرح الدرس لتلميذاتها .



اربع من فتيات جامعة (بكين) يمرحن ويضحكن في الطريق ، وقد ارتدين الزى الموحد للشعب

من « التريكو » ، وعلى عينيها « نظارة » ، وقد خلا وجهها من
اي اثر لزيينة أو مساحيق ! . . وترحب بنا « مس تشين »
في انجليزية سليمة ، نيابة عن بقية الوفد الصيني الذي تقوم
هي فيه بمهمة الترجمة . . ثم تقودنا ومرافقوها الى استراحة

المحطة ، التي انتشرت فيها المقاعد والمناضد ذات الطابع الصيني العريق ، فهي مصنوعة من خشب الابنوس الأسود الجميل ، المصقول كالمرايا ، وفي وسط كل مقعد ومنضدة دائرة من



التياب بسيطة ، لكن العقول متفتحة : امرأتان تقلبان بعض الكتب في مكتبة كبرى بالعاصمة الصينية



« الجدة » تنزه الطفل فوق احدى قناطر « بكين » ، لانصراف الام الى عملها في المصانع . والصورة تعطيك فكرة عن الزى العام لنساء الصين

الرخام الابيض المموج . ويقدم لنا الشاي الأخضر الفاتح - حتى ليكاد يكون لا لون له ! - وعند اول رشفة منه احس بالنفور وخيبة الأمل ، انه ماء ساخن لا طعم له ، بغير سكر ! . ومنذ تلك اللحظة حتى ساعة مغادرتنا لأرض الصين بعد نحو شهر كامل ، لم نذق طعم الماء القراح ! كنا حين نطلب ماء باردا يؤتى لنا بزجاجة من المياه الغازية المصنوعة من عصير الليمون او البرتقال . . . وحين نطلب شرابا ساخنا يؤتى لنا بالشاي الاحمر ، المحلى بالسكر ، الذي يعدونه خصيصا للأجانب . . . اما اهل

الصين فلا يشربون ماء باردا ولا شايا احمر ، وانما يشربون في
الحالين شايبهم الأخضر المفضل . . يشربونه في كل مكان وكل
مناسبة : في البيت والمكتب والمصنع والقطار . . في الصباح
والضحى والظهر والعصر والمساء والليل ، وكلما ادركهم الظما !



زوجة الأديب الصيني « هو شيه شينج » ،
تخرجت في الجامعة عام ١٩٣١ واشتغلت مدرسة ،
وترى في بيتها تنظف تحفا ، وقد ارتدت زيا انيقا يندر
ان تراه في الصين

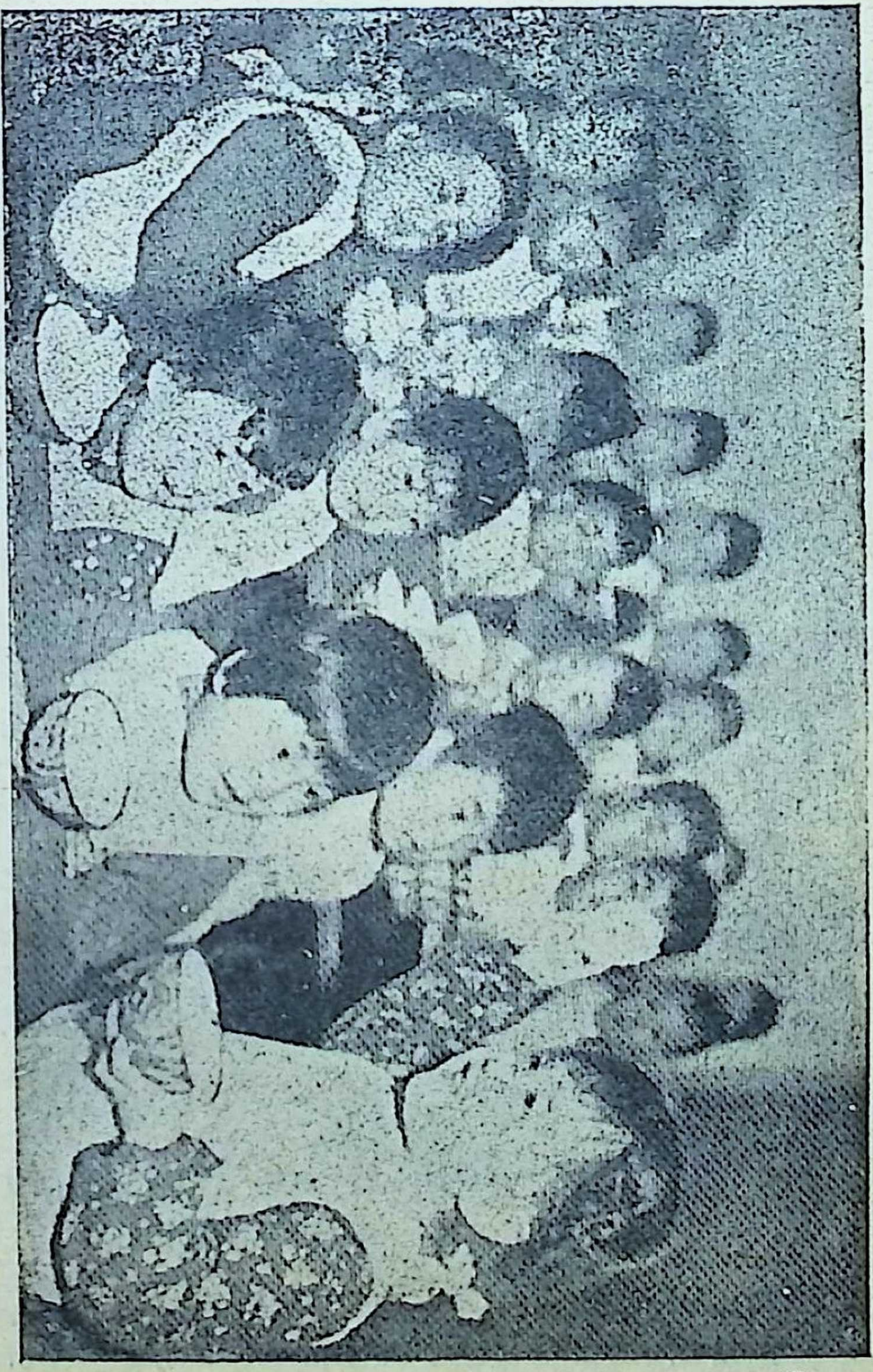
— وقد تكون تأصلت فيهم هذه العادة منذ كانت انهارهم موطننا للأوبئة ، من كوليرا وحمى صفراء ! — فأينما ذهبت في الصين ، تجد « صينية » عليها اقداح الشاي ذات الغطاء ، (فهي قدح وأبريق في الوقت ذاته ، يوضع فيها ورق الشاي الأخضر ثم يصب فوقه الماء المغلى ويغطى القدح بغطائه الخاص بضع دقائق ، حتى يرسب اكثر الورق في القاع ، وعندئذ ترفع الغطاء وترشف) . . أقول ، اينما ذهبت في الصين تجد اقداح الشاي المغطاة ، وبجوارها قراطيس الشاي المغلقة ، و « زمزمية » ضخمة مكسوة بالقش ، بها ماء مغلى لا ينضب معينه ، يظل دائما معدا في انتظار اى قادم . . ترى هذا المنظر في القطار ، وفي المدرسة ، وفي مكتب الوزير ، وفي دور الصحف ، وفي معهد التمثيل ، وفي حجرة مدير السجن ، أو المصنع ، وفي غرفتك بالفندق . . الخ

ولنعد الى حيث كنا في استراحة المحطة على اثر تخطينا الحدود من (هونج كونج) . . ولأعترف لك ، في صراحة ، ان المفارقة كانت شديدة بين المنطقتين ! . . حتى ثياب جنود الحدود كان البون فيها شاسعا بين الترف الذى تنطق به سترة جنود المستعمرة ، والبساطة التامة التى هى طابع سترة جنود الجمهورية الشعبية . واذا كنت قد اخذت بهذا الفارق لأول وهلة ، فى الذهاب ، (ثم لم البث ان الفتة بمضى الوقت) ، فقد عاودتنى المفارقة بصورة أوضح ، واكثر طرافة ، فى الاياب ، وكان للمصادفة دخل كبير فيها : ذلك اننا لم نكد نهبط من القطار الصينى لنستقل القطار البريطانى ، فى عودتنا ، حتى وجدنا انفسنا فى عربة فاخرة تكاد تكون خارجة لتوها من المصنع ، تلمع على جدرانها طبقة من « الفورمايكا » الجميلة ، وتزينها المقابض « الألومنيوم » أو المعدنية المطلية بالكروم (وسوف ترى بعد حين ان فى الصين الشعبية قطارات افخر من هذه ، وعربات

نوم لم ار لها مثيلا في قطارات زيوريخ وفيينا ، كهربات القطار الذى أقلنا من (بكين) الى مناطق الصناعات الثقيلة بالشمال الشرقى ، وبالعكس ، لكنى اردت أن أصف لك صورة صادقة للمفارقة كما تتابعت مظاهرها ، بمحض المصادفة !) .. ولم اكد انقل بصرى من تأمل فخامة عربة القطار ، حتى أقبل فى ممر العربة « جرسون » يصرخ بأعلى صوته : « كوكاكولا ، ويسكى ، تشيكليتس » ! .. (ورغم ان فى الصين خمورا أقوى من الويسكى ، وتقرب من الفودكا الروسية التى تلهب الحلق ، كما ان فيها نبذا وبيرة ، وسواها ، فاننا كنا قد غادرنا منذ لحظات قطارا يقدم فيه الشاي الأخضر ، ويرن فى عرباته بدلا من صوت الساقى الهمام بائع الويسكى ، صوت مغنية اوبرا صينية رقيقة تذاع اسطوانة لها من ميكروفون معلق فى جميع العربات !)

.. وعنصر آخر من عناصر المفارقة ، لعبت المصادفة فيه دورها : كان الى جوارى فى مقصورة القطار تاجر هندى من تجار هونج كونج ، عائد من (كانتون) حيث ابتاع لمتجره كمية من منتجات الترف الصينية التى يصدر اكثرها للاستهلاك فى خارج الصين ، (ومنها الحرير الصينى الفاخر ، والتحف الثمينة المصنوعة من العاج واحجار « اليشب » النفيسة (Jade) والخزف المطعم بالنحاس .. الخ) . وكان مع التاجر أطفاله وبناته الصغار ، الذين غالى فى « زركشتهم » - على طريقة اغنياء الحرب - بالثياب الفاخرة الملونة المطرزة ! - وتذكرت فى الحال بساطة ثياب الملايين من اطفال الصين الباسمين ، ذوى الوجوه السمحة ، والقلوب السمحة !

.. ولنعد الى حيث كنا نرشف الشاي الأخضر فى استراحة محطة الحدود ، فى صحبة وفد الاستقبال الصينى والمترجمة التى ترافقه .. ولنمض معهم الى القطار الذى سوف يقلنا



سماحة اهل الصين تبو باجلى منظر فى وجوه اطفالهم ، كما ترى فى صورة هؤلاء الاطفال
الضاحكين الذين تركتهم امهاتهم فى دار الحضانة وانطلقن الى اعمالهن

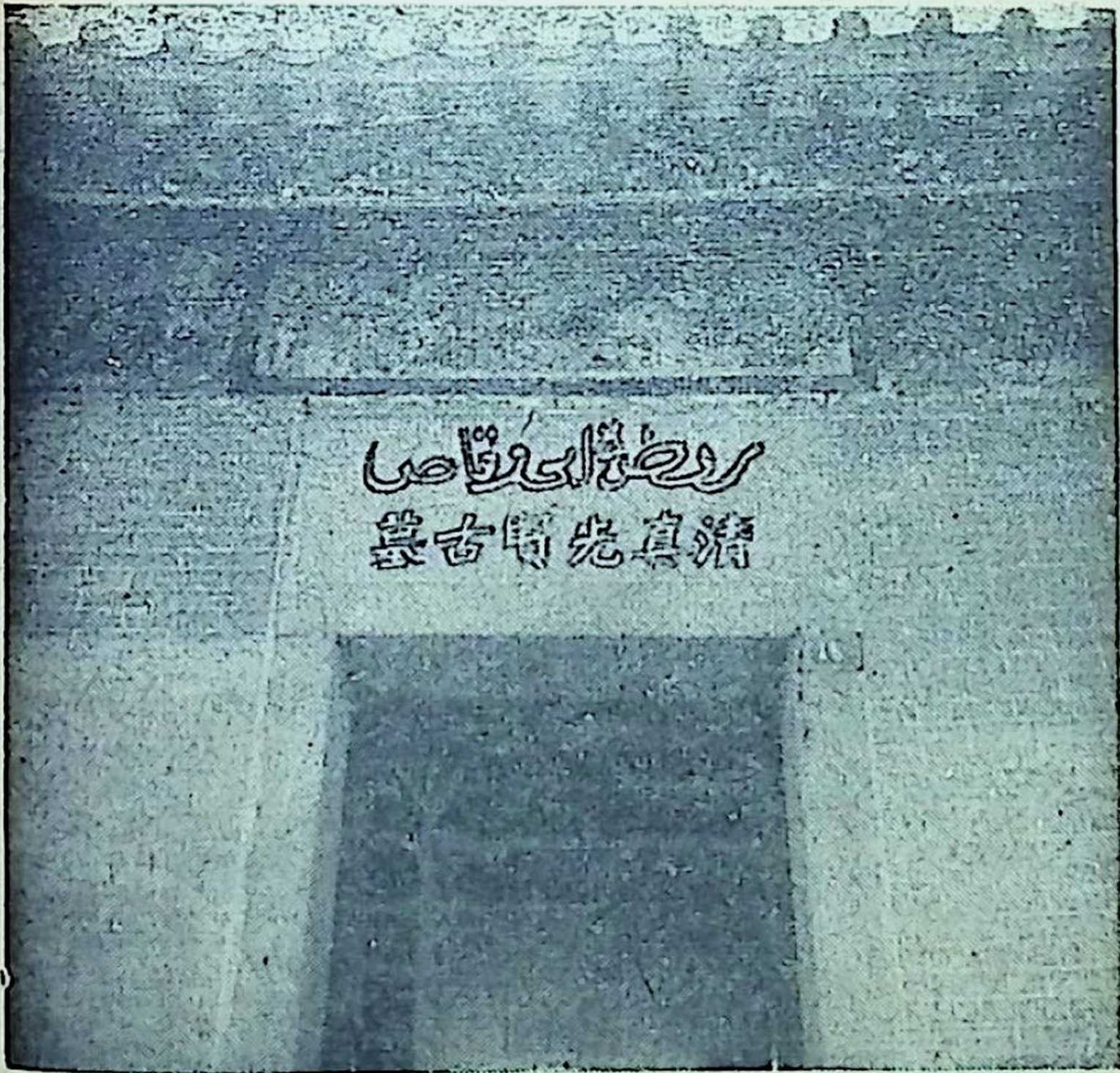
الى اولى مدن الصين التى جئنا لنزورها : (كانتون) العريقة ،
ذات التاريخ المجيد والماضى المشرف فى محاربة الاستعمار ..
كانتون التى هدمتها مدافع الاسطول البريطانى فى عام ١٨٤١ ،
كى تنشر فى انحاء الصين سموم الأفيون !

كانتون التى تتكىء على ضفة « نهر اللؤلؤ » المشهور
(Pearl River) ، أطول انهار الجنوب ، يسكانها البالغ
عددهم مليوناً وسبعمائة الف نسمة !



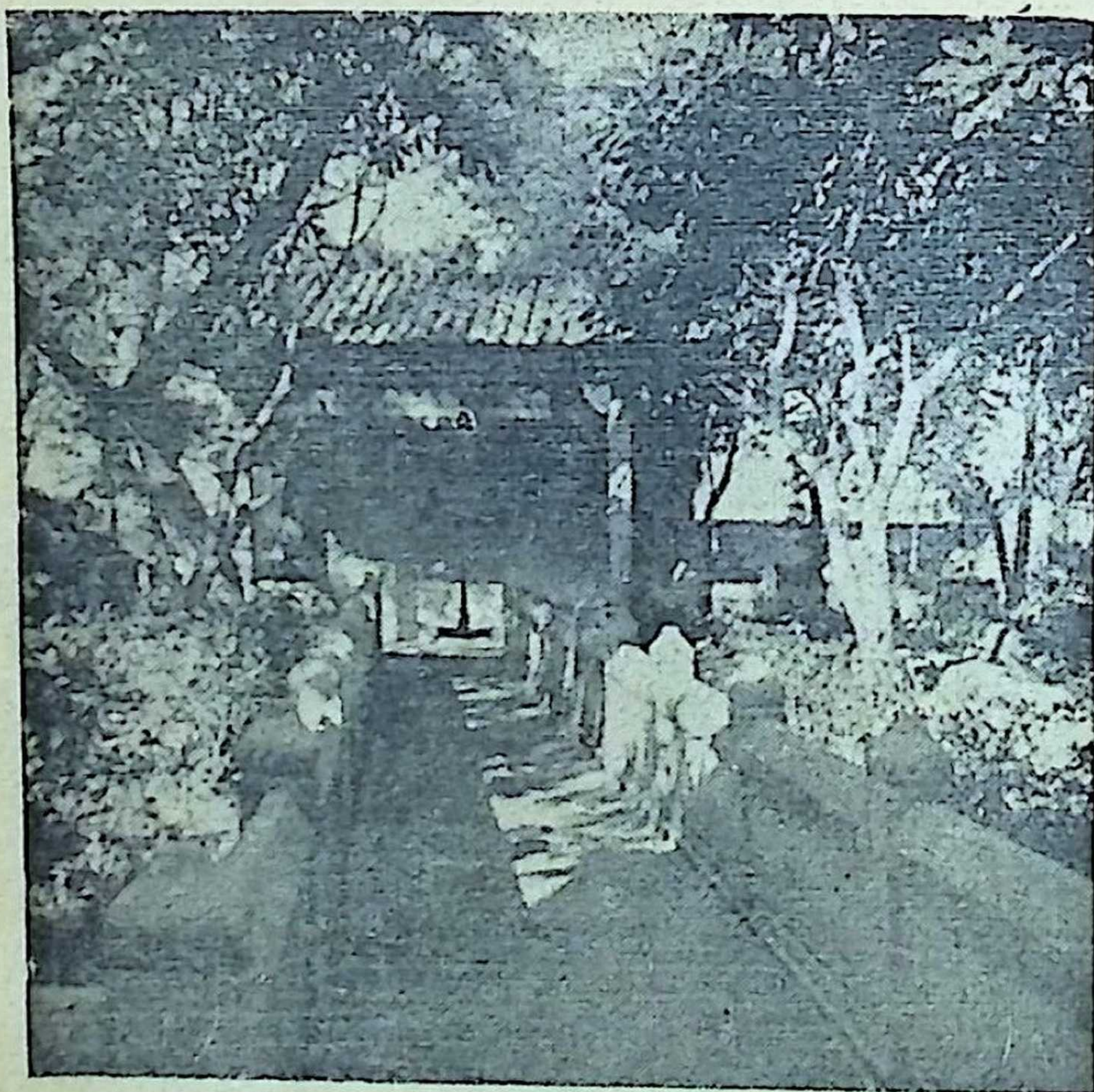
منظر ليلى لمدينة (كانتون) ، التى تتلأأ على ضفة « نهر اللؤلؤ » !

كانتون ، منفذ الصين الجنوبى للتجارة الخارجية والصلات
الثقافية منذ اقدم العصور ، منذ كانت صلة الوصل بين الصين
وبين العرب والفرس ، فى القرنين السابع والثامن !
كانتون التى هاجر اليها المسلمون منذ فجر الاسلام ، وبنوا
فيها مسجد « هواى شنج » الذى يعتبر من اقدم المساجد
الاسلامية ، اذ يرجع تاريخ انشائه الى ما قبل ١٣٣٠ عاماً !



الباب الخارجى لـ « روضة ابي وقاص » فى (كانتون) ، مقبرة
اول مسلم دخل الصين

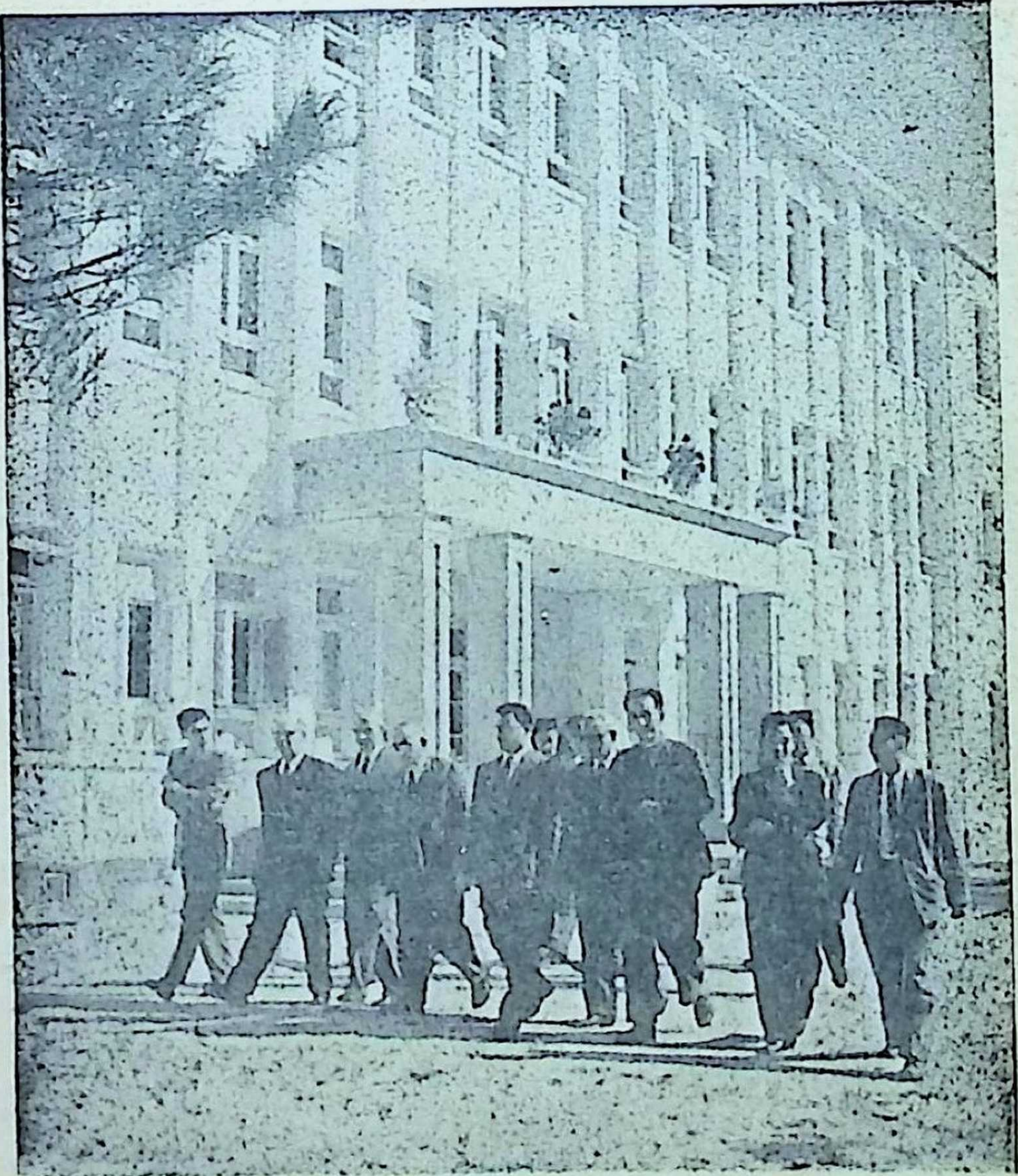
كانتون ، اكبر مدن الصين الجنوبية ، والقلب النابض لها
- سياسيا ، واقتصاديا ، وثقافيا - طوال اكثر من الفى عام !
كانتون التى عاش فيها زعماء الصين الحديثة - سن يات
سن ، وماوتسى تونج ، وشو اين لاي - فترات حاسمة من
حياتهم ، ومن تاريخ الصين !
كانتون مركز المؤسسات العلمية والثقافية الكبرى ، وفى
مقدمتها جامعة الدكتور « سن يات سن » المقامة على مساحة
قدرها اربعمائة فدان ! .. ومركز فنون الخزف ، والحفر على



منظر داخلي لحديقة « روضة ابي وقاص » ، وتضم - الى
يمين الممر ويساره - مقابر عدد من أوائل المسلمين الذين
استوطنوا في (كانتون)

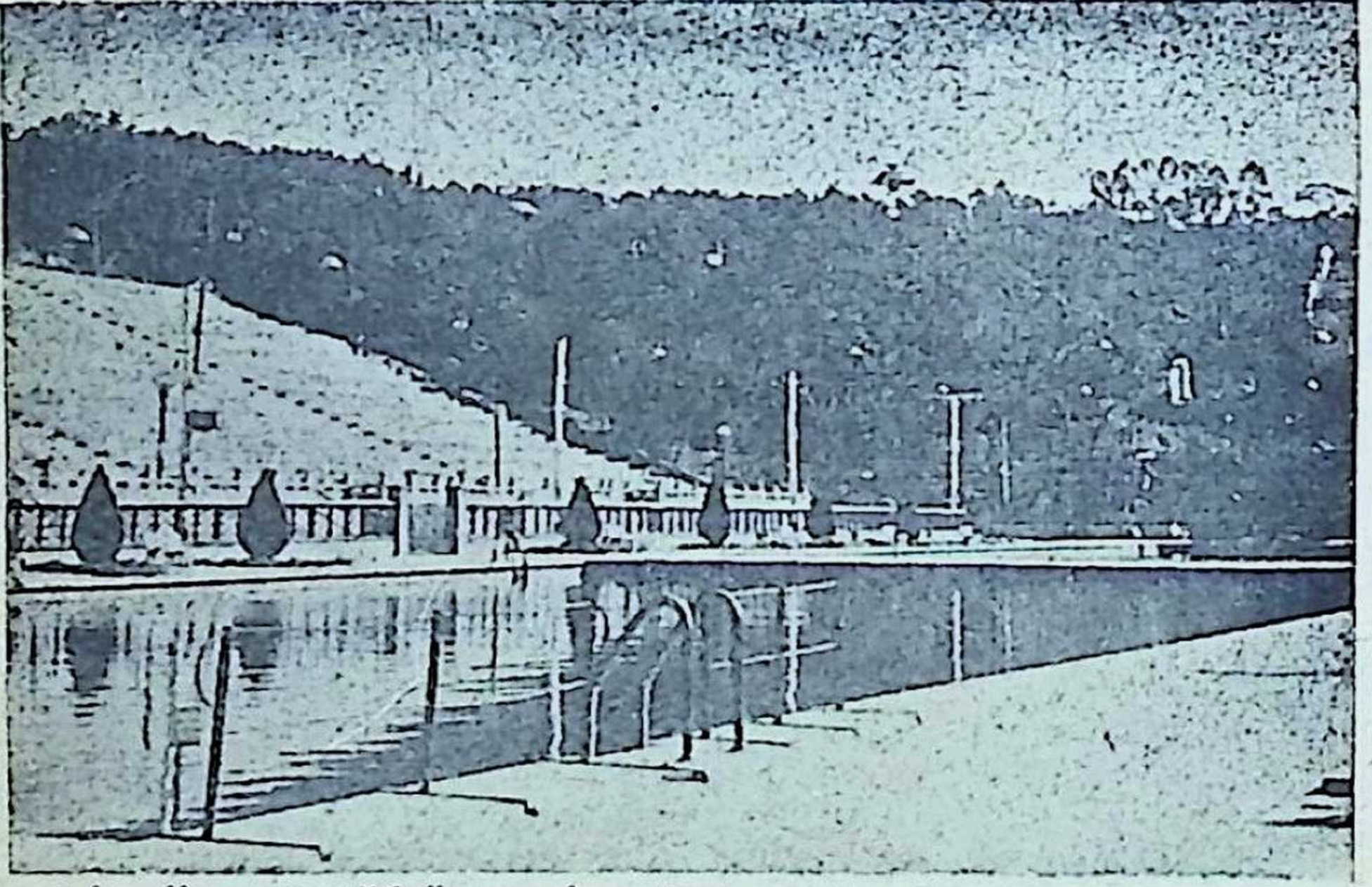
العاج ، وغيرها من الصناعات اليدوية الصينية ذات الشهرة
العريقة

كانتون التي انشئ فيها خلال التسعة اعوام الماضية من
المباني الجديدة ما يوازي سبع مساحتها الاجمالية ، وقيم
فيها من المصانع ما يجعلها اليوم من اكبر مدن الصين الصناعية
والانتاجية .. وما يزال يبنى فيها كل يوم مزيد من المدارس ،

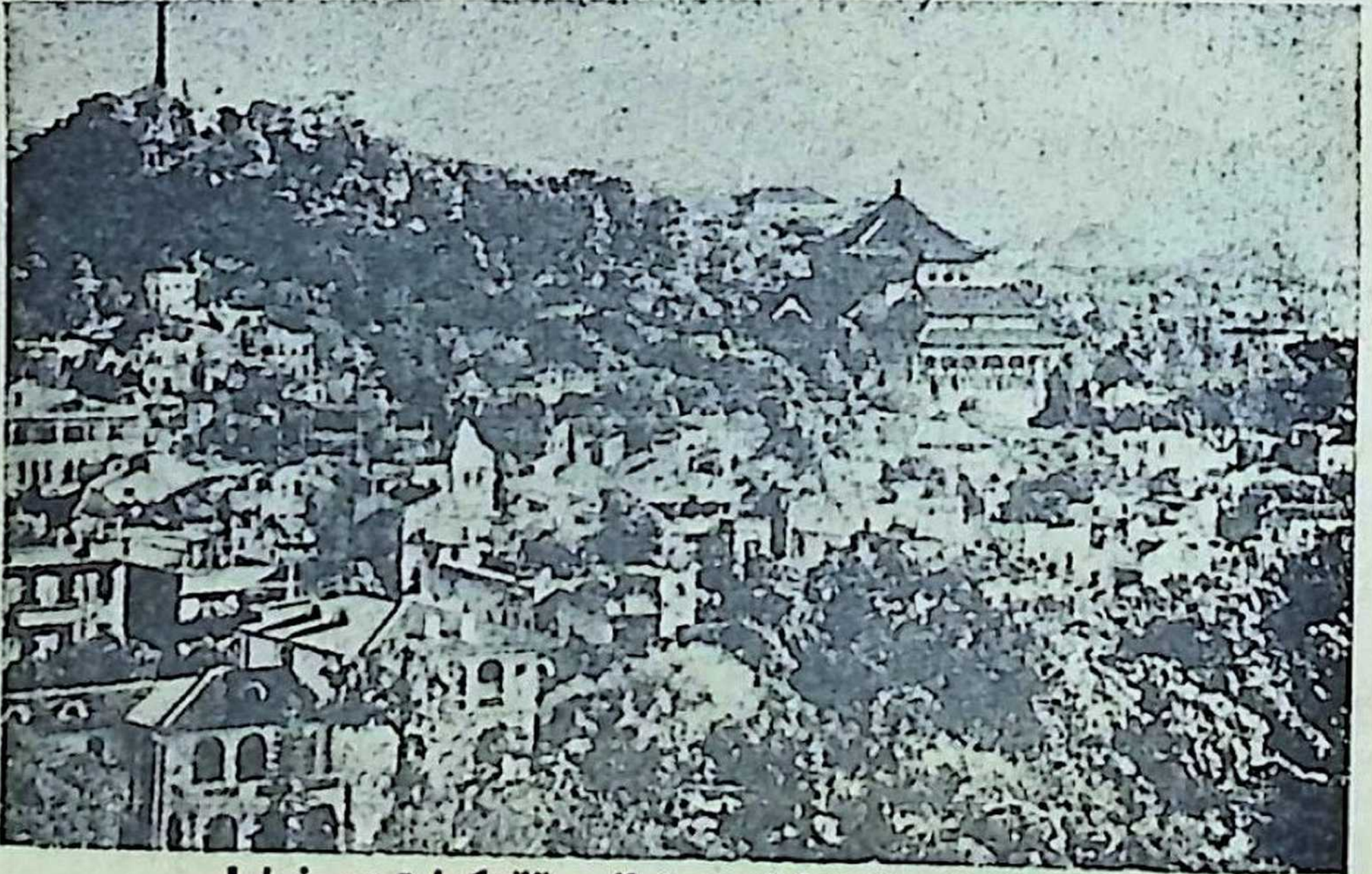


اعضاء الوفد الثقافي المصرى مع عدد من مندوبى وزارة الثقافة
الصينية ، أثناء زيارة جامعة (كانتون) الضخمة .. ويرى فى
اقصى اليسار الطالب المصرى « بسام » الذى يدرس الزراعة
فى كانتون

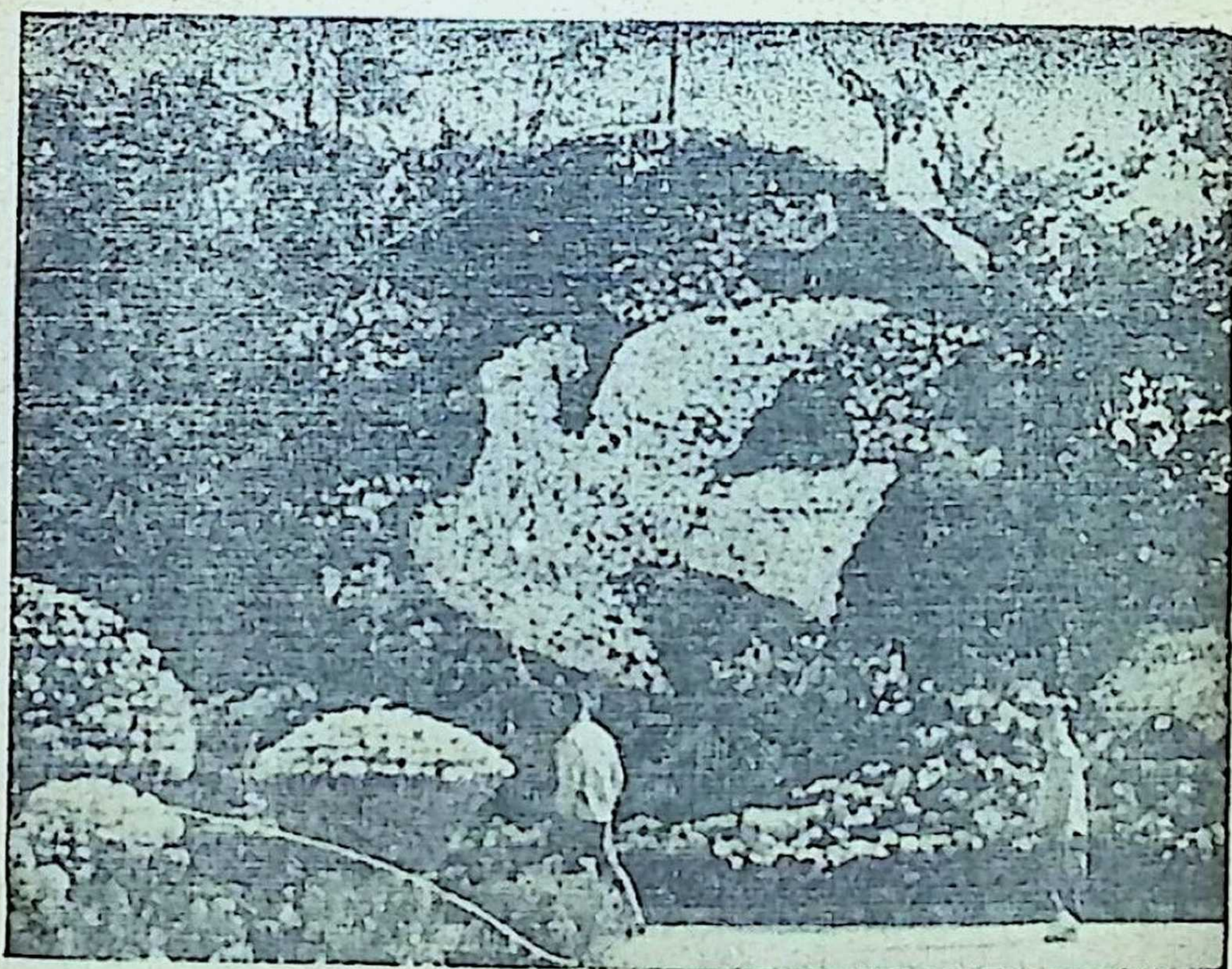
والمصانع ، والمستشفيات ، واحياء السكنى ، والطرق ،
والحدائق ، والمراكز الرياضية والترفيهية العامة ، ومنها
الملعب الرياضى المدرج الذى يتسع لخمسين الف متفرج !



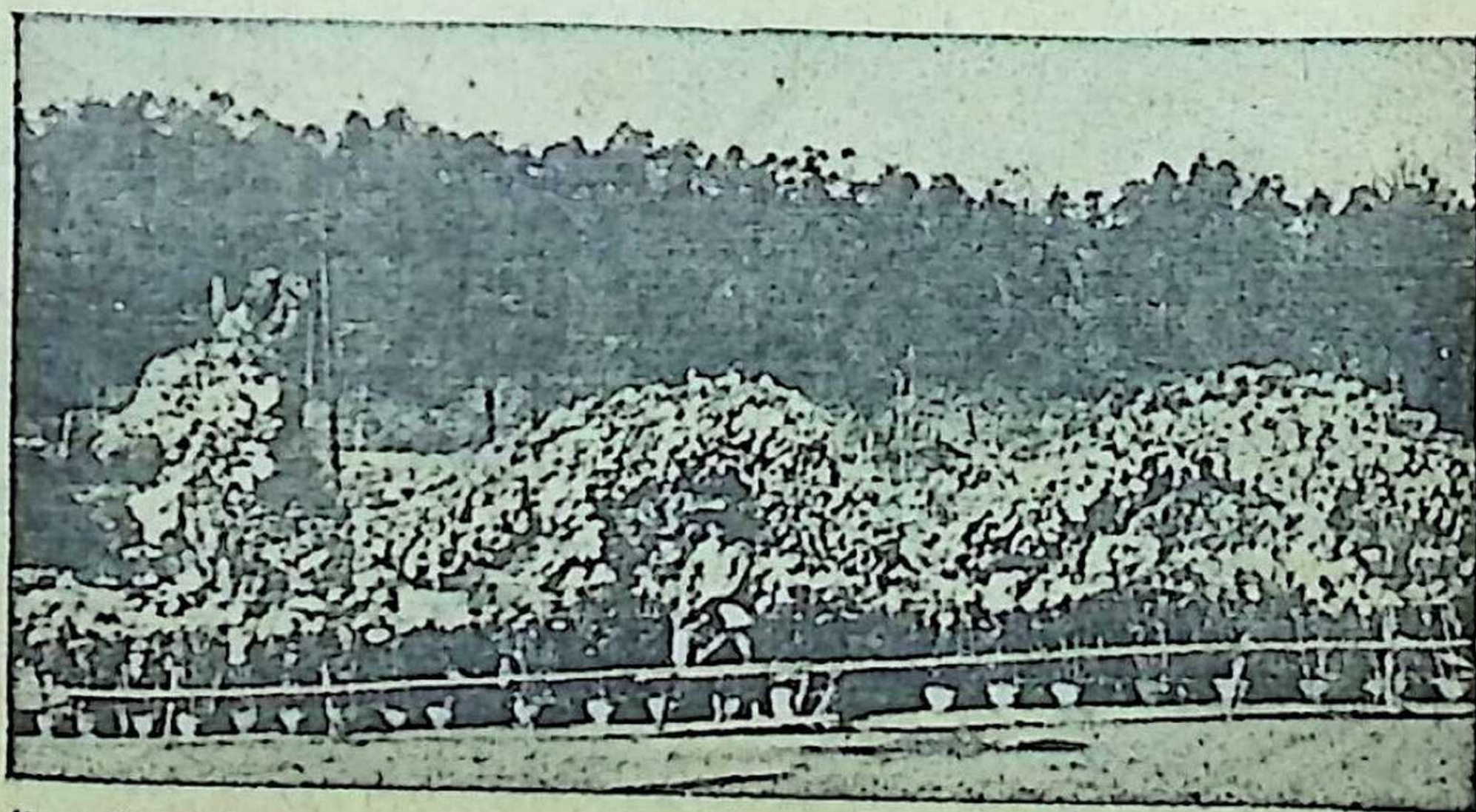
حوض سباحة فاخر - « بيسين » - في مدينة كانتون ، يطل عليه مدرج ضخم للمتفرجين على مباريات السباحة .



منظر عام لمدينة (كانتون) العريقة كما تبدو نهارا



في احدى حدائق (كانتون) العامة رسم الصينيون - بالزهور ! -
هذه الدائرة الضخمة التي تتوسطها حمامة السلام ، وهم يسقون هذه
الزهور ويتعهدونها وهي في هذا الوضع الراسي



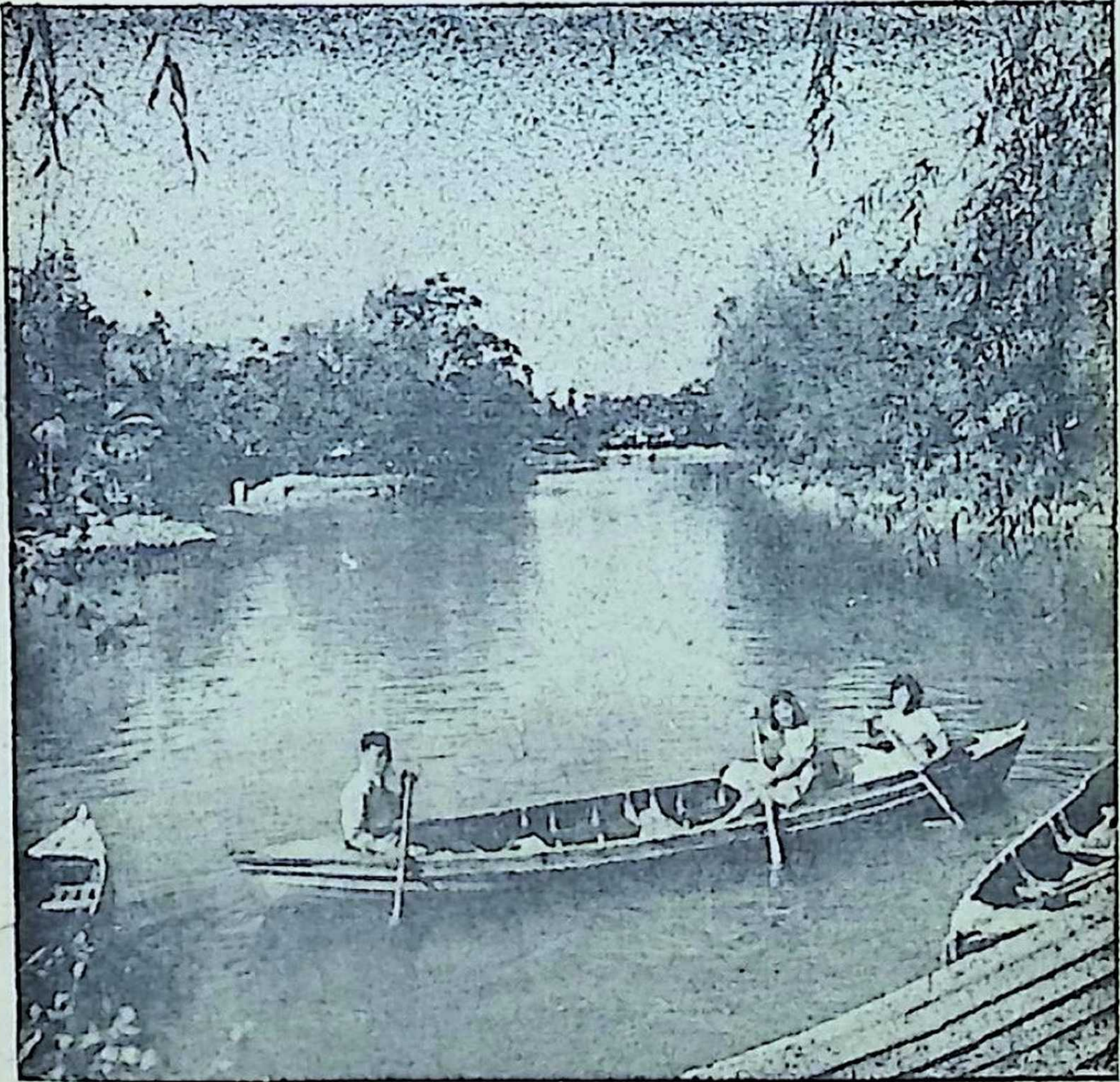
لم ار مثيلا لسقف الصينيين بالزهور ، وهذه صورة « تنين »
ضخم اقاموه في احدى حدائق (كانتون) ، وكله مرسوم بالزهور !



كيف يعلمون اطفالهم حب الزهور !

كانتتون التى بلغ الوعى الفنى بأهلها حدا جعلهم ينشئون فيها اربعة عشر مسرحا للفن الكلاسيكى ، تزدهم كل ليلة بالنظارة ، الى جانب مسرح عصرى واحد !

وقبل ان ندخل اولى مدن الصين ، ونطوف بمعالمها ، هى وسواها من المدن ، احسبك متشوقا الى معرفة الجواب عن كثير من الأسئلة العامة التى تشغل فكرك ، وتتسابق من ذهنك الى لسانك ، منذ بدأت تصحبني فى الرحلة على متن



في بحيرة صناعية جميلة في ضواحي (كانتون) ، خرجت هذه الباقية من الشباب تتنزه في زورق . وهم لا يرتدون الزي الصيني العام لانهم يعيشون في خارج الصين ، وقد جاءوا الى كانتون في زيارة

هذا الكتاب . . انك تود أن تسألني :

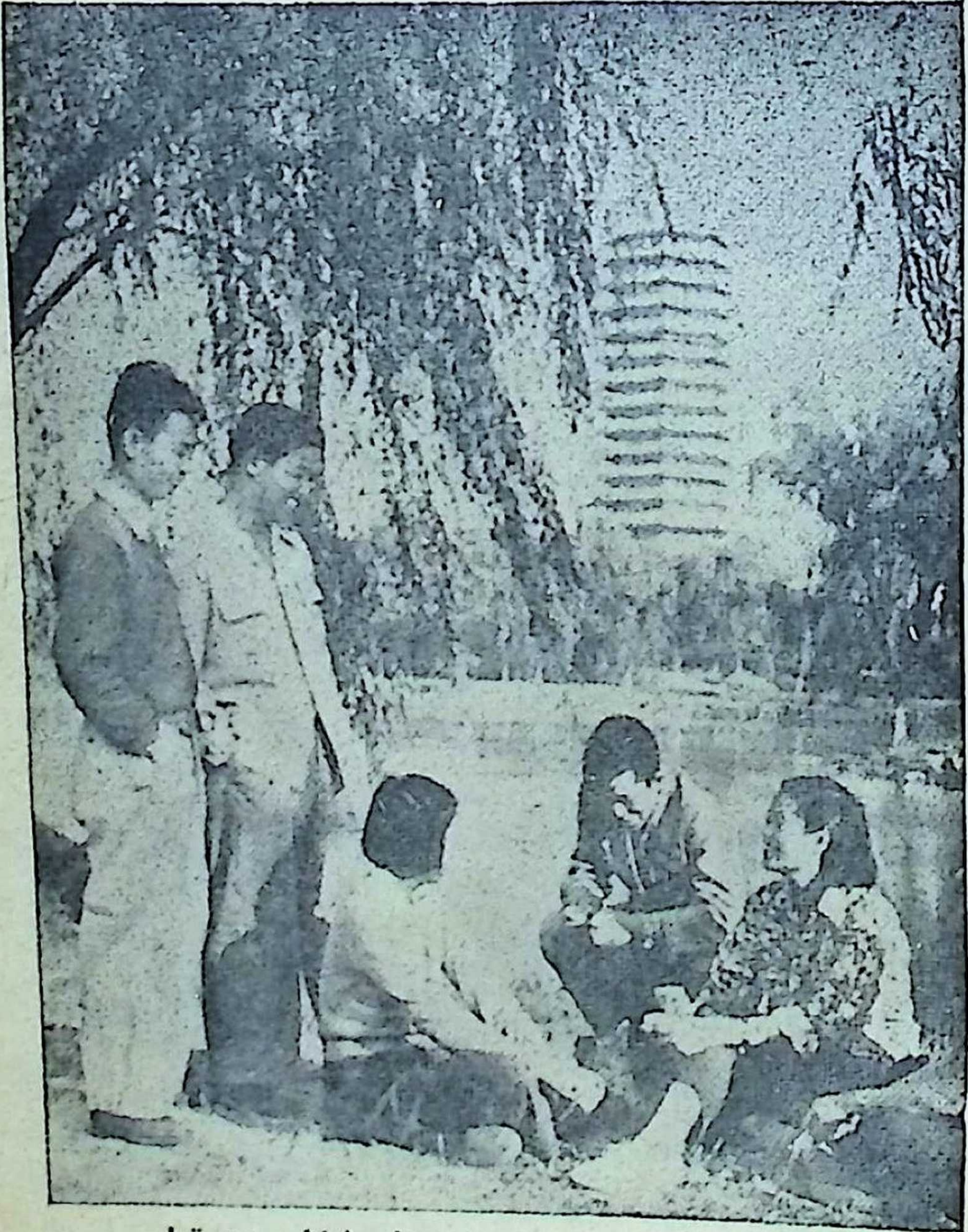
كيف وجدت الصين الشعبية ؟

ما الذي أعجبك فيها ، وما الذي لم يعجبك ؟

وما مدى رقيها . . أو تأخرها ؟

وماذا رأيت في مدنها وقراها ؟

وكيف يعيش أهلها ؟



الشباب من الجنسين يمرحون على شاطئ بحيرة !

ماذا يلبسون ، ويأكلون ، ويشربون ؟
وما تأثير الشيوعية عليهم : ما احوالهم الاجتماعية ، وحررياتهم

الشخصية ، ومستواهم الاقتصادى . . والثقافى . . والفنى . .
والعلمى ؟

وهل عندهم حقا نهضة صناعية . . والى اى حد ؟ ماذا
ينتجون وماذا يستوردون ؟

وكيف وجدت اخلاقهم ، وعاداتهم ، وديانتهم ، وحياتهم
العائلية ، ومعاملاتهم المالية والتجارية . . ؟
و . . . ومائة سؤال وسؤال !

وقبل ان احاول اجابتك على كل هذه الاسئلة ، بقدر الطاقة ،
احب ان اوضح لك هنا حقيقة هامة : هنى اننى حين اتعرض
لكل هذه الموضوعات ، لا اتعرض لها من وجهة نظر سياسية ،
تناصر هذا المبدأ أو ذاك ، أو تتحيز لنظام ضد نظام ، فأنا رجل
لا أشتغل بالسياسة ، وإنما أشتغل بالأدب ، والفن ، والثقافة ،
والكتابة . . وعلى ضوء هذا الاعتبار - وأكرر مرة أخرى -
عاهدت نفسى ان انقل اليك ما أرى وأسمع فى كل بلد أزوره ،
دون زيف ، ولا التواء ، ولا مجاملة ، أو تحامل ! . . حسبى ان
اسجل لك الحقائق كما شاهدتها بعينى ، وسمعتها بأذنى ، ولك
ان تفسرها كيفما شئت !

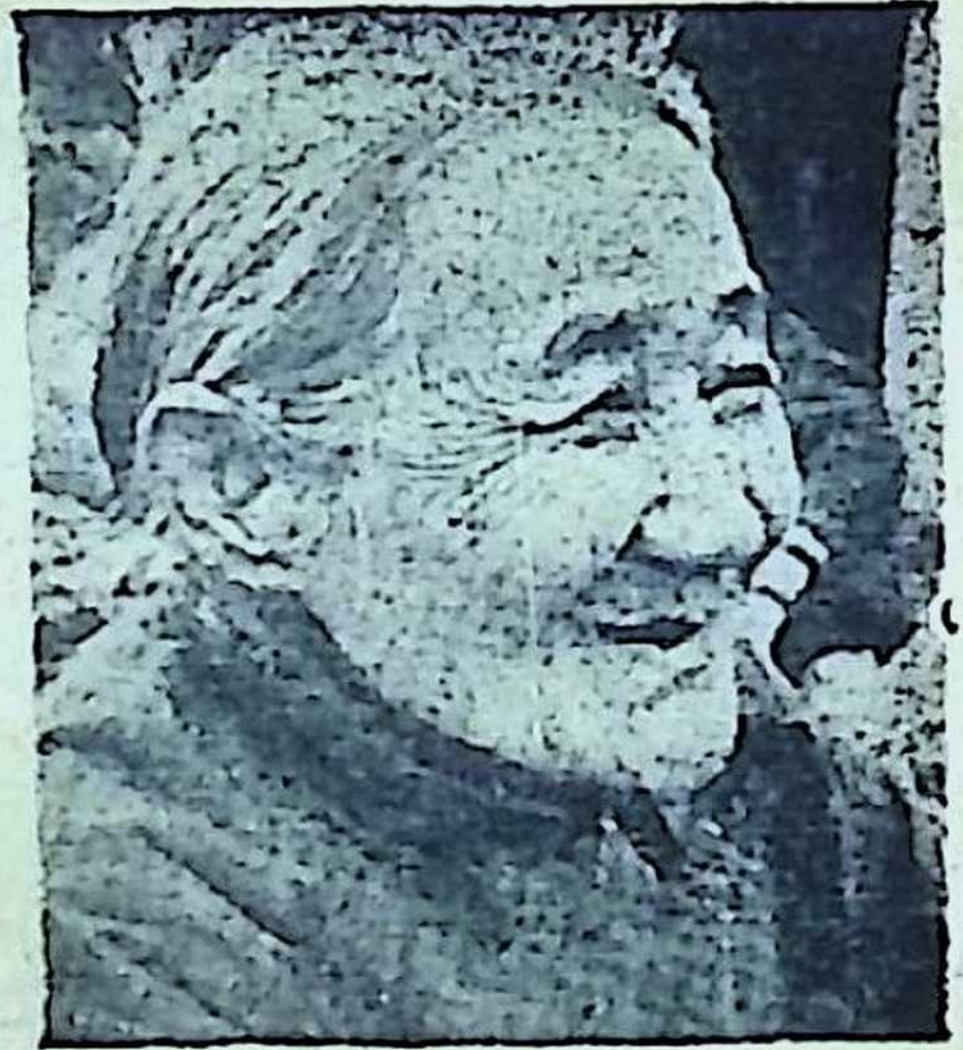
والتزاما بهذا المبدأ ، وعملا بمقتضاه ، سأذكر لك هنا
- بصراحة كاملة - ما أعجبنى فى الصين الشعبية . . وما لم
يعجبنى !

ما لها . . وما عليها !

وفى سبيل النهوض برسالتى نحوك ، وتأدية الأمانة التى فى
ذمتى لك . . ليس يعيننى أن يغضب هذا الفريق أو ذاك !

• أول ما أعجبنى فى الصين الشعبية : شعبها !

الشعب الطيب الى درجة السداجة . . المسالم الى درجة
الخرافة . . الأمين الى درجة القداسة . . النظيف الى درجة



.. وجيل يجيء !

جيل يذهب ..

« الوسوسة » .. المؤدب الى درجة تضرب بها في قواميس اللغة الامثال .. الباسم ابدا وفي كل الظروف ، الى درجة تكاد تثير الاعصاب !

لم ار في الصين طوال الشهر الذي قضيته فيها ، مشاجرة واحدة .. ولا حتى مشادة كلامية ، او مساجلة حامية ! .. وقيل لي انه حيثما اختلف اثنان من الصينيين ، فانهما يظلان يتجادلان ويتعاتبان في هدوء ، حتى يقنع احدهما الآخر ، او يوسط لحل النزاع شخصا محايدا يثق فيه الطرفان ! .. اما الضرب والبذاءة ، والاسراع الى قسم البوليس ، والتهديد والوعيد ، والاتهام والدفاع ، فذلك خصال لا وجود لها عند اهل الصين !

واما الأمانة ، فقصتها اعجب : حدثني المصور الفنان « حلمى الجلال » - الملحق بسفارة مصر في بكين - انه يقطن في مسكن لا قفل لبابه ولا مفتاح ، يدخله كل من يدفع بابنه اذا شاء !

وقد انقضى عليه عام كامل على هذا المثل ، توجس في بدايته خوفا من النتائج ، حتى قيل له ان الكثير من مساكن بكين من هذا الطراز ، فهدأت مخاوفه بعض الشيء ، وأسلم أمره الى الله . . ورغم ان له جيرانا كثيرين ، يقفون على مواعيد دخوله وخروجه ، هو والسيدة زوجته ، فان « قشة » من متاعهما أو مالهما لم تسرق أو تمس !

وقصة أخرى غريب وأكثر طرافة ، رواها لى رجل هندي من رجال الأعمال في (هونج كونج) هو السيد «رامشانداني» ، وتتلخص في ان جماعة من اصدقائه الهنود كانوا يستقلون قطارا في احدى مناطق الصين ، فشرّبوا محتويات عدد من زجاجات البيرة ، وعند مغادرتهم القطار في المحطة التي يقصدونها ، تركوا الزجاجات الفارغة في العربة ومضوا . . فلما مر ملاحظ القطار بعد حين ، هاله ان «(ينسى)» الركاب زجاجاتهم الفارغة ، فراح يسأل ويستقصي حتى استطاع الاهتداء الى عنوانهم في البلدة التي نزلوا فيها ، وارسل اليهم «(الأمانة)» في عقر دارهم ! ويعلل الراوى هذه الأمانة الخارقة للمألوف بأنها قد تفلطت في دمهم بمضى الزمن ، نتيجة لسياسة معينة كان الحكام القدامى يتبعونها مع اللصوص : كان يضبط لص وهو يسرق تفاحة مثلا ، فيوبخه القاضي وينذره بالعقاب اذا عاد الى السرقة مرة أخرى . . فاذا فعل ، امعن القاضي في زجره وتهديده ، واكد له انه لن يصفح عنه بعد هذه المرة ، وانما سينزل به العقوبة المحتومة ! . . فاذا ركب اللص رأسه وارتكب سرقة ثالثة ، حكم عليه القاضي بالاعدام ونفذت فيه العقوبة علنا في احد الميادين العامة ، ليكون عبرة لغيره !

وخصلة أخرى اعجبتني في أهل الصين ، تتصل بالأمانة ، أو النزاهة ، باكثر من سبب ونسب . . خصلة يكادون ينفردون بها دون شعوب العالم اجمع ، وترفعهم فوق مصاف جميع الشعوب ! . . خصلة هي في نظري حجر الزاوية أو الأساس

لتقدم أى بلد أو تأخره ، ونهوضه أو انحلاله . . خصلة قد تبدو للوهلة الاولى ثانوية ، تافهة ، لكنك لو تدبرت نتائجها ، خطوة فخطوة ، لقادتك الى خطر النتائج والمضاعفات ، التى تنخر كيان الدولة كالسوس !

أنها الخصلة التى نفتقدها نحن فى مصر ، بصورة بشعة تدعو الى الأسى ، والتى لاتستطيع حكومة فى العالم ان تخلقها أو تزرعها فى نفوس أفراد شعب من الشعوب ، مالم يتعاون الشعب كله على المنادة بها ، وفرض احترامها و « قدسيتها » على الجميع ، كما أشار الرئيس جمال عبد الناصر ، بحق ، فى إحدى خطبه الأخيرة
هل عرفتھا ؟

انها قيام كل فرد فى الدولة بواجبه ، على الوجه الاكمل ، دون انتظار لرشوة ، ايا كانت صورتها أو قناعها التنكرى ، (سواء سميتها رشوة ، أو « بقشيشا » ، أو « اكرامية » ، أو مكافأة مشروطة ، صريحة أو مستترة . . الى آخر أقنعة الرشوة التى لاتقع تحت حصر !)

نعم ، هذه فى نظرى هى الخصلة الاولى التى ينتزع بها شعب الصين احترام كل زائر لبلاده ، أو متعامل مع احد افراده . . واستطيع ان اجزم بملء قلمى ولسانى ، وانا مطمئن كل الاطمئنان الى انى لست مخطئا أو مغاليا فى حكمى ، ان الستمائة مليون صينى الذين تجولت فى بلادهم - متكررا فى بعض الاحيان - لا يوجد بينهم فرد واحد يقبل جزاء غير مشروع على واجب يدخل فى اختصاصه ! . . ولقد كان هذا الموضوع موضع (رهان) بيننا فى كثير من المناسبات ، فكنا نحتال بكافة الطرق كي نقنع صينيا واحدا ، من اية طبقة ، وتحت ستار اى مبرر أو حجة ، بأن يقبل من احدا « بقشيشا » ، ايا كان مقداره ! . . لكن محاولتنا - بل ومؤامراتنا ! - باءت جميعها بالفشل : فشلت مع خادم الفندق الفقير ، ومع سائق

السيارة ، ونوتى الزورق ، وطاهى المطبخ ، وساعى المطار ،
وفراش القطار ، و . . الخ . . . كما اكد لنا رجال السفارة
المصرية وغيرهم ممن قضوا في الصين سنوات وسنوات ، ان
التجربة ذاتها تكررت معهم وتمخضت عن النتيجة عينها ، في
كل الظروف والملابسات ، بلا استثناء ! . . بل اضافوا ان مالمسناه
من افراد تلك الطبقات يسرى على سواهم ممن ينتمون الى
طبقات اخرى ، اهم واخطر . . يسرى على الموظفين جميعا ،
صفارا وكبارا ، في كل مدينة وكل قرية ، في طول البلاد وعرضها ،
وذابت نفسى حسرة وخجلا ، وأنا أتذكر ((المأساة)) التى
حدثت لنا مع الوفد الصينى - بالذات ! - الذى حضر الى
مصر منذ عامين ، (وهى مأساة لأجد حرجا في نشرها ، لأنى
لا أومن بسياسة النعام ، سياسة اخفاء الرأس في الرمال !) :
فقد حدث قبيل سفر ذلك الوفد الصينى ، وكان عدد افراده
خمسا وسبعين ، ان اجتمع اعضاؤه البارزون وقرروا توزيع
« بقاشيش » على خدم الفندق الذى كانوا ينزلون فيه - وهو
من اكبر فنادق القاهرة ! - فرصدوا لهذا الغرض نحو مائتى
جنيه ، وجلس واحد منهم يصرف جزئيات المبلغ لطابور الخدم
والطهارة و « السفرجية » والفراشين . . وطالت العملية ،
والطابور لا تبدو له نهاية . . حتى نفذ المبلغ المرصود ، فاعتذر
الرجل - وهو يذوب خجلا - بنفاد النقود !

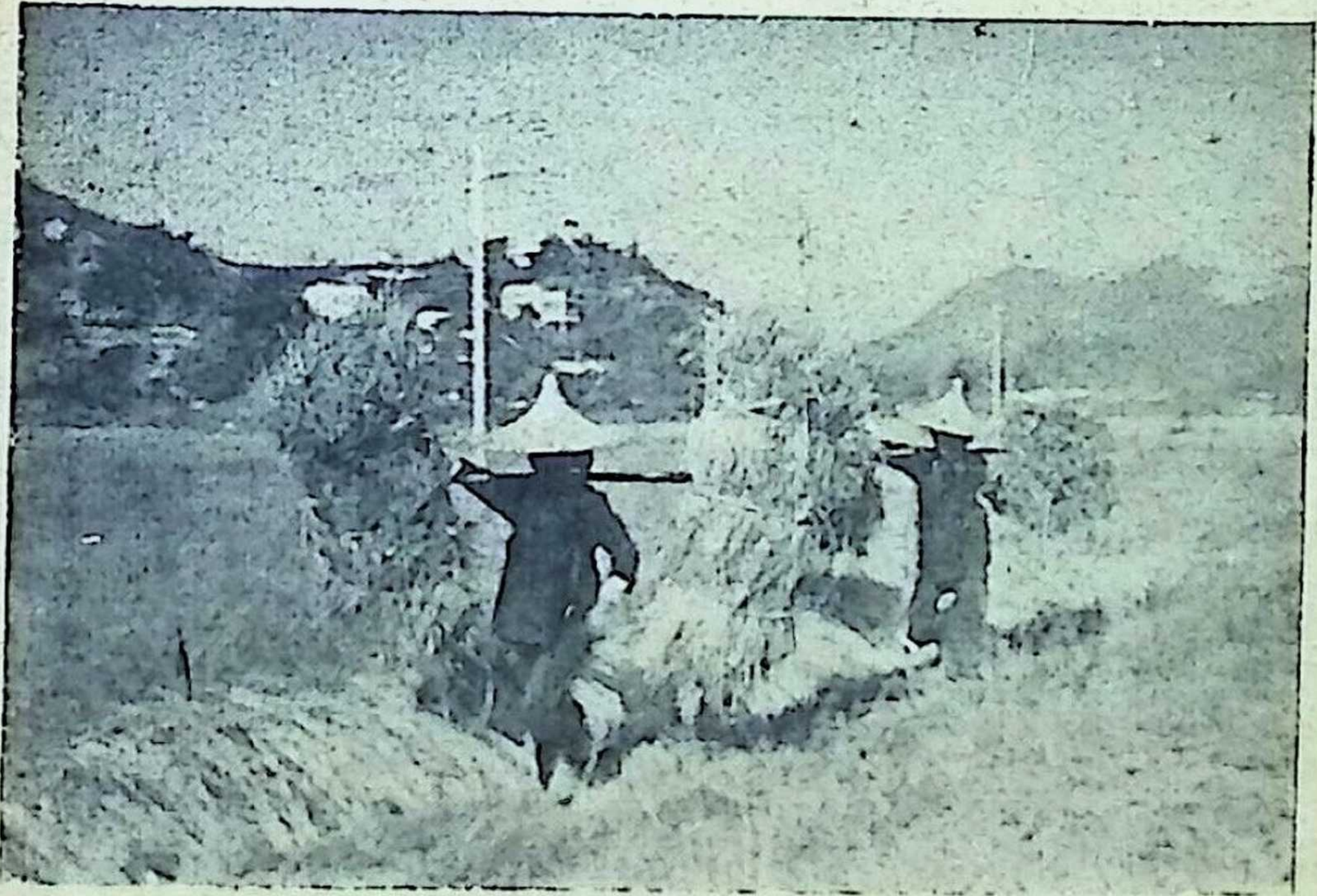
فهل تعلم كيف حدث ذلك العجز ؟ . . وما تفسير لغز ذلك
الطابور ؟ . . تبين ان الكثيرين من خدم الفندق المذكور كانوا
يقبضون نصيبهم من المبلغ ويخرجون من الباب ، ثم يعودون
من باب خلفى فينضمون مرة ثانية الى ذيل الطابور ، كى يقبضوا
نصيبهم من جديد ، بالغش والخداع و الاحتيال الدنىء !
وقد أدرك الضيوف الصينيون يومئذ « المقلب » القدر الذى
« شربوه » ، بحسن نيتهم ، لكنهم لم يفاتحوا احدا في الموضوع ،
بشكل علنى ، وانما اكتفوا بأن ابدى احد البارزين منهم - فيما

بعد - ملحوظة عابرة لاحد اصدقائه من المصريين ، وكان قد رافقه طيلة فترة اقامة الوفد في مصر ، اذ اقترح عليه ((ان تشدد مصلحة السياحة رقابتها على الأجانب الذين يديرون فنادقكم الكبرى ، لأنهم في الواقع اعداء لبلادكم ، سيئون الى سمعتها بتصرفاتهم ، وقد يكونون في ذلك .. عامدين !))

وعلى ذكر هذه الواقعة المخزية ، تحضرني واقعة اخرى حدثت لذلك الوفد الصيني بعينه في زيارته تلك لبلادنا ، ورؤاها لي احد كبار المصريين الذين رافقوه في تنقلاته : فقد كان بين اعضاء الوفد عدد من كواكب اوبرا (بكين) وبعض فنانات اقليم (سنكيانج) المسلمات اللواتي حضرن لعرض الاوان من فنونهن على مسرح دار الاوبرا بالقاهرة .. فلما جاء موعد البدء في تجارب الفرقة طلبن الى ادارة فندق «الكونتنتال» الذي كن يقمن فيه ان تحضر لهن سيارة اوتوبيس خاصة تحملهن ومعداتهم الى دار الاوبرا ، الواقعة في مواجهة الفندق .. وحضرت السيارة وتولت نقلهن ، وتكررت هذه العملية ثلاثة ايام متوالية ، فهل تعلم كم دفعت الفرقة مقابل انتقالها مسافة مائة متر ، عبر الميدان ؟ لن تصدق : ٧٥ جنيها مصريا ، كاملة! ..

بواقع خمسة وعشرين جنيها عن المرة الواحدة ! .. (وأنا أهدي هذه الواقعة الى السادة المشرفين على مصلحة السياحة ، كي يعجلوا بوضع حد لهذا الاستغلال البشع للسائحين - ايا كانوا - من جانب كل من له صلة بتنفيذ مثل هذه البرامج ، من هيئات او شركات او افراد ، صونا لسمعة البلاد من جهة ، وتشجيعا للحركة السياحية من جهة اخرى .. وكلا الاعتبارين خطير !)

ولنعد الى ما أعجبني - وما لم يعجبني - في الصين الشعبية : قلت ان اول ما أعجبني فيها هو شعبها .. أعجبتني فيه دماثته وتهذيبه .. وأعجبتني فيه أمانته ونزاهته ..



فلاحتان صينيتان تحملان المحصول على طرفي عصا طويلة توضع على الكتف ، كعادة أهل الصين جميعا في حمل الأثقال

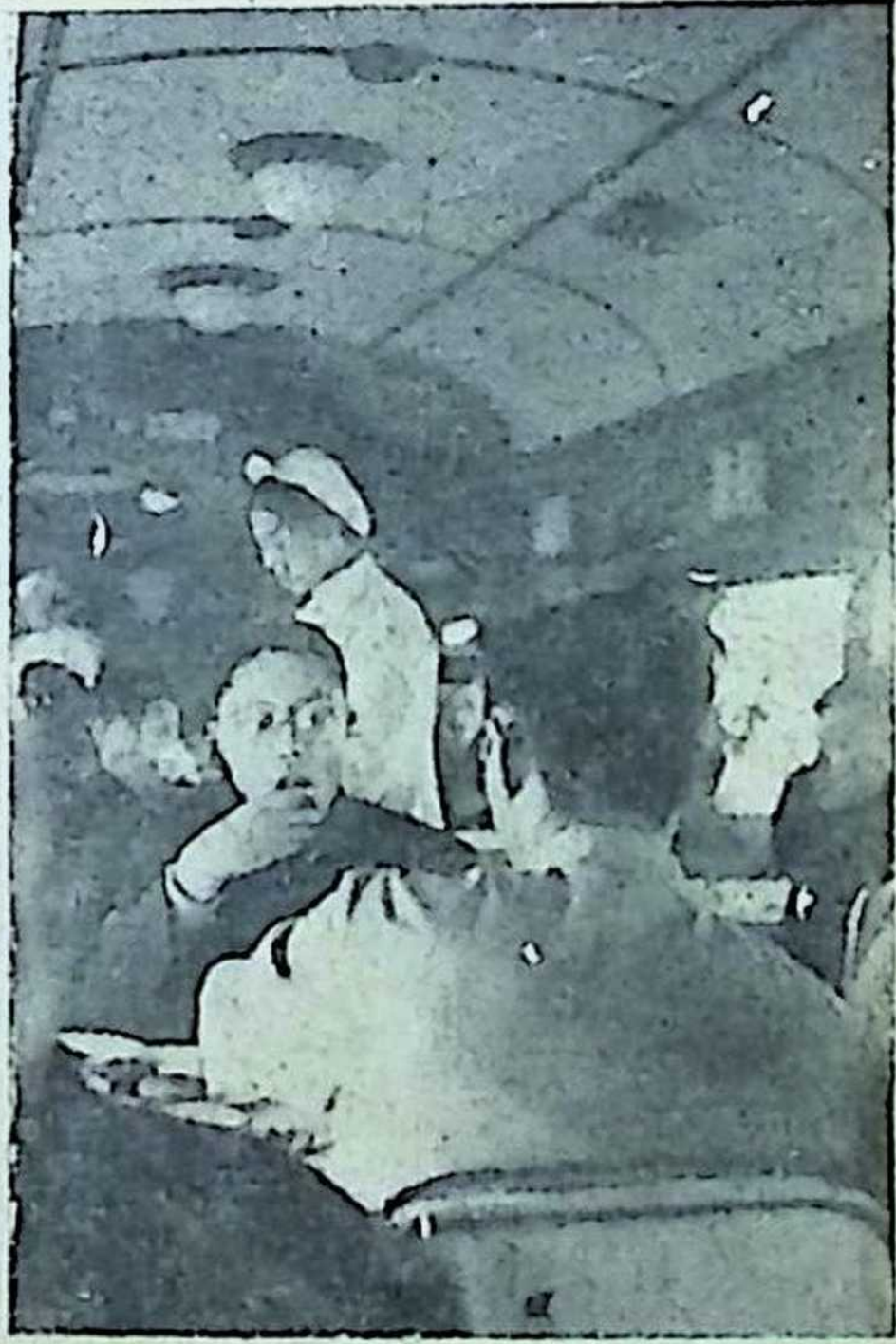
ثم أعجبتني فيه نظافته . . حتى الزارع الفقير في الحقل ، او العامل في المصنع ، الذي يرتدى سترة وينطلونا من التيل الازرق الرخيص ، تراه يفسلهما كلما اتسحا ، ويحتفظ بهما دائما في درجة من النظافة يحسده عليها الشخص الذي في مستواه في اية دولة اخرى ، غربية او شرقية . . وقد تعمدت ان اختبر نظافة القوم في كل مناسبة ، فكنت حين اركب القطار أتلمس اى سبب كى اذرع عربات الطبقة الفقيرة حتى آخرها ، ذاهبا آيبا ، وقد أذهلنى ما رأيته في تلك العربات : مئات من المسافرين الفقراء ، من الرجال والنساء والاطفال ، من شتى الحرف والبيئات ، ليس بينهم واحد تأنف من ان تجلس الى جواره ، او تلمس ثيابه ثيابك ، او تشاركه طعامه! . . كل ما يمت اليهم نظيف : ملابسهم البسيطة المتشابهة ، الزرقاء او السوداء . . وأحذيتهم . . وأمتعتهم . . ووجوه اطفالهم . .

وارض العربية التي يجلسون فيها . . الخ . . فيما عدا شيئاً واحداً : المجلات الصغيرة التي في حجم كف اليد ، التي لا بد ان تتسخ من كثرة الايدي التي تتداولها . وهي مجلات تتألف كلها من رسوم وقصص مسلسلة كقصص الاطفال ، كتبت تحت كل رسم منها عبارة أو عبارتان . ويبلغ من شغف الصينيين بهذه المجلات انك اذا دخلت عربة القطار الفيت نصف الركاب تقريباً ممسكاً بنسخ منها يطالعها والابتسامة على شفثيه . .

ومظهر آخر من مظاهر نظافة القوم ، وتهذيبهم . . مظهر قد يكون في ذاته تافهاً ، لكنه في نظري كبير الدلالة : هو مظهر « فراش » القطار المتواضع الذي يمر في العربات كي يصب الماء المغلي في القدرح الموضوع امام كل راكب ، فانه يحرص حين يرفع غطاء القدرح ، ان يضعه على المسند «مقلوباً» - كي لا تتسخ حافته التي ستنتطبق على حافة القدرح - ثم يتناول « القرطاس » المغلف الذي يحتوى على جرعة الشاي الأخضر المعدة لكل قدرح ، فيفضه ويفرغ محتوياته ، ثم يرفع سداً « الزمزية » التي بها الماء المغلي ، فيضعها جانباً بنفس الطريقة ، « مقلوبة » . . حتى يفرغ من العملية ويمضي ليكررها مع الراكب التالي ، وهكذا . . لاحظت هذه الحركات تتكرر بطريقة آلية من جميع الخدم والسقاة في كل مكان ، في جنوب الصين وشمالها ، في القطارات والمكاتب والمنازل والمطارات و . . و . . الخ . . الأمر الذي يدل على تغلغل روح النظافة وانتشار التهذيب في نفوس افراد الطبقة الدنيا من الشعب بصورة تدعو الى الاعجاب والاحترام . .

واذا كان هذا يحدث في القطارات العادية التي ليست بها عربات مخصصة للطعام ، من اشخاص هم اقرب الى طبقة « الفراشين » منهم الى طبقة السقاة المحترفين ، فليس عجيباً اذن ان ترى في عربات الطعام بالقطارات بدلاً من الساقى

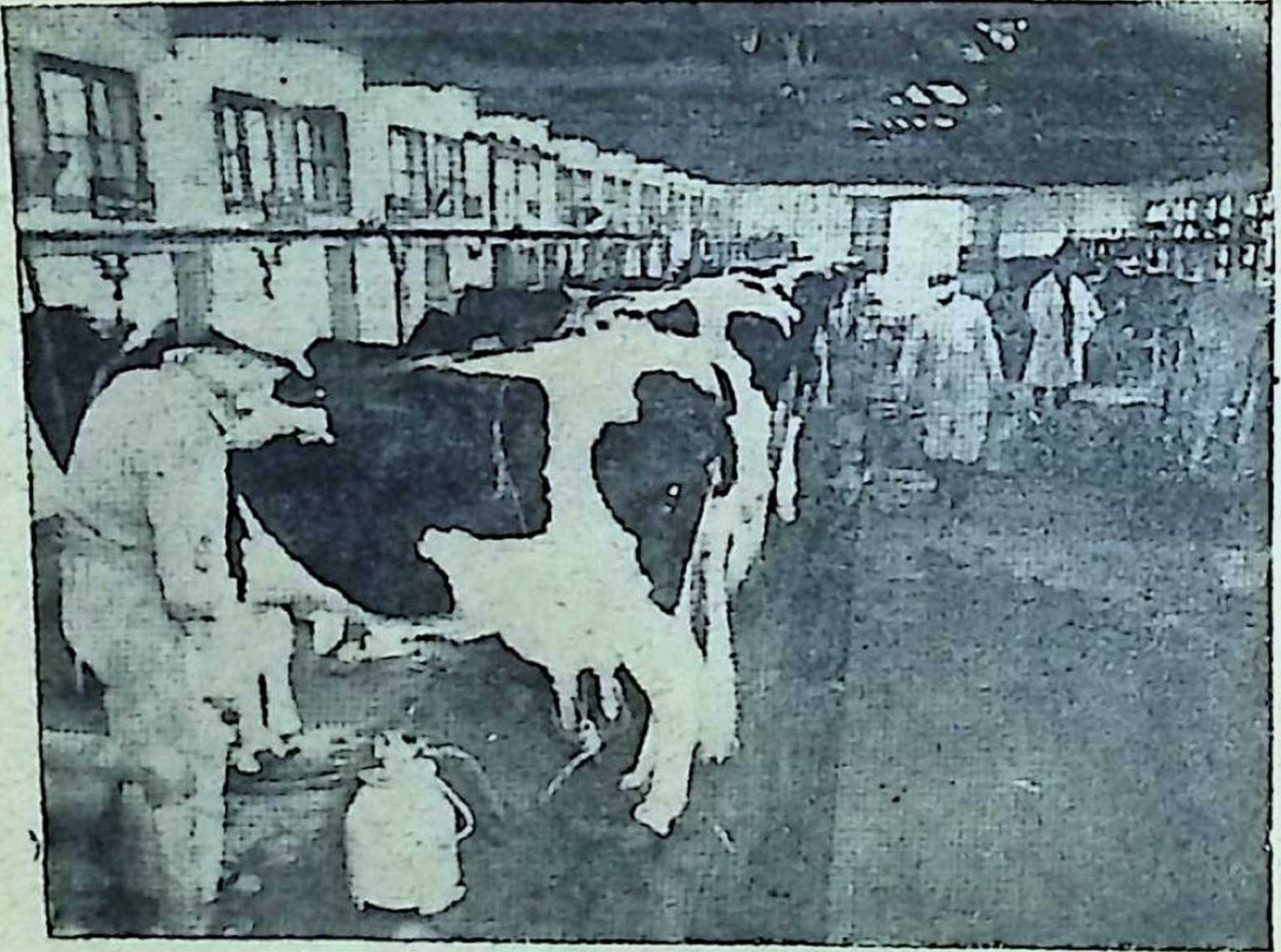
ساقية ، ترتدى مروالة
بيضاء ناصعة و ((كاسكت))
للرأس لا مزيد على نظافته
.. كما لن يدهشك بعد هذا
ان ترى النظافة تراعى على اكمل
وجهه في كل صغيرة وكبيرة ،
في شتى مرافق البلاد ، وفي
مئات الامثلة التي لا داعي
لذكرها .. بل ان ترى افراد
الشعب في مسلكهم الشخصي
يلتزمون مقاييس للنظافة لم
نرها او نسمع بها في اية
دولة اخرى : من ذلك انهم
اذا اصيب احدهم ببرد او
زكام ، او كان يعمل في مطبخ
او معمل للالبان ، او في منجم
او طريق زراعى كثير الاتربة ،
فانه يضع على فمه وانفه
((كمامة)) واقية ، يثبت
طرفيها خلف اذنيه ،



ساقية ترتدى الزى الابيض الناصع
في عربة الطعام بالقطار السريع
الفاخر الذى يقطع المسافة بين
(بكين) وبين منطقة الصناعات
الثقيلة في الشمال الشرقى في ١٦
ساعة !

(وهذه الكمادات تباع في الحيوانات وفي كل مكان) ،
والغرض منها ان تقى الناس من جراثيم زكامه او مرضه ، او
تقيه هو من الغبار والاتربة .. الخ

ويتفرع عن هذا الباب موضوع آخر للاعجاب لمسته في
الصين ، هو العناية الموفورة بمعالجة المرضى وتوفير المستشفيات
والمصححات لهم في كل مكان ، بل وتزويدها بأسباب الترف التي
لم اسمع بها من قبل ، ففي اكثر من مصحة ومستشفى -
ومنها على سبيل المثال مصحة الناقهين في (هانشو) -



حظيرة لحلب الابقار تبدو فيها النظافة التامة ، وقد ارتدى رجالها
كمامة من القماش على الوجه تمنع انتشار الامراض ، وارتدت امرأة في
أقصى الصورة معطفا أبيض كالاطباء !

رأيت قاعة فسيحة للسينما والمسرح ، أعدت وفقا لأحدث
طراز ، وزودت بمئات المقاعد . والمصلحة الأخيرة اقيم
بناؤها الفاخر فوق ربوة عالية باحدى ضواحي المدينة ،
وخصصت للمرضى بالامراض العصبية بصفة خاصة ، الذين
يدفع المريض منهم ما يوازي ستة قروش مصرية في اليوم ،
وفي مقابل هذا المبلغ الزهيد يعالج ، ويزود بالدواء ، والطعام ،
والفراش ، والكتب والمجلات ، والراديو ، والسينما ! .. بل
لقد رأيت في المصلحة المذكورة جناحا لمعالجة المرضى الذين
يشكون الأرق ، وهو مزود بأجهزة للتنويم بالكهرباء من أحدث
طراز في الطب الحديث . ورغم ان المصلحة المذكورة قد فتحت
للمرضى منذ عامين أو أكثر قليلا ، فان نظافة كل شبر من

جدرانها وأرضها وابوابها وادواتها ، توحى اليك كأنك انت الذى تفتتحها بزيارتك !

وعند زيارتي لسجن مدينة (شنغهاى) ، طلبت ان أرى مستشفى السجن ، الذى يحتل بناء مستقلا من ابنيته المتعددة التى يضمها سور واحد . . . فكان أهم ما لفت نظري فى المستشفى المذكور المخصص ((للمجرمين)) ، نظافة الملائات التى تغطى اجسام المرضى ، الى درجة لا تراعى فى مصر احيانا مع مرضى الدرجة الاولى ، (وفى المستشفيات الخاصة ،



تهذيب وانتاج : سجينتان من نزيلات سجن النساء بشنغهاى ،
تعملان فى صنع الجوارب بواسطة الآلات

لا المستشفيات الحكومية بطبيعة الحال ! . . ثم خرجت من
عنابر المرضى لأرى «غرفة العمليات» ، فاذا هي آية في النظافة ،
مزودة بأحدث الأجهزة ، يلمع كل ما فيها براقا زاهيا ، وكأنها
في مستشفى قصر ، لا مستشفى سجن !

وقد كنت أحب ، لمناسبة اشارتى الى نظافة مستشفى
سجن (شنغهاي) ، ان احدثك هنا بالتفصيل عن مشاهداتى
في السجن المذكور ، وعن أنظمته ، وحياة نزلائه ، وعن سجن
النساء الملحق به ، وبرامج الاصلاح والتهذيب والتثقيف التى
تعد للمسجونين ، والصناعات المختلفة التى يتولاها الرجال
منهم والنساء . . الخ . . اولا ان الحديث فى ذلك كله سيطول ،
ومن ثم اوثر أن ارجئه الى حينه ، عند زيارتنا لشنغهاي

وما دما بصدد الحديث عن تلك المصحة التى اقاموها فى
(هانشو) ، فلأكمل لك وصفها ، فاتها شئ جدير بالاعجاب
حقا . لقد شيدوها على مساحة من الارض تبلغ ٦٨٠٠ متر
مربع ، وهى محاطة من جميع نواحيها بالشرفات الفسيحة
التي تشرف على مناظر طبيعية رائعة الجمال ، وروابي خضراء ،
وعند اقدام التل - الذى يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ١٤٠
مترا - ينساب نهر « تشانتاو » . وقد روعى فى اختيار مكان
المصحة أن تحميها الجبال من العواصف الباردة فى الشتاء ،
ويهب عليها النسيم العليل فى الصيف ، ومن ثم تجد جوها
أدفا من المدينة بأربع درجات فى الشتاء ، وألف منها بست
درجات فى الصيف . وبلغ من حرص القوم على راحة المرضى
وحمايتهم من الضوضاء ان روعى فى بناء طوابق المبنى ان يكون
السقف مزدوجا ، من طبقتين : طبقة من الأسمنت ، وطبقة من
مواد اخرى عازلة للصوت . والمدة المقررة لاقامة كل ناقة هى
شهران ، لكن للطبيب ان يقرر اختصارها أو زيادتها وفقا لحالة
المريض . والى جانب المرضى بالامراض العصبية ، تجد فى
المصحة مرضى بالروماتيزم ، وضغط الدم ، وغيرهما من



الوفد الثقافي امام المبنى الرائع لمصحة (هانشو) المخصصة لناقهي
لامراض العصبية والروماتيزم وضغط الدم . وقد احتفظ في هندسة
بقفها بالطابع الصيني القديم المائل ، المصنوع من الخزف ، ولم
يزيدوا عليه سوى نموذج لحمامة السلام في الزوايا والاركان .

الامراض غير المعدية . وبها عدا أجنحة العلاج بالكهرباء والاشعة
والمستحدثات المعروفة ، أجنحة أخرى للعلاج بالتدليك ،
والشمس ، والمياه المعدنية ، والشمع ! (ولست ادري ان كان
العلاج بالشمع معروفا في البلاد الاخرى ام انه من أساليب
العلاج الصينية القديمة ، شأنه شأن الوخز بالابر ، وهي طريقة
تقليدية هناك يقولون انها تأتي بنتائج عجيبة في علاج الكثير من
الامراض المستعصية ، حتى لقد حدثني السيد حسن رجب
سفير مصر في الصين انه يفكر في ان يرسل ابنه بعد تخرجه من
كلية الطب المصرية كي يدرس هذه الأساليب الصينية في
موطنها .)

بقى اعجب ما في المصحة المذكورة ، وهو عدد المرضات

المخصصات للعناية بالمرضى . . . فان هذا العدد لايزيد عن ست عشرة مائة ، مقابل مائتين وخمسين سريرا للمرضى ! وهي نسبة ضئيلة جدا ، لا سيما اذا ادخلنا في الاعتبار ما بدا لنا من العناية الزائدة براحة المرضى ، وبكل صغيرة وكبيرة تتصل بهم ، ولعل اطراف تعليل علق به احد الحاضرين على ضالة هذه النسبة ، أن دماثة خلق الصينيين ووداعتهم - حتى في حالة المرض - لا توجههم الى اكثر من هذا العدد من الممرضات !

وقبل أن ننتقل من الحديث عن الناحية الصحية ، تعال نسأل مرافقينا الرسميين عن بعض الاحصاءات والارقام المتصلة بهذا الموضوع ، على سبيل المثال ، ونسمع جوابهم عنها : انهم يقولون ان مشروع الخمس سنوات الاول ، (من ١٩٥٢ - ١٩٥٧) ، قد أسفر عن التقدم التالي في ناحية الصحة العامة للشعب :

زِيد عدد الاسرة (جمع سرير) في المستشفيات بنسبة ٧٧ في المائة . . . وفي المصحات بنسبة ٢٣٧ في المائة
هبطت نسبة الوفيات الى النصف ، وانخفضت وفيات الاطفال من ١١٧ في الالف الى ٣٥ في الالف
انخفضت وفيات النساء أثناء الولادة ، في العاصمة ، عشر مرات

((اختفت)) اوبئة الجدري والكوليرا والطاعون من الصين
((اختفى)) الذباب من الصين ، نتيجة للاجراءات والحملات المشددة المستمرة بمختلف الطرق الكيماوية والطبية ، وحرق الفضلات سواء في القرى والمدن . . الخ . (وانا أشهد على صحة ذلك ، اذ لم ار خلال الشهر الذي قضيته في الصين سوى ذبابة واحدة ، صادفتني في احد القطارات !)

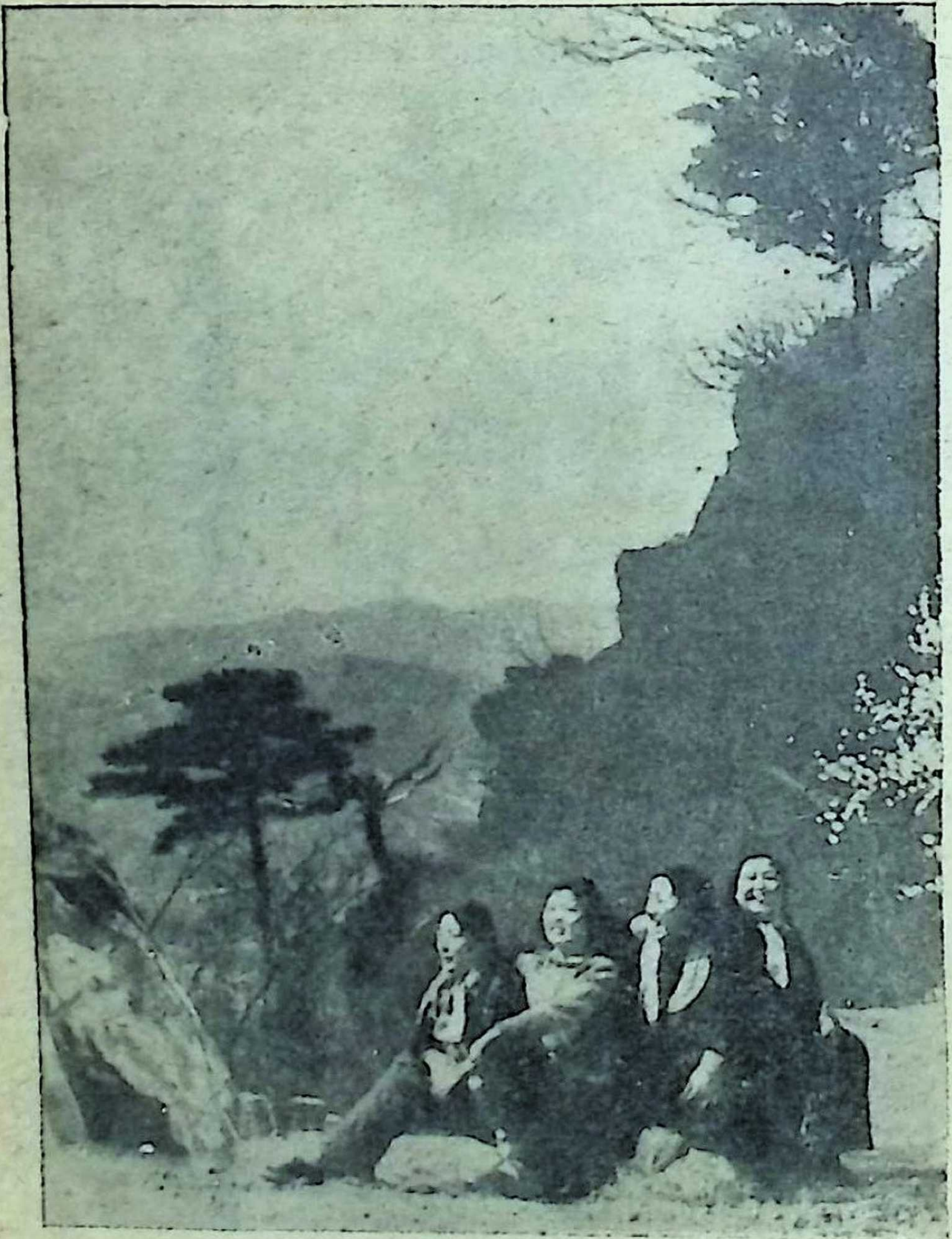
ارتفع متوسط عمر الفرد في الصين من ٢٥ سنة ، الى سن لم يستقر عليها الاحصاء بعد ، وان زادت عن ذلك بكثير



مرضى يقضون طور النقاهاة في احدى المصحات التي تتوفر فيها كل الكماليات ووسائل الراحة ، ومنها قاعة للسينما والمسرح

زيد عدد الاطباء في الصين زيادة ضخمة ، والاطباء في الصين فئات ثلاث : اطباء يتخرجون بعد التعليم العالي ، واطباء يتخرجون بعد التعليم المتوسط ، ومأمورون صحيون يتخرجون بعد التعليم الابتدائي (ويتخرج من هؤلاء الاخيرين نحو نصف مليون كل عام !)

واكثر الادوية التي تتداول في الصين تصنع فيها محليا ، والجزء الضئيل الباقي يستورد من الخارج . وقد زيد انتاج البنسلين مثلا في مشروع الخمس سنوات من ١٥٣ الف انبوبة في السنة الى ٢٩ مليون انبوبة ، (أى بنسبة ١٩ الفا في المائة !) . والقاعدتان الرئيسيتان للصحة عندهم هما : ان



مرح الشعب الصيني يبدو على حقيقته في صورة هؤلاء النسوة اللواتي صعدن الى غابة جبلية ليتضحكن وينسين متاعبهن

الوقاية خير من العلاج ، وان الطب ينبغي ان يجمع بين
الاساليب الحديثة والاساليب التقليدية القديمة في وقت
واحد ! (وبهذه المناسبة ، اذكر ان الرئيس « شو اين لاي » ،



الرئيس « شو اين لاي » رئيس وزراء الصين الشعبية عند
استقباله للوفد الثقافي المصري في مكتبه بمدينة (بكين) ، ويرى في
يسار الصورة والى يساره الدكتور أحمد نجيب هاشم ، فالسيد
حسن رجب (سفير مصر في الصين) ، فالمحرر ، فالاستاذ
محمد البدوي

رئيس وزراء الصين ، عنى حين قابلناه فى بكين يوم ٤ نوفمبر
الماضى ، بأن يستفسر من الدكتور السعيد بوصفه مديرا
لجامعة الاسكندرية (التي تضم كلية للصيدلة) ، عن مدى



تتمة الصورة التي التقطت للوفد الثقافى عند زيارته للرئيس
« شو اين لاي » ، وقد ظهر فيها من اليمين : الدكتور السعيد مصطفى
السعيد ، والدكتور محمود الحكيم ، فالاستاذ عبد المجيد شديد ،
وقد ظهر فى الصف الخلفى لجزءى الصورة الاستاذان عبد الواحد
على وسعيد حامد الصدر

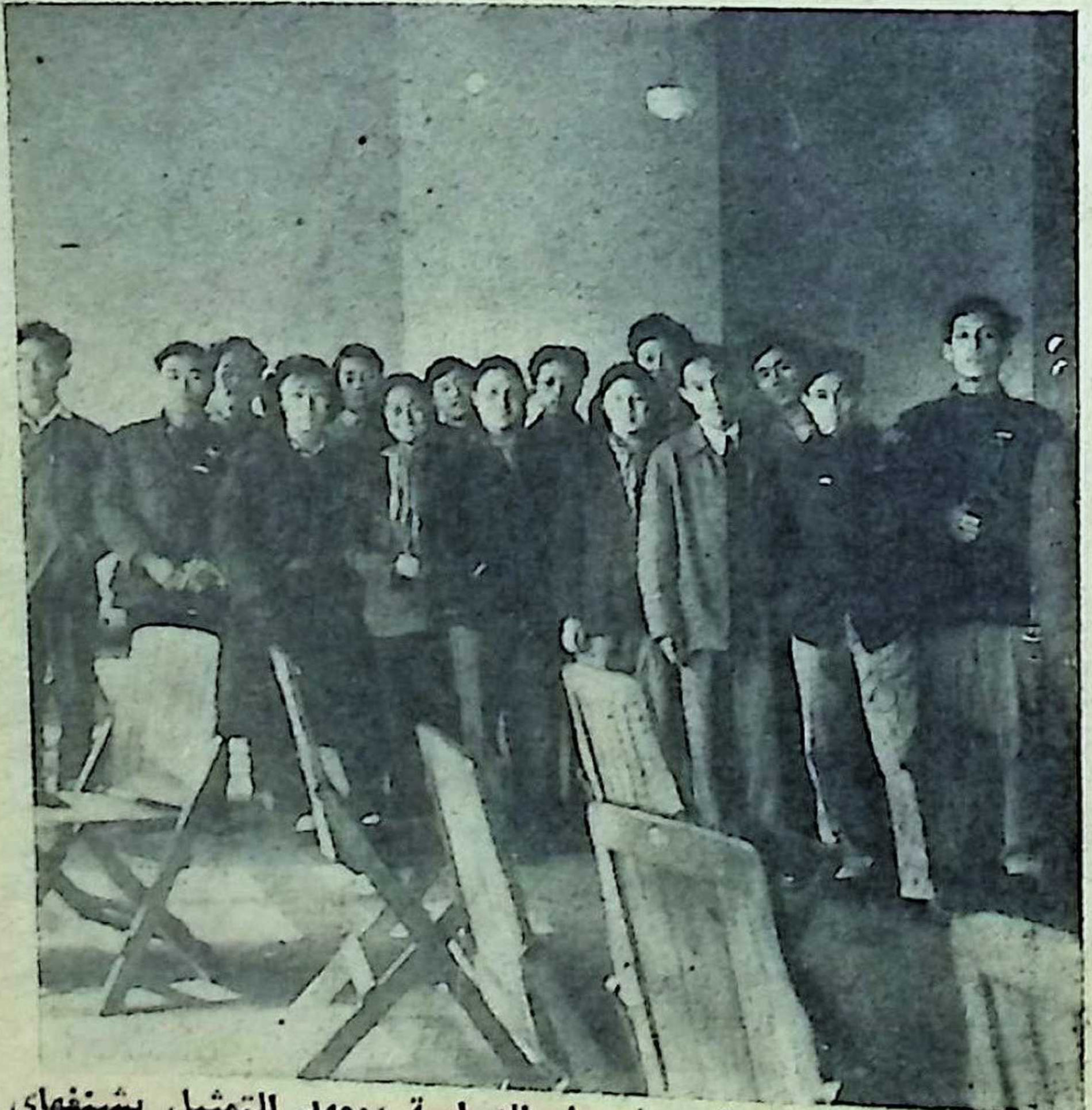
عناية كليات الصيدلة المصرية بدراسة موضوع الاكثار من زراعة الاعشاب الطبية التى تستخدم فى تركيب الادوية والمستحضرات المختلفة ! وأسهب الرئيس الصينى فى هذا الحديث الى درجة استرعت عجبنا واعجابنا حقا بسعة أفقه ، واحاطته بالكثير من الجزئيات والابحاث « غير السياسية » !

♦ وأعجبني فى الصين الشعبية ، الاختلاط بين الجنسين فى جميع مراحل التعليم : من مرحلة «الروضة» الى مرحلة الجامعة .. ففى شتى المدارس والمعاهد التى زرتها - سواء فى (بكين) او (شينغهاى) او (نانكنج) او (شنيانج) .. الخ - رأينا البنين والبنات جنبا الى جنب فى حجرة الدراسة الواحدة ، والمقعد الواحد ، والفناء الواحد ، وقاعة الطعام الواحدة .. الخ .. وأعجبنا بروح الزمالة والاخوة بين افراد الجنسين ،



اختلاط الجنسين فى حديقة معهد الفنون الجميلة بمدينة (هانكاو)

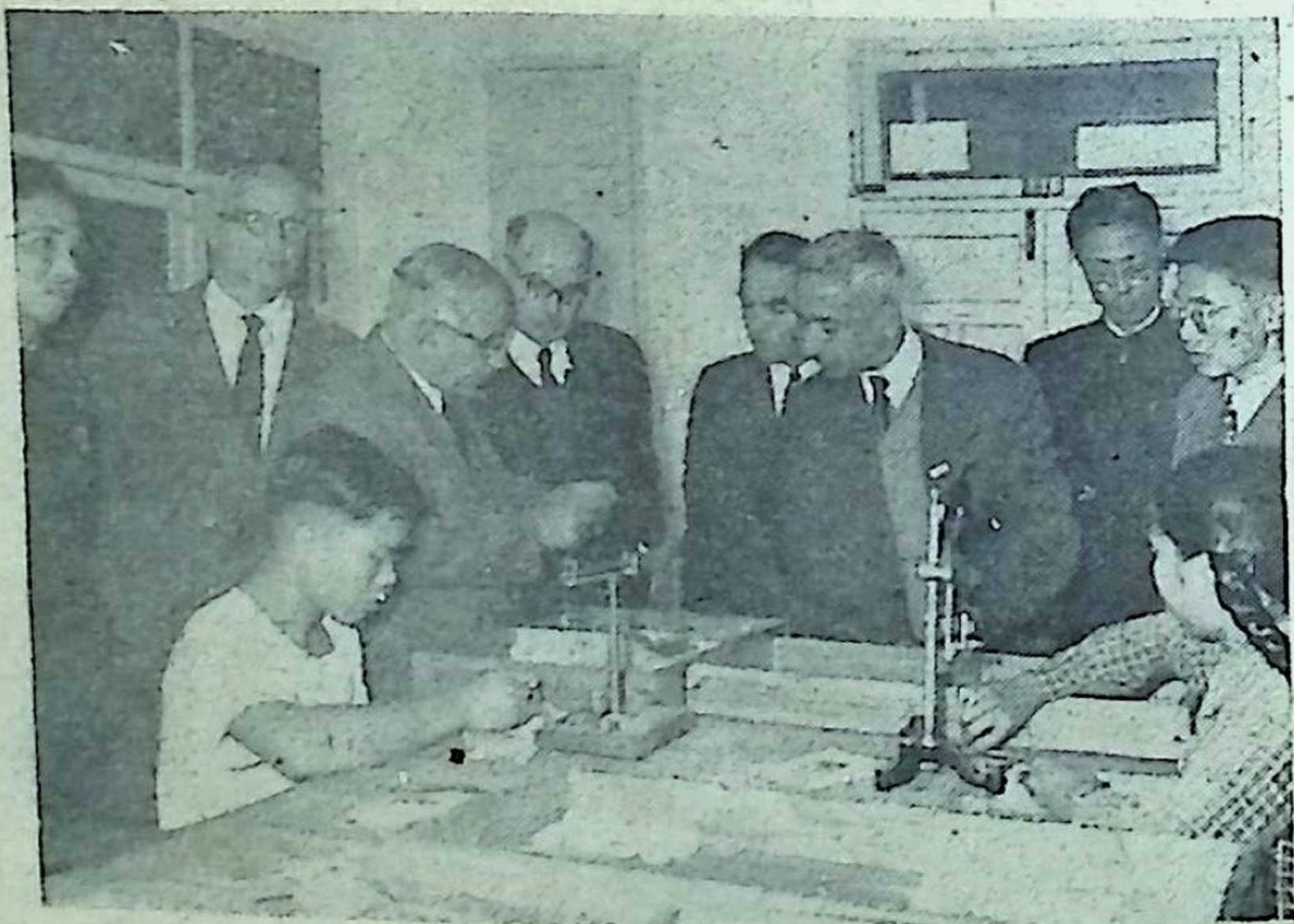
والبساطة المهذبة التي تضيف طابعها الجميل على الجميع ..
 وكما تبيح الصين الاختلاط بين الجنسين في معاهد التعليم،
 فقد أعجبني فيها بالتالي انها تبيح الاختلاط بين الجنسين
 خارج معاهد التعليم ! .. والامر هنا يحتاج الى ايضاح ، كي
 لا يلتبس الامر عليك : فقد أشرت من قبل الى التقشف الذي
 يسود الصين في ناحية اللهو ، والى تحريمهم الصارم لجميع
 أنواع الملاهي الليلية ودور البغاء ، بل والمطاعم أو المقاهي
 التي لا ترى لها أثرا في أية مدينة من مدن الصين ! - وهو أمر



اختلاط الجنسين في أحد فصول الدراسة بمعهد التمثيل بشفهاي



الفيت المفاهي من جميع مدن الصين ، واستعفيض عنها بمثل هذا المنتدى المقام في حديقة قصر الثقافة في (بكين) ، حيث ترى نفرا من الشباب يلعبون الشطرنج



اختلاط الجنسين في احد مصانع الموازين ، وقد ظهر في الصورة بعض اعضاء الوفد الثقافى المصرى

لا تعجبني مغلالاتهم فيه الى هذا الحد الذى يجعل مدنهم تبدو منذ لحظة اغلاق الحوائيت في الثامنة مساء اشبه بالمدن المهجورة التى لا حياة فيها ولا بهجة !

على ان القوم فرقوا - وحسنا فعلوا - بين منع «الكباريهات» والبغاء ، اى تحریم متع الاحتراف التى تباع وتشترى ، وبين منع اختلاط الجنسين في نطاق الحب والعواطف ، اى تحریم متع الهوى الخالص الذى لا يباع ولا يشتري ، فأباحوا المتع الثانية على أوسع نطاق : في الحدائق ، والمتنزهات ، والغابات ، وعلى شواطئ البحار والأنهار . . . فاذا تجولت في حدائق (بكين) ، أو على كورنيش (شنفهاى) ، أو ضفة بحيرة هانشو ، رأيت العشاق أزواجا فوق المقاعد ، أو الحشائش ، أو في

الزوارق التي تتأرجح على سطح الماء .. لا يزعجهم ((بوليس آداب)) ، أو ينتفل عليهم مشاكس دخیل ! .. فليتنا نتعلم منهم الكف عن مطاردة الشباب وتضييق الخناق عليهم في كل مكان !

♦ وأعجبني في الصين الشعبية تقديرها للفنون على اختلاف ألوانها ، وتشجيعها للقائمين عليها والمشتغلين بها .. فالدولة هناك تسخو على فنون المسرح ، والسينما ، والأوبرا ، والباليه،



رقصة ((بائعة اللبن)) كما تعرض على مسارح الصين ، وهي تمثل حياة الطبقة العاملة من نساء (منغوليا)

سخاء لا مزيد عليه .. لا تبخل فيه بمال ، ولا دار ، ولا تشجيع ايا كان .. يكفي ان تعلم ان عدد مسارح الصين بلغ في نهاية عام ١٩٥٧ : ٢٠٧٨ مسرحا ، وعدد دور السينما : ٨٩٦ دارا ، وعدد اجهزة العرض التي تعرض افلاما في العراق ، في القرى والبيادر : ٥٢٧٩ جهازا .. ولعلك ادركت مما ذكرته



مغنية الأوبريت الصينية « كو - لان - ينج » في أحد أدوارها ، وقد فازت بجائزة المهرجان العالمي للشباب والطلبة

لك عن مسارح كانتون الاربعة عشر المخصصة للفنون الكلاسيكية ، ومسرحها الوحيد اليتيم المخصص للفن العصري ، لعلك ادركت من ذلك مبلغ تعلق الشعب بالفنون العريقة ، مثل فن الدراما ، وفن الاوبرا . بل انك قد تدهش اذا علمت



رقصة « باليه » رائعة يؤديها اثنان من « طلبة » مدرسة (بكين) للرقص الكلاسيكي . وتلاحظ الرشاقة البديعة في حركاتهما ، والجمال والوسامة النادرين في طلعتيهما .

انه في مقابل دار الاوبرا الوحيدة التي عندنا في مصر ، توجد في مدينة (بكين) وحدها « عشرات » من دور الاوبرا ، عدا الدور العديدة الموجودة في كل مدينة من المدن الكبرى الاخرى . وفي كل من هذه المدن تجد دارا واحدة على الاقل تخفض اسعار تذاكرها الى درجة تتيح للطبقات الفقيرة ان تتردد عليها . فاذا دخلت تلك الدار الفيتها مزدحمة عن آخرها بالفقراء ، الذين جاءوا ومعهم عائلاتهم واطفالهم ! .. ورغم وجود الأطفال فانك تلاحظ من مظاهر تهذيب القوم وحسن سلوكهم انهم يلتزمون الصمت التام والسكون المطلق اثناء تمثيل الاوبرا ، بحيث اذا خطر لك ان ترمى « ابرة » على ارض المكان ، سمعت صوتها فورا !

والصينيون متقدمون في فن الاوبرا الى مستوى عالمي رفيع ، وعندهم عدة « مدارس » للاوبرا ذات مذاهب واتجاهات مختلفة ، لكل منها ميزتها وجاذبيتها الخاصة . وأشهر هذه المدارس هي المعروفة باسم « اوبرا بكين » ، ولها عدة فرق مستقلة احداها عن الاخرى بممثلاتها وممثلاتها ، بعضها يعمل على مسارح الاوبرا في العاصمة ذاتها ، وبعضها الآخر يتنقل بين مسارح مدن الصين الاخرى .

والأوبرا الصينية ، على وجه العموم ، تتميز بالبذخ الهائل في الثياب والمناظر ذات الالوان الصارخة ، التي تعيد ذكرى الترف القديم في بلاط الابطرة والاقطاعيين ، مما يؤلف مفارقة كبرى مع الزى الحالي البسيط . . . وتصاحب موسيقاها الصينية التقليدية اصوات صاخبة كأصوات الصاجات أو الموسيقى النحاسية ذات الدوى الذي يصم الآذان . أما فن الاخراج فيبلغ الذروة احيانا من حيث تتابع المناظر وتنوعها ، فترى مثلاً حريقاً في غابة ، يعقبه تلاطم امواج في المحيط ، ثم

ركض جياذ ، وظهور أشباح ، ومبارزات بين فرسان من التبت
أو المغول . . الخ . . وترى رجالا يذكرونك في لحظات بحضارة



في استعراضات المسرح وروايات الاوبرا الصينية ترى فرسان (التبت) البوأسل يتراقشون
بالسيف كما لو كانوا فوق ظهور جياذهم وهي تركض . . ويطلقون على هذه الرقصة اسم
« رقصة الفرسان » ، وهي تظهر مبلغ براعة الصينيين في الفجر والحركات البهلوانية

الصين العريقة عبر آلاف السنين ، رجالا لهم شوارب طولها
أمتار ، وضافائر من الشعر تهبط من وسط الرأس الى
مستوى الركبة !

.. وفي الوقت الذي يعود بك فيه فن الاوبرا الصينية
القهقري آلاف السنين ، يطفئ بك فن السينما الصينية الى
المستقبل طفرات واسعة ، رأيت ملامحها في اثنين من
استديوهات شنغهاي ، احدهما للرسوم المتحركة الملونة والدمى
المجسمة - من طراز افلام « والت ديزنى » - وسأحدثك
بالتفصيل عن زيارتي لهذا الاستديو الضخم في حينها ..
والآخر استديو للتمثيل السينمائي العادى ، شهدت فيه
تصوير مناظر أحد الافلام الجديدة ، وكانت بطلة الفيلم شابة
ريفية يصارحها زوجها برغبته فى الطلاق ، بعد ان زار المدينة
ففتنته نساؤها ! .. ونبهنى الزى الشبيه بـ « البيجاما » ،



صورة تذكارية التقطت لدام « باى يانج » أشهر ممثلات السينما
الصينيات عند عبورها النيل لزيارة وادى الملوك بالاقصر في
الغريف الماضي

— ذات السترة والبنطلون — الذى كانت ترتديه البطلة الريفية ، الى حقيقة كانت غائبة عنى واستنتجتها فجأة ، وهى ان الزى الحالى الذى ترتديه نساء الصين — زى السترة والبنطلون — انما ينبع من صميم تقاليد الشعب الصينى وملامحه الريفية الاصيلة ! وكنت قد طالما ساءلت نفسى ، منذ وقع بصرى على هذا الزى ، عن سر اختياره وتعميمه . . . ذلك انه لم يعجبنى البتة ، فهو — من جهة — يفقد المرأة انوثتها وسحرها ، سيما اذا اضعفنا اليه ما تفرزه به الصينية اليوم من اغفال تام لكل زينة او مساحيق ! . . . ومن الجهة الاخرى ، فان هذا الزى لا يلائم القامة القصيرة للمرأة الصينية بالذات ، وهى قامة دون المتوسط بكثير .



• وأعجبنى فى الصين تقليد طريف ، هو التمرينات الرياضية التى يمارسها كل افراد الشعب لمدة ربع ساعة ، مرتين كل يوم ، فى ساعة محددة ، بارشاد مذيع فى الراديو . . . ففى نحو الساعة العاشرة صباحا والرابعة بعد الظهر ، ترى كل شخص قد ترك عمله وبدأ يمارس تمريناته . يفعل ذلك الكبير والصغير ، الموظف والتلميذ وصاحب العمل ، التاجر والصانع . . . فى المكتب ، والحديقة ، والمصنع ، والمدرسة ، والشارع . . . الخ

ويتفرع عن هذا شغف هائل بالرياضة بجميع أنواعها ، ففى كل مكان ترى الملاعب ، والاندية الرياضية ، والمباريات ، وفى هذا المجال ايضا ينشر قلبك اذ ترى الاختلاط بين الجنسين فى ملاعب كرة السلة والتنس كاملا بهيجا ، مفعما بالنشاط والمرح . . . بل انك اذا دخلت احد متاجرهم الكبيرة (Department Store) وجدت قسما ضخما مخصصا لبيع الادوات الرياضية لجميع الالعاب ، على نطاق واسع

وعلى ذكر المحلات التجارية ، فقد أعجبتني فيها أشياء ، ولم تعجبني فيها أشياء أخرى : أعجبتني فيها تحديد الأسعار للسلعة الواحدة في جميع متاجر المدينة بلا استثناء - بل وأكاد أقول في متاجر مدن الصين جميعها ! - الأمر الذي يريح المستهلك من ((عذاب)) المساومة ، والجدل ، والتحايل ، وإضاعة الوقت في المقارنة بين أسعار عدة حوانيت .. الخ .. كما أعجبتني في المتاجر الكبرى احتواؤها على كل سلعة تخطر بالبال ، حتى المأكولات ، ومواد البقالة ، والحلوى ، والكعك ، والخبز ، والمشروبات - ولك ان تتصور احتواء محل شيكوريل أو سيدناوى مثلا بالقاهرة على مثل هذه الاصناف ! ولكن لم يعجبني في المتاجر المذكورة ان بضائعها في العادة متشابهة في مختلف المحلات ، لا تترك المصارى مجالا كبيرا للاختيار وتغليب الذوق الشخصي ، بحكم كونها كلها تقريبا من الانتاج المحلى للصين ، واذا وجدت سلع نادرة مستوردة من الخارج فانها تباع بأسعار باهظة غير معقولة ، تبلغ ((أضعاف)) ثمنها !.. من امثلة ذلك اننى اشتريت الفيلم الواحد الالماني ماركة (أجفا) آلة التصوير التى كنت التقط لك بها مناظر هذه الرحلة ، بمبلغ يساوى بالعملة المصرية خمسين قرشا ، فى حين اننى اشتريته من (هونج كونج) بعشرة قروش !.. اما آلة التصوير ذاتها ، وهى المانية الصنعة ، وكنت قد اشتريتها فى القاهرة منذ عامين بحوالى أربعين جنيها ، فقد وجدتتها معروضة فى (بكين) بـ ١٠٠٠ بكى تظن ؟ بمائتى جنيه ، ولك ان تصدق أو لا تصدق ! (ومن اجل هذا كنت دائم الانزعاج عليها كلما نسيتها أو تركتها مضطرا فى مكان . ولولا أمانة الصينيين الغريبة لسرقت منى حتما فى أية مناسبة !) والعجيب فى الأمر أن مزايا متاجر الصين ، وعيوبها ، على السواء ، تنجم كلها عن سبب واحد مشترك ، هو انها جميعا مملوكة

للدولة . . والمتاجر التي كانت مملوكة لافراد ، عين اصحابها مديرين لها ، مقابل مرتب محدد وحصّة من ثمن المبيعات ،

• وأعجبني في برامج التعليم في الصين الاهداف الخمسة للحب التي يلقنونها للنشء منذ نعومة أظفارهم ، وفي كل مناسبة ، وقد اطلقوا عليها (Five Loves) - وهم يسردونها حسب الترتيب التالي : حب الوطن ، وحب الشعب ، وحب العمل ، وحب العلم ، وحب الممتلكات العامة . . (وما احوجنا الى تلقين هذه المبادئ للنشء عندنا ، ولا سيما المبدأ الخامس منها ، كي يمتنع كل زائر لمنطقة آثار مثلا عن حفر اسمه على احجار المعابد وجدران الاماكن الاثرية ، وكي نقضى على روح الهدم والتدمير التي توحى لكل مار في الطريق أن يشوه معالم كل ما يصادفه ، بأي سلاح في يده ، أو مطواة ، أو طباشير ، أو قلم ملون ! . . أو . . الى « آلف » من أمثلة هذه النزعة الشريرة التواقة الى إتلاف كل ما هو مملوك للدولة ، أو الحكومة ، أو « الميرى » !)

• وأعجبني في الصينيين ، بلا استثناء ، ترحيبهم الحار الساذج بضيوفهم من شتى البلاد ، ولا سيما من البلاد التي تربطهم واياها علاقات مودة وأخاء ، أو تفاهم وصداقة ، أو ميل وأعجاب . . وهم لا يصدرون في ذلك عن مصلحة أو اغراض ذاتية ، وانما تراهم يعبرون عن ترحيبهم باندفاع عاطفي « شرقي » كريم مضياف ! . . والدليل على ذلك ان المساعدات المتنوعة التي امدت الصين بلادنا بها اثناء العدوان الثلاثي ، ومنذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، كانت خليفة بان تجعلنا نتفوق على الصينيين في العرفان بالجميل والاعراب عن الصداقة والود ، لكن ما حدث هو العكس تماما ، وانى لا اعترف - بعد ما لقيناه

تقصيرنا في الترحيب بضيوفنا



بهذه الحرارة يودعون ضيوفهم المصريين في محطة (شنفهاى) . وعلى رأس المودعين أشهر كواكب السينما في الصين ، « مدام باى يانج » . ليت كواكبنا يتعلمن منها هذه البساطة التى تبدو على محياها !

منهم من ترحيب حماسى مشكور - باننا ما زلنا عاجزين عن استقبال وفودهم التى تفد الى بلادنا بمثل الحفاوة التى يستقبلون هم بها وفودنا ، أو حتى بعض هذه الحفاوة ! ..
والمسألة فى رأى مسألة طبيعة ، لا تكلف ، فقد تكون قلوبنا حارة فى الترحيب بضيفنا ، لكن مركبا من الخجل - أو الكبرياء ، لا أدرى - يأبى إلا أن يدس الفتور فى اليد التى تصافح ، أو اللسان الذى ينطق ! .. أما هم ، فكان الواحد منهم حين يصافحنا ، أو الصبية منهم حين تقدم باقة الورد الينا ، تظل تهز يدينا بكلتا يديها عدة دقائق ، ولسانها يكرر كلمة الاستقبال أو الوداع الصينية المألوفة ، مرات لا حصر لها ، فى



موكب الزهور الذى استقبلنا في كل محطة ومطار : باقة زهر
لكل ضيف !.. فهل نستقبل نحن ضيوفنا بهذه الحرارة ؟

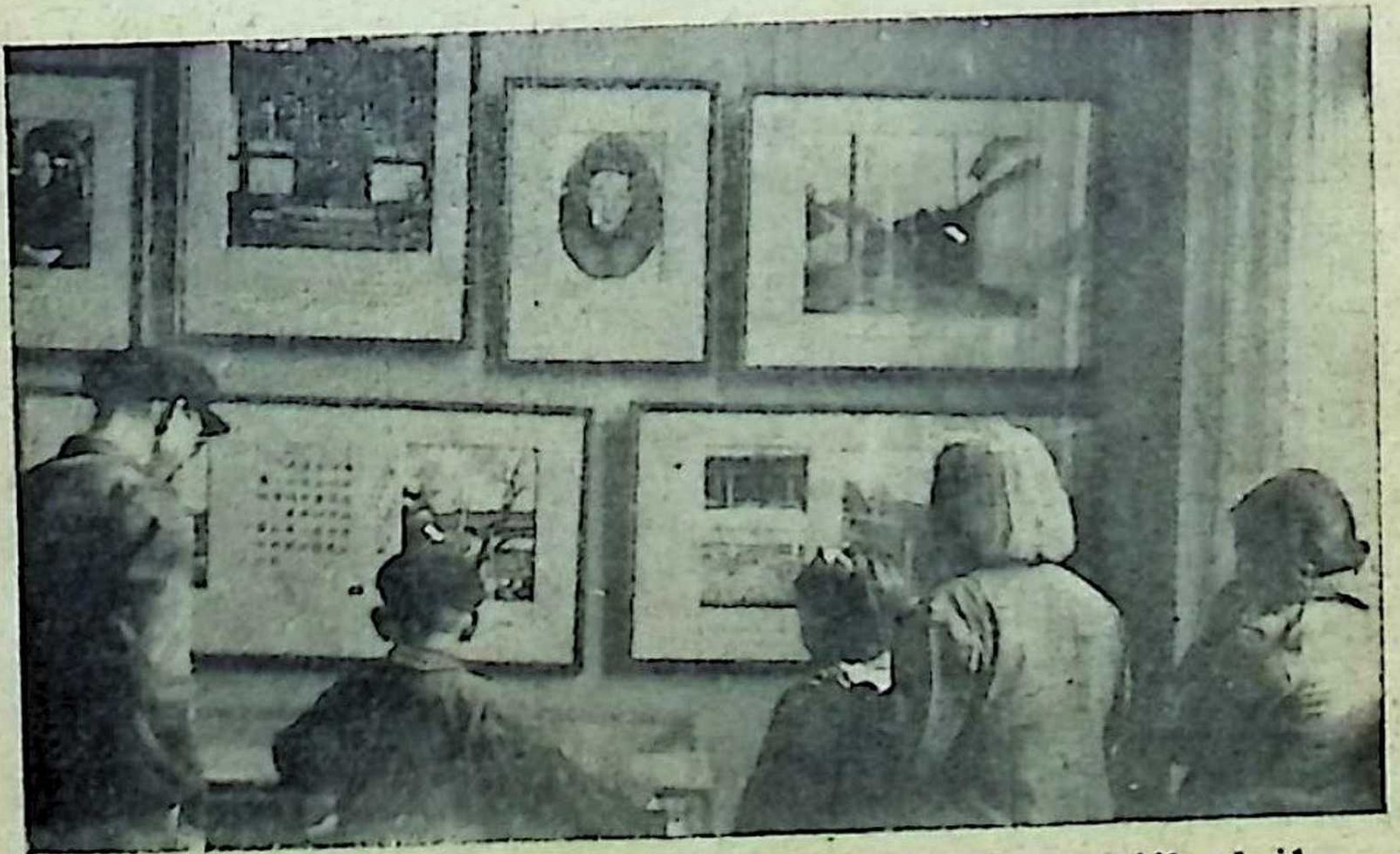
فرحة «عصبية» عجيبة لا يمكن الا ان تكون منبعثة من القلب
مباشرة .. فرحة كانت نشعرنا بالخجل من انفسنا ، ومن ..

برودنا ! (وانا أترك للعالم النفساني الدكتور عبد العزيز القوصي
أن يحلل ، ويعال ، هذه الخلجات !)

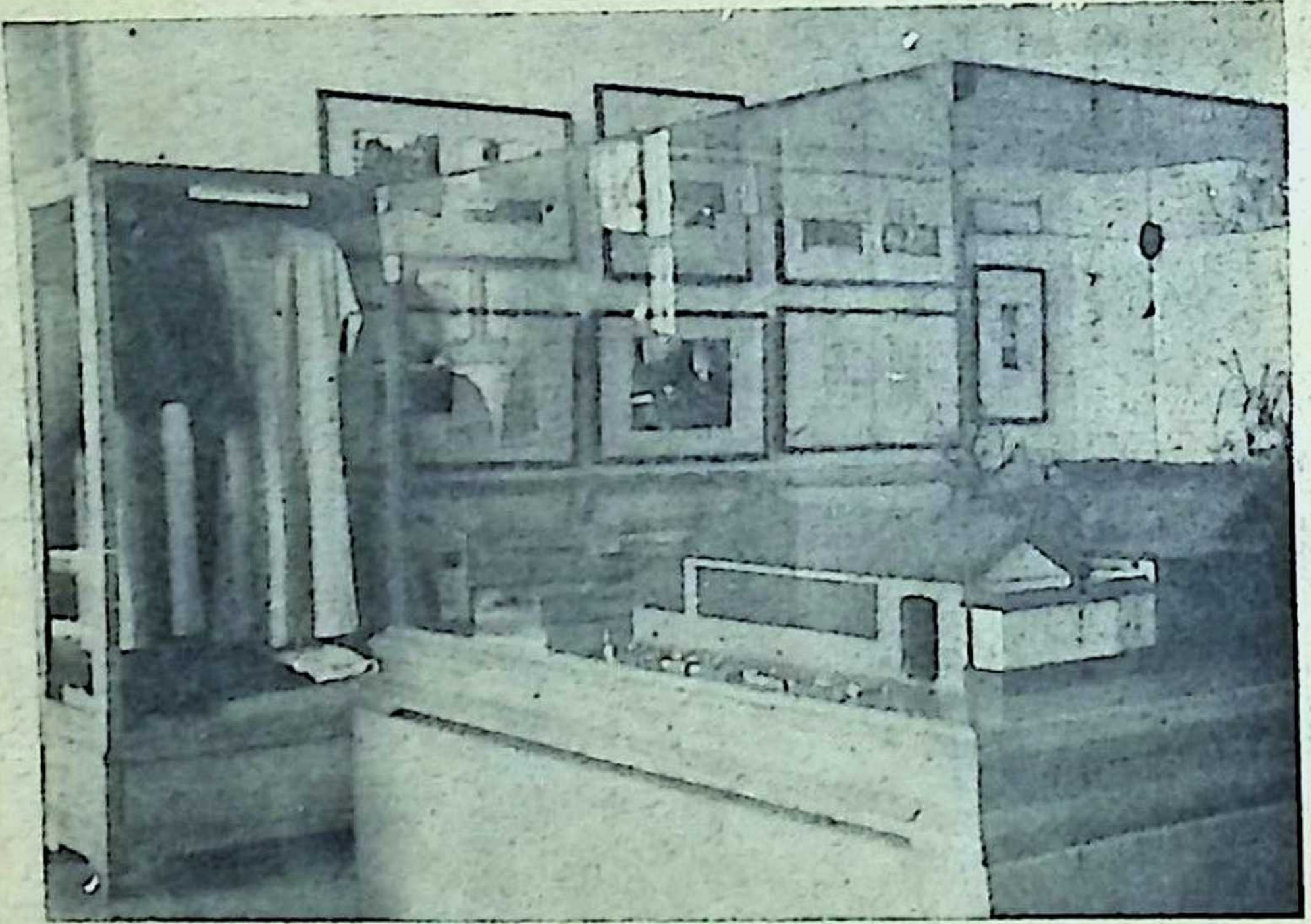
♦ وكما أعجبني تقدير الصينيين للفن وأهله ، أعجبني
تقديرهم للادب والادباء ، وللقراءة والاطلاع . وحسبك ان
تزور معي - عند وصولنا الى (بكين) باذن الله - دور النشر
المتعددة ، (التي تنشر بعض المجلات مترجمة الى أربع عشرة
لغة !) ، ودار صحيفة الشعب الكبرى ، وجمعيات الادباء
وأنديتهم ، ومعهد اللغات الشرقية بجامعة بكين ، (حيث
نلتقي بثلاثة اساتذة واربعين تلميذة وتلميذ يتكلمون العربية
بطلاقة !) ، ودار الكتب العامة ، التي يضل الزائر وهو يتنقل
بين طوايقها المتعددة ويتفقد مئات الآلاف من الكتب ، من
جميع اللغات ، التي أنشئت لها رفوف خاصة على أحدث
طراز يكفل للكنوز الثمينة التي تحملها ماتحتاج اليه من تهوية
خاصة ..

أقول ، حسبك ان تزور معي هذه المعالم الادبية ، وغيرها،
كي تغبط معي نصيب الادب من رعاية القوم والتفاتهم ..
اما نصيب الادباء فهو احق بالغبطة ، وأبلغ مثل على ذلك ما
فعلوه تخليدا لذكرى أديبهم الاكبر ((او شون)) ، (١٨٨١ -
١٩٣٦) ، الذي أقاموا له في (بكين) و (شنغهاي) دارين
تذكارييتين ، تتألف كل منهما من عشرات القاعات والاروقة
التي تضم - على جدرانها ، وفي فترينات زجاجية مقامة على
مناضد في وسطها - اكبر عدد من التذكارات يستطيع شعب
أن يتسقطه ويجمعه كي يخلد به ذكرى انسان ! .. اذكر من
هذه التذكارات ، على سبيل المثال : صورته في جميع مراحل
حياته .. وصور ابيه وامه وافراده أسرته .. وزوجته وابنه
.. وصور المنازل التي عاش فيها منذ ولد حتى مات ، في

مختلف المدن والقرى الصينية واليابانية . . ونماذج من خطه في شتى مراحل حياته ، وخط اساتذته وناظر مدرسته ، وصورهم . . وصفحات من الكتب التي درسها في طفولته . . وصور حجات الدراسة في مدرسته الابتدائية والثانوية . . وصور مدرسيه وزملائه في مدارس اليابان . . والادباء العالميين الذين شغف بهم ، ونماذج من كتبهم . . واوراق محنطة من النباتات التي كان يحبها . . ونماذج من التحف والتماثيل التي كان يعجب بها ويقتنيها في منزله . . ونماذج من كتبه ، ورسوم أبطال قصصه . . وعينات من ملابسه ، (من فانلاته ، وقمصانه ، وصدار له) . . وصور السريير الذي كان ينام عليه ، والمقاعد التي كان يجلس عليها . . وادوات الرسم التي كان يرسم بها غلافات كتبه . . ونسخ من مؤلفاته ، وترجماتها الى اللغات الاخرى . . وذاكرات اشتغاله بالتدريس في جامعة (بكين) ومدرسة المعلمين . .



افراد الشعب « يحجون » الى القاعة التذكارية لتخليد ذكرى الاديب الصينى « لو شون » في (بكين) ، وقد وقفوا يتأملون تذكاراته



لم يهمل الصينيون وسيلة لتخليد ذكرى أديبهم المحبوب «لو شون» ، وترى في «الفتريئة» العليا ، الملابس التي كان يرتديها «لو شون» في حياته . وفي «الفتريئة» السفلى نموذج مجسم للبيت الذي كان يقطنه !

وصور عميد الجامعة وعميد المدرسة . . ونموذج مجسم لمنزله . . وتمثال له ، تعلوه عبارة تقدير له قالها الرئيس «ماوتسي تونج» . . وصور زيتية مختلفة له . . ونماذج من خطاباته ، واختامه . . وصور له مع مدام «سن يات سن» ، ومع برنارد شو . . وملابس مرضه عام ١٩٣٦ ، ثم وفاته ، وتشيع جنازته ، وحزن الشعب عليه . . و «نوتة» الألحان التي وضعت في ذكراه . . والمقالات التي كتبت عنه ، وصور الخطباء الذين أبنوه ، والاحتفال بذكراه العشرين عام ١٩٥٦ . . وعشرات الكتب التي وضعت عنه ، بمختلف اللغات . . وصورة قبره في شنغهاي حيث مات . . والحدائق ، والمسارح ،



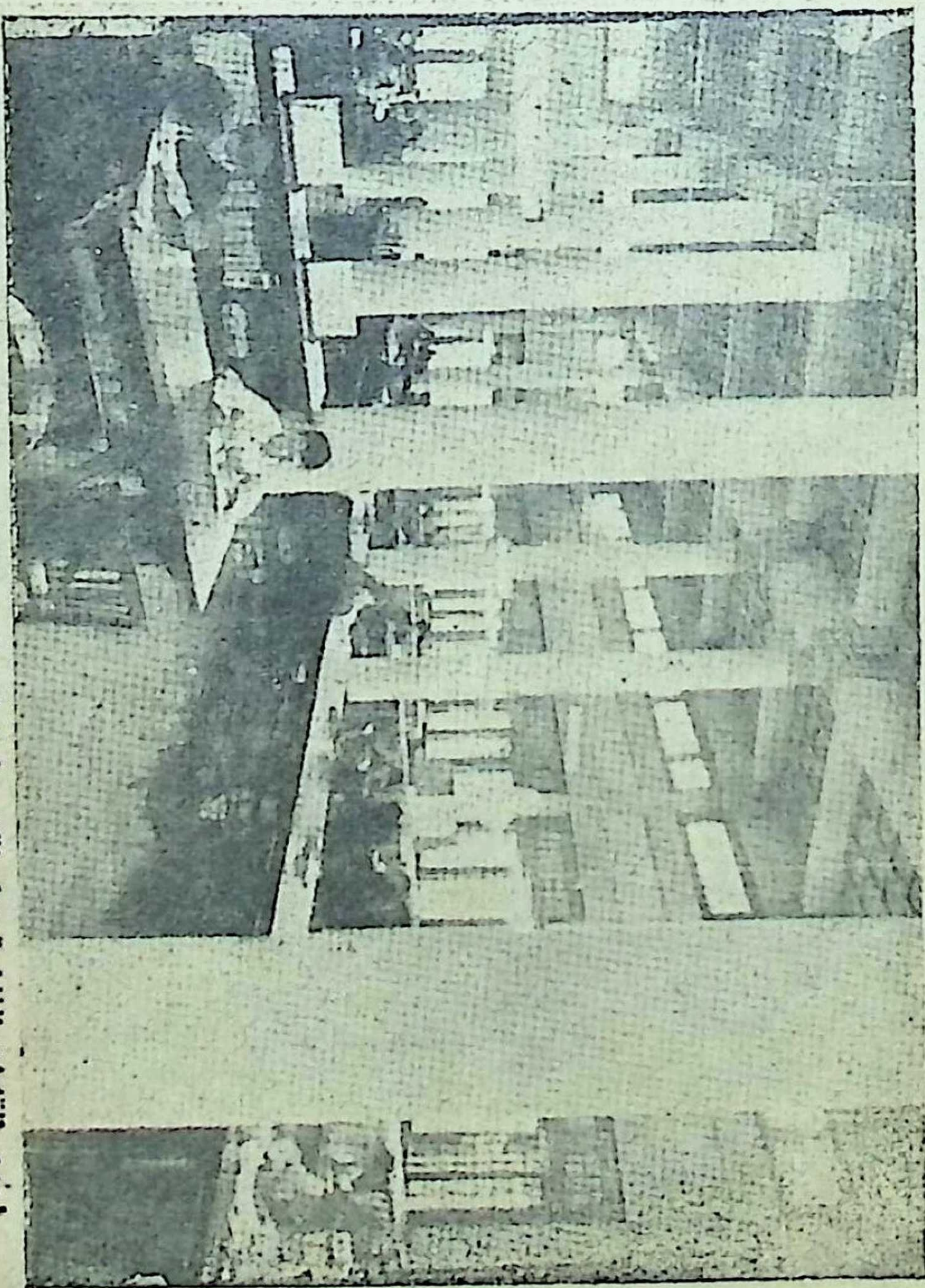
جانب من جماهير الشعب التي اجتمعت لاستقبال الوفد الثقافي
المصرى عند زيارته لقبرة « لو شون » وتمثاله في مدينة شنغهاى .

والكليات ، والمدارس التي سميت باسمه في مختلف مدن
الصين . . ومناظر من الافلام التي اقتبست من قصصه . . الخ
.. وعلى بعد خطوات من هذه الدار التذكارية التي
اقيمت له في بكين - والتي اقيمت اخرى اكبر منها في
شنغهاى - يقوم البيت المتواضع الذي عاش فيه « لو شون »
اثناء عمله في العاصمة ، ويتألف من جناحين من طابق واحد ،
تفصل بينهما حديقة صغيرة . ويضم البيت غرفة نوميه ،
وغرفة مكتبه ، وعدة غرف لكتبه ، وغرفة امه . . وتقوم
على رعاية البيت خادم مسنة كانت تخدم المؤلف في حياته
فهل رأيت مثل هذا التخليد لاديب ، في دولة اخرى ؟

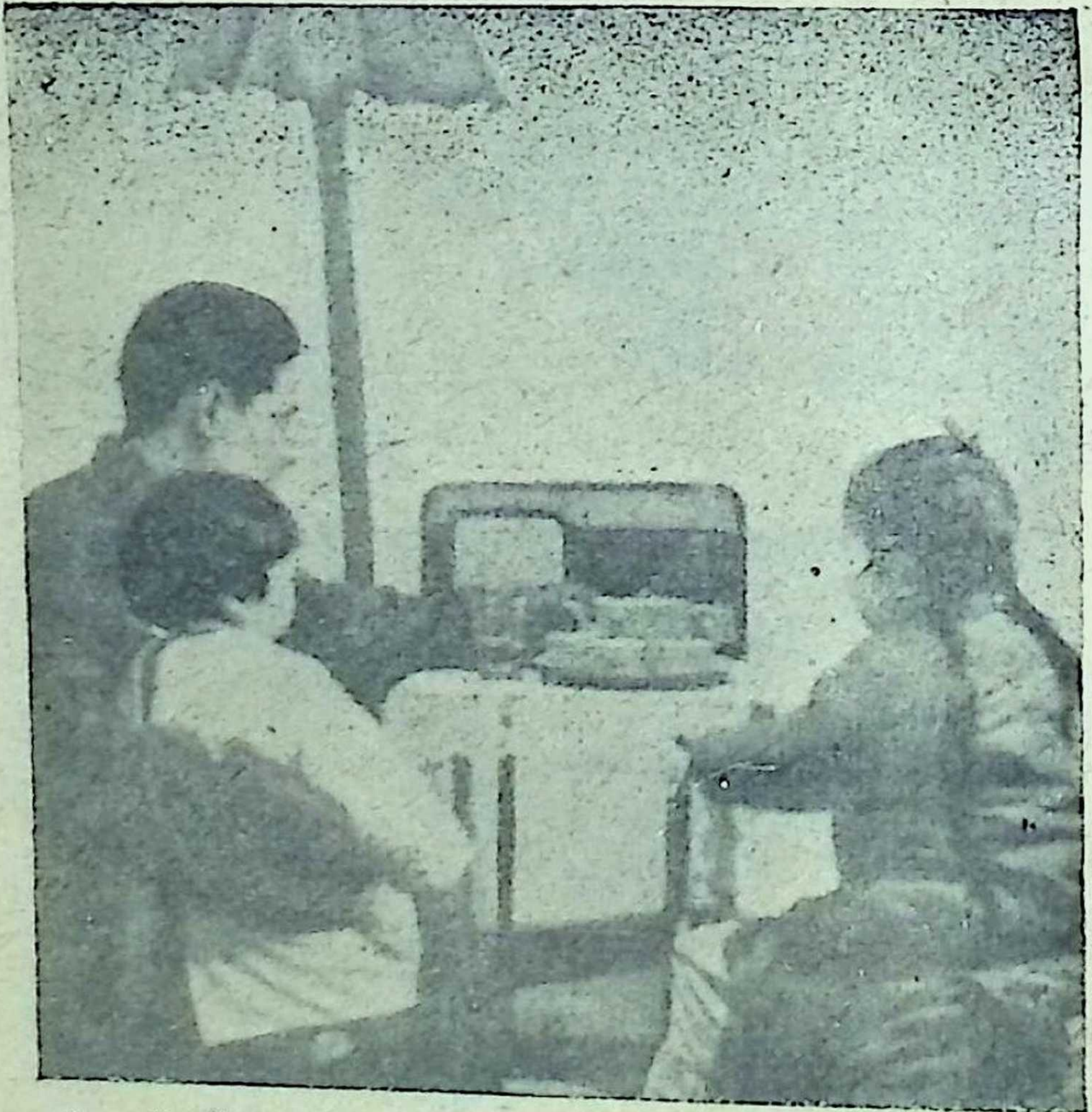


امام الدار التي كان يقطنها « لوشون » ، وقف الزميل محمود
البدوي والمحرد بين نفر من الزائرين الصينيين

• واعجبته في الصين الروح الجامعية الصحيحة التي
تسود الجو الجامعي .. فان كل فرد في الجامعة - من الاستاذ
الى الطالب الى العميد .. الخ - يساهم بساعات محددة من
وقته كل اسبوع ، في رصف طرقات المدينة الجامعية أو
تنسيق حدائقها أو تجميل مبانيها ، أو أى عمل يدوى آخر
يعود على الجامعة بالنفع ويزيد من رابطة التعاون بين الاسرة
الجامعية كلها ! .. ومن افيد النظم المتبعة هناك ان يبيت
الاساتذة جميعا في مساكن مخصصة لهم داخل المدينة الجامعية ،
وكذلك يبيت اكثر الطلبة في مساكنهم الجماعية بنفس المدينة
- التي تقع في الضواحي البعيدة عن المناطق المزدحمة من
البلدة - وهكذا يعيش الطلبة والاساتذة ويتلقون العلم في جو
واحد منعزل عن كل ازعاج ، وفي رابطة وتقارب جميلين يساعدان



أحدى القاعات الفاخرة بدار الكتب في (بكين) ، حيث ترى عددا من عشاق المطالعة منجيين على
كتبتهم المفضلة



أسرة تستمع الى برامج الراديو في بيتها ، ورغم بساطة الثياب
فان الذوق السليم يشيع في كل جزئيات الصورة

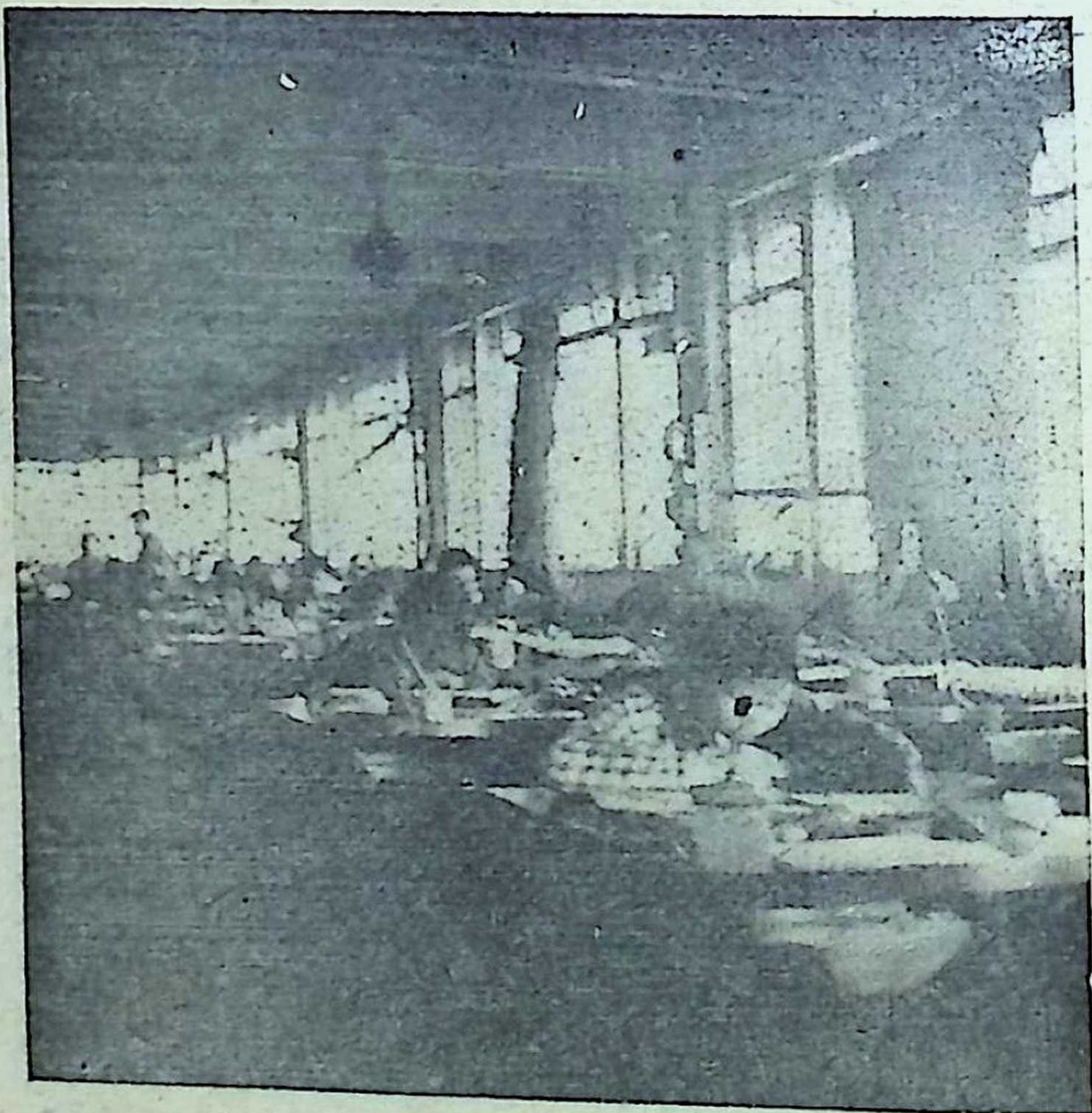
على التفرغ للبحث والتحصيل ويسران على الطلبة الاسترشاد
بآراء مدرسيهم

♦ واءجبتني في الصين نهضتها الصناعية والانتاجية
الضخمة ، الجبارة ! .. ان الصين تنتج اليوم في كل باب من
ابواب الانتاج ، كل ما يخطر على البال من منتجات ، وصناعات

.. وقد طفت بارجاء المعرض الدائم للانتاج الصينى ، الذى شيدوا له قصرا فاخرا ضخما فى (كانتون) يعتبر من اجمل قصور المعارض العالمية، فرأيت فيه نماذج لمنتجات ومصنوعات لا حصر لها ، ولم اكن اتصور انها تصنع محليا فى الصين ! .. فالصين تصنع اليوم الطائرات النفاثة ، كما تصنع عدسات التصوير .. تصنع القاطرات وسيارات النقل ، الى جانب عدادات الكهرباء .. تصنع الثلاجات الكهربائية ، وأجهزة الأشعة والادوات الطبية .. آلات السينما ، وأجهزة



عاملة فى مصنع للنسيج تودى عملها ايام الآلات ، وقد شاعت النظافة التامة فى ثيابها وغطاء رأسها .



عدد من الفتيات العاملات في أحد مصانع العدادات الكهربائية
بمدينة شنغهاي ، منكبات على عملهن في سكون ودأب .

المراسد الفلكية .. ماكينات الحياكة ، والساعات واقللام
الحبر .. الدراجات ، وآلات النسيج والموازين .. أجهزة
سنترالات التلفون ، وادوات الموسيقى ، والبيانو .. آلات
الطباعة ، وادوات المائدة و «الصيني» .. الجلود ومنتجاتها،
والمأكولات على اختلاف اصنافها .. الى الف سلعة وسلعة
اخرى لا سبيل الى حصرها !
وفي صدر احدى القاعات الكبرى للمعرض خريطة هائلة

تحتل جدارا كاملا وتبلغ مساحتها عشرات الامتار ، توضّح
 سيل منتجات الصين وكيفية توزيعها في انحاء العالم . انها
 خريطة لا تملك الا ان تحس وانت تتأملها انك امام وثبة جبارة
 .. لقارة بأكملها ! .. وفي الطابق الارضى من المعرض جناح
 كامل لنوع آخر من منتجات الصين . انها منتجاتها الاصيل التي
 اشتهرت بها

منذ آلاف

السنين ..

منتجاتها في

فنون الخزف

المطعم ، والعاج ،

واليشب ،

والابنوس ،

واللوحات

البارزة او

المحفورة

على الخشب

او « اللاكار »

الأسود ،

والمطعمة

بالصدف

ومختلف

الاحجار

الصفيرة ..

واواني الزهر

الرأبسة

المصنوعة من

ال « كلوازنيه »



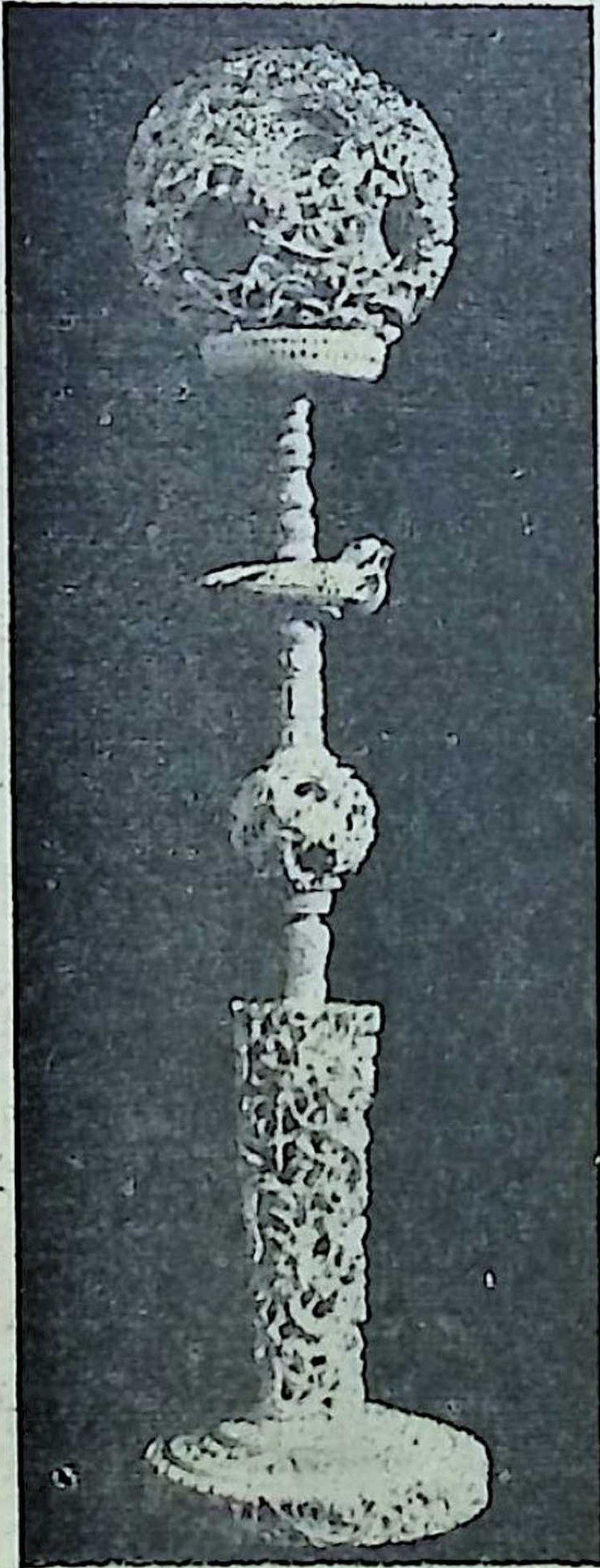
آنية جميلة من الخزف الصيني الثمين المطعم
 بخيوط النحاس ، وبطبقات من النقوش الدقيقة
 الملونة .



آنية أخرى من التحف الصينية التي يطلق
عليها « كلوازنيه » ، وثبتت ألوانها بعد نقشها
بواسطة افران خاصة .

الفاخر ، وهي
تحف غالية
الثلثمن تزين
قصور ملوك
العالم واثريائه
منذ مئات
السنين ..
ثم انواع
« البارافان »
او الستار
الخشبي
الفاصل بين
الحجرات ،
المزين بمناظر
محفورة وبارزة
ومطعمة
يعجز القلم
عن وصف
جمالها، ودقتها،
ومدى ما

تطلبه من صبر وجهد ! - (وسوف احدثك عن اماكن
صناعة هذه التحف عند زيارتنا للعاصمة (بكين) ، وهي اماكن
تقليدية قديمة ضيقة ، اشبه بحي « خان الخليلى » فى القاهرة !)
والى جانب الانواع السابق ذكرها من التحف ، يضم
المرضى جناحا خصص لتحف اخرى لا تقل عنها جمالا ولا
دقة ، هى اشغال الابرّة والتطريز على الحرير والتيل والصوف ،
ويربو عدد الانواع او الفنون التى تدخل فى هذا الباب على

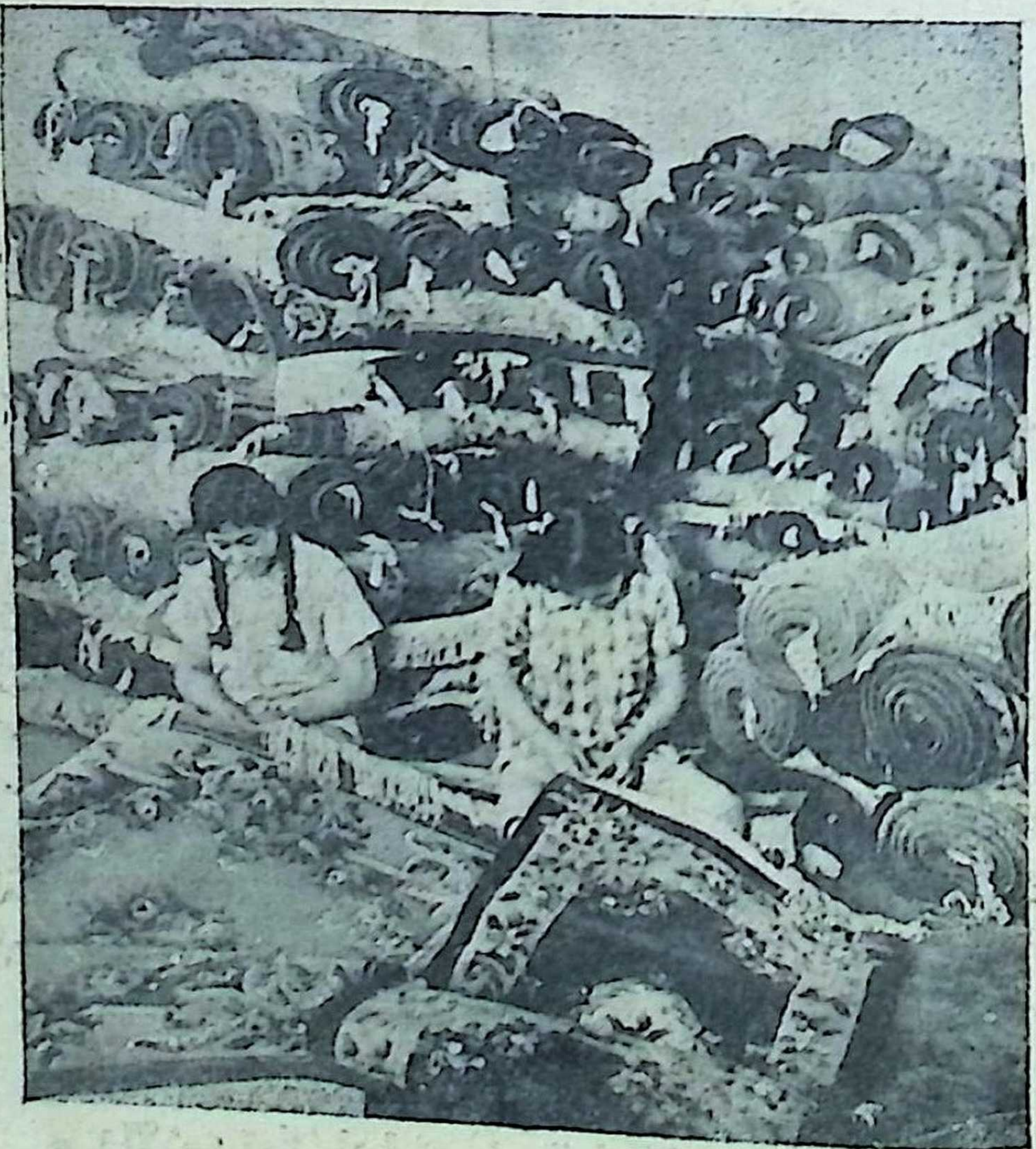


في قصور أغنى أثرياء العالم ،
تجد أمثال هذه الآنية الرائعة من
نماذج الفن الصيني الرفيع .

الى اليسار : تحفة من العاج
كالدانتلا ، وهى نموذج لفن تفرغ العاج الذى نبغ فيه الصينيون .

العشرين أو الثلاثين نوعا مختلفة ، ينافس بعضها بعضا في
الروعة والابداع !

• • وجناح ثالث لفن آخر من فنون الصين العريقة ، هو « فن » صناعة السجاد • والسجاد الصينى من أغلى وأثمن انواع السجاد فى العالم ، وله طابع خاص يختلف تماما عن طابع السجاد العجمى مثلا، اذ يتميز فى اكثر الاحيان بالمساحات



عاملتان فى احد مصانع السجاد منهنمكتان فى عملهما ، وترى احدهما وقد جمعت شعرها فى ضفيرتين ، كمادة نسبة كبيرة من فتيات الصين

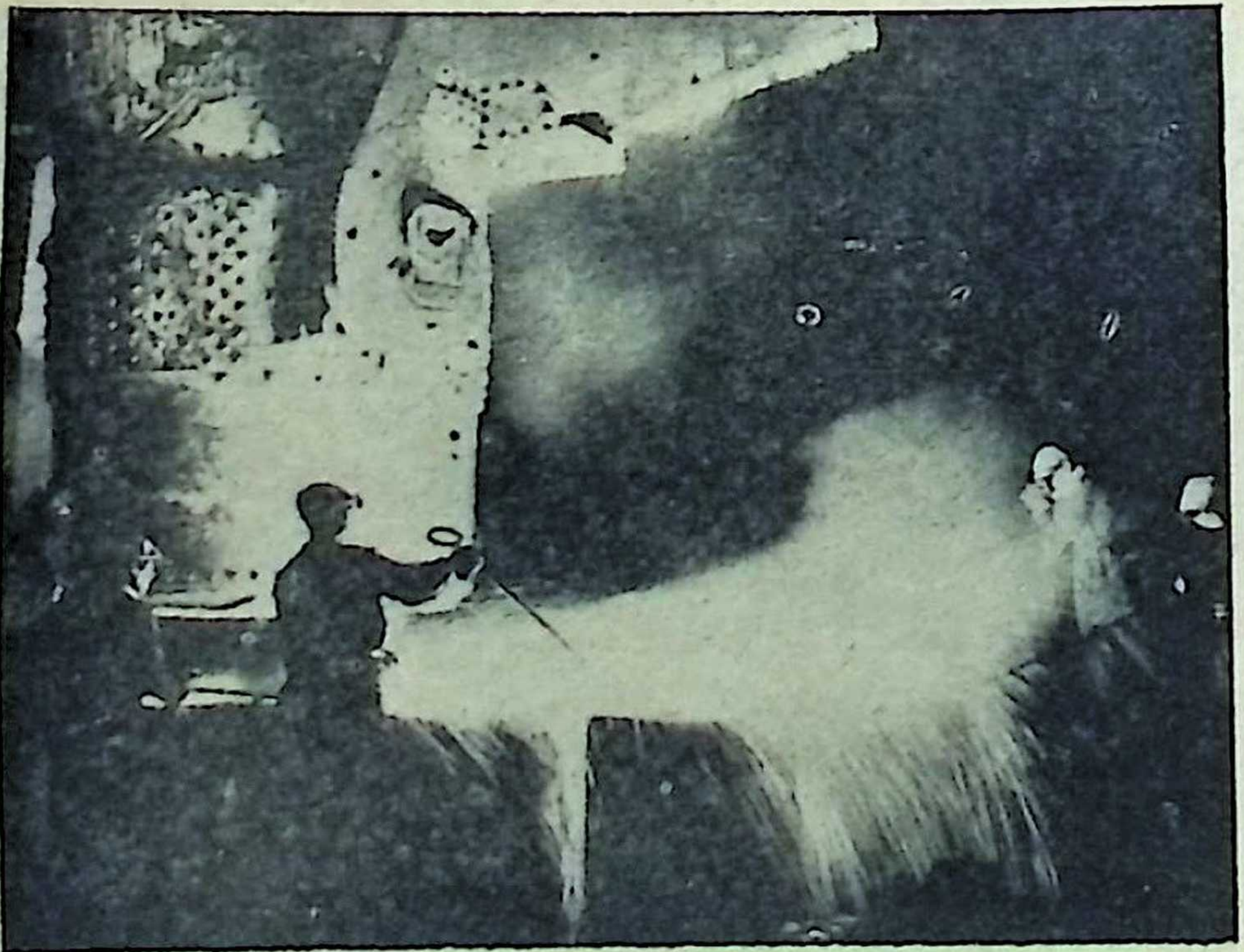
الكبيرة « السادة » التي تزينها في أحد أركانها وردة كبيرة زاهية الالوان ، أو نقش كبير رائع الجمال ، على العكس من السجاد الفارسي المزدهج بالنقوش الرفيعة الدقيقة المتداخلة . . فاذا انتهت جولتنا في هذا المعرض الضخم ، فتعال نصعد الى الطابق المخصص منه لاستقبال التجار القادمين من شتى بقاع العالم للاتفاق على تصدير ما يبغون من منتجات الصين المختلفة . . والطابق المذكور يتألف من ردهة طويلة لا يبلغ البصر مداها ، امتلأت بالمناضد التي يجلس اليها التجار ليتصفحوا شتى النشريات المصورة للمنتجات والصناعات المتنوعة ، ويبحثوا - بين دخان الشاي والسجاير - اضعف صفقات التصدير الى بلادهم ! . . وعلى جانبي هذه الردهة الطويلة عشرات من الحجرات الصغيرة التي خصصت كل منها لفرع من فروع الانتاج أو نوع من انواع السلع ، وقد جلس فيها الاخصائيون في السلعة المذكورة ، مزودين بكافة البيانات والنشريات الخاصة التي يتطلبها التجار

وهكذا يستطيع التاجر الاجنبي الذي ((يخطف رجله)) من هونج كونج الى كانتون ، ان يلم بكافة منتجات الصين ، من كل نوع ، ويتعاقد على ما يشاء منها ، خلال زيارة واحدة لمرض كانتون الدائم الذي حدثتك عنه ، دون ان يضطر لتحمل مشقة ونفقات السفر الطويل الى (بكين) أو (شنغهاي) أو سواهما من مدن الصين البعيدة . (ولينا نقتبس في بلادنا هذا المثل من امثلة «تيسير الامور» امام كل زائر اجنبي أو تاجر يفكر في التعامل معنا ، في أي باب من ابواب التعامل !)

• والآن ، تعال اعطيك بضعة امثلة ، مزودة بالاحصاءات ، من انتاج الصين الحالي في مجال التصنيع على وجه الخصوص :

انتجت الصين خلال عام ١٩٥٧ مائتى قاطرة سكة حديد (بخلاف عدد العربات الذى يفوق هذا الرقم بمراحل) .
 وكان انتاجها من القاطرات فى عام ١٩٥٢ عشرين قاطرة فقط
وزاد انتاجها من سيارات النقل فى العام المنصرم على ثلاثين
 الف سيارة (لورى) ، مقابل اربعة آلاف سيارة فى عام ١٩٥٢
 (وهم يقدرّون ان يصل هذا الرقم فى خلال خمسة اعوام الى
 تسعين الفا !)

وبلغ انتاجها السنوى من المحاريث ٦٨٩ الف محسرات
 مقابل خمسة آلاف فى عام ١٩٥٢
وانتاجها من الفحم ١١٢ر٩٨٥٠٠٠ طن ، مقابل
 ٦٣ر٥٢٨٠٠٠ طن فى بداية مشروع الخمس سنوات
ومن البترول ١٢ر٠٠٠ طن ، مقابل ٤٣٦ر٠٠٠ طن



امام افران صهر الحديد ، فى مصانع الحديد والصلب بالصين

ومن القوى الكهربائية ر. ١٥٩٠٠ ر. ١٥٩٠٠ « كيلو وات » ،
مقابل ر. ٧٢٦٠ ر. ٧٢٦٠ « كيلو وات »
ومن الحديد ر. ٦٧٤ ر. ٦٧٤ طن ، مقابل ر. ١٩٠٠ ر. ١٩٠٠ طن
ومن الصلب ر. ١٢٠ ر. ١٢٠ طن ، مقابل ر. ٣٥٠ ر. ٣٥٠ طن
ومن المنسوجات القطنية ما قيمته ر. ١٠٨٣ ر. ١٠٨٣
« يوان » - بالعملة الصينية - (وتستطيع ان تقسم هذا
الرقم على سبعة لتعرف الرقم بالجنيحات المصرية) ، وذلك
مقابل ر. ٣٨٢٨ ر. ٣٨٢٨ يوان في عام ١٩٥٢
ومن المنتجات اليدوية (التحف والسجاد وما شابه ذلك)
ما قيمته ر. ١١٧٧ ر. ١١٧٧ يوان ، مقابل ر. ٣١٠ ر. ٣١٠
يوان في عام ١٩٥٢ . (وقد زاد عدد عمال الانتاج اليدوي
خلال الخمس سنوات من ر. ٢١٨ الى ر. ٢١٠ عامل)
وأكتفى من الاحصاءات في هذه المناسبة بهذا القدر

♦ وقد تسألني بعد ان سردت لك كل هذه النواحي التي
اعجبتني في الصين الشعبية : وما الذي لم يعجبك فيها اذن ،
بالاضافة الى بضعة الأمور التي أشرت اليها في سياق هذا
الحديث ؟

والجواب ، بمنتهى الصراحة والضمير الخالص : لم يعجبني
فيها ان حياة الفرد فيها ما تزال حتى الآن شاقة قاسية ، لأكثر
من سبب :

لأن مستوى الاجور منخفض الى حد كبير .. الى حد أقل
منه في دولة فقيرة مثل مصر : فأجر عامل الطباعة مثلاً في
جريدة الشعب ، (وهي اكبر صحف الصين) ، هو ٣٠ «يوان» ،
أي حوالي اربعة جنيحات وربع جنيه في الشهر .. ومرتب
المحرر فيها يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ يوان ، ومرتب مدير المطبعة

١٢. يوان ، ومرتب رئيس التحرير ٣٠٠ يوان . ومرتب الموظف المتوسط فى مصانع الحديد والصلب ٧٥ يوان فى الشهر ، ومرتب المشرف الفنى فيها ٩٥ يوان . . . وحين تسأل عن مستوى المعيشة الطيبة للشخص العادى يقولون لك انه يتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ يوان فى الشهر

وقد يكون عذر القوم ان الدولة تبنى نفسها ، بعد ان تسلمت زمام الأمور فى أعقاب حكم فاسد اتلف كل مقدسات الشعوب ، وانها لى تحقق آمال الشعب فى الرخاء لا بد ان تفرض عليه سنوات من المعيشة الشاقة والحرمان من شتى صروب الكماليات . . . والحرمان من الكثير من مظاهر البهجة . . بل انهم يقولون لك ان الحالة الآن أحسن بكثير مما كانت عليه فى العام الماضى ، والعام الاسبق ، وهكذا . . وان كل عام جديد يأتى يحمل معه شيئاً من التحسين فى مستوى الاجور ومستوى المعيشة . . ولعل هذا ما يجعل الفرد هناك يتقبل كل ما يفرض عليه من تقشف ومن قيود ، قبولاً حسناً ، بصدور ربح . . وابتسامة دائمة جذيرة بالاعجاب

♦ ولم يعجبني فى الصين الشعبية اختفاء كل انواع المقاهى والمطاعم والمشارب ومحال الحلوى . . الخ . . وانا لست من انصار المقاهى او ممن يهضمون فكرة الجلوس فيها ساعات كاملة فى خمول ، لكنك حين تبحث فى عاصمة دولة او فى مدينة كبرى من مدنها عن مكان تستريح فيه أثناء سيرك لتتناول قدحاً من القهوة او من عصير البرتقال او شيئاً من « الساندويتش » او الحلوى . . فلا تجد مثل هذا المكان ، (اللهم الا فى الفنادق الكبرى . . ولست واثقاً من انهم يسمحون للمار فى الطريق ان يدخل فندقاً ليطلب شيئاً من هذا القبيل) . . اقول انك حين تصادف مثل هذا العناء ، فى أمر كهذا

فسوف تقرنى ولا شك حين أقول ان الحياة في تلك الدولة الكبرى الناهضة ما تزال حتى الآن ، شاقة قاسية ، برغم كل الخطوات الجبارة التى حققتها الدولة للشعب الذى عاش طويلا ضحية للاستغلال البشع ، والابوة ، والمجاعات ، والفيضانات ، وفساد الحكم . . . والأفيون . . . وفى مقدمة هذه الخطوات التى حققتها الدولة للشعب الغاء الجوع ، والعري ، والحفساء ، والأمية ، والتسول . . . وكل ما اسلفت الاشارة اليه من نواح جديرة بالاعجاب

• ولم يعجبني في الصين الشعبية ، الزى الموحد للشعب ، الذى يجعل ستمائة مليون نسمة يتشابهون في المظهر ، فلا يبدو لكل منهم ذوق شخصى أو شخصية واضحة المعالم لأول وهلة . ورغم انى لست ممن يهتمون بالمظاهر ، فان توحيد الزى على هذه الصورة يفقد كل شخص الخصائص المميزة لعمله أو مهنته ، ويوقع الكثيرين في ارتباكات ، اليك احد امثلتها : عند حلولنا في احد فنادق مدينة (هانشو) اقبل خدم الفندق بعد حين يحملون حقائبنا ثم يضعونها في الردهة العليا ، كى «يفرز» كل منا حقائبه ويطلب نقلها الى غرفته . . فلما قيل لى أن الحقائب وصلت ، خرجت من غرفتى لأرشد الخادم الى ما يخصنى منها ، واذا وجدت فى الردهة رجلا واقفا بجوار الحقائب ، حسبته أحد الخدم فأشرت له الى حقائبي كى يحملها . . وعندئذ نادى الرجل شخصا آخر وكلفه بتنفيذ المهمة . . وأدركت من فورى اننى اخطأت فى ظنى ، لكن خجلتى من نفسى بلغ غايته حين تبينت انه ليس الا . . مدير الفندق !

وهكذا تجد الجميع هناك يرتدون نفس الزى ، المفلق عند الرقبة : الكبير والصغير . . الرئيس والمرؤوس . . الوزير

وسامى مكتبه . . فيما عدا فارق فى نوع القماش الذى يصنع منه ذلك الزى ، وفى الطبقات الاخرى من الثياب التى تستتر تحت هذا الزى . ولست انكر ان لهذا التوحيد فى السترة الخارجية بعض الفوائد من حيث اعفاء الفقير من نفقات القميص ورباط الرقبة ، (اذا استطاع اقتناءهما والاحتفاظ بهما على الدوام سليمين نظيفين) ، او اعفائه من مذلة الظهور بهما ممزقين ، اذا لم يستطع غير ذلك . . اقول ، لست انكر فائدة الزى الموحد من هذه الناحية ، لكنى أعتقد ان لهذا الزى - فى مقابل هذه الفائدة - اكثر من نتيجة عكسية ، تخلق البلبلة والارتباك !

وبهذه المناسبة ، يهمنى ان اوضح هنا حقيقة قد تكون التبتت عليك : فليس الزى الموحد فى الصين «اجباريا» بمعنى هذه الكلمة ، اى بقوة القانون - (بدليل اننى رأيت اشخاصا يرتدون الزى العادى ، وان كانت نسبة هؤلاء لا تزيد على واحد فى الألف ، او اقل !) - وانما اغلب ظنى انه اجبارى بقوة العرف ، وان الكبار ارتدوه ليشجعوا الصغار على ارتدائه، ويكونوا قدوة لهم . . والصغار ارتدوه تيسيرا على انفسهم فى النفقات . . وما انتشار هذا الزى فى نظرى سوى دليل على ما اشرت اليه منذ قليل ، من انخفاض مستوى المعيشة ومستوى الدخل بين افراد الشعب

♦ ولم يعجبني فى الصين الشعبية ندرة سيارات الاجرة فى الطرقات ، وعدم استطاعة الفرد استخدام السيارة منها اذا صادفها فى الطريق ، وانما يتعين عليه اذا اراد سـيـارة نقله الى مكان أن يطلبها بالتلفون من الجهة المختصة ، ويحدد المسافة التى ينوى أن يقطعها بها . . وأجر هذه السيارات

باهظ للغاية ، اذ يبلغ نحو خمسة وعشرين قرشا مصريا عن الكيلو الأول ! .. أما السيارات الخاصة فهي تكاد تكون منعدمة ، فيما عدا السيارات الحكومية والسيارات المملوكة للفنادق - المملوكة بدورها للدولة - وهي مخصصة في الغالب للوفود المختلفة التي تزور الصين .. وسبب ندرة السيارات الخاصة ارتفاع اسعار الوقود، الناتج عن تخصيصه للصناعات، ارتفاعا يجعل من العسير على أى شخص ان يستخدم سيارة خاصة ..

ويتفرع عن هذا ان اكثر اعتماد الشعب في مواصلاته



((البسكليت)) من اكثر وسائل المواصلات انتشارا في الصين ، تستعمله النساء والرجال ، الطلبة والعاملات ، الكبار والصغار . (وترى موظفات وعاملات احدى المؤسسات اثناء انصرافهن من عملهن)



في موقف عربات « الريكشو » التي تجرها دراجات ، جلس هذا الرجل بعربته ودراجته على رصيف أحد شوارع (بكين) الرئيسية .

— بالإضافة الى عربات الترام والاتوبيس بالطبع — على وسيلتين شائعتين : الدراجات ، وهي منتشرة هناك انتشارا كبيرا بين جميع الطبقات ، بحيث تزدحم بها الطرقات (حتى ليخصص لها جانب خاص مستقل من الشوارع الكبرى الرئيسية في العاصمة !) . . والوسيلة الثانية هي عربات « الريكشو » التي يجرها رجل يقود دراجة ، (وليس « دابة آدمية » تجري على قدميها كما هو الحال في مستعمرة هونج كونج !)

* * *

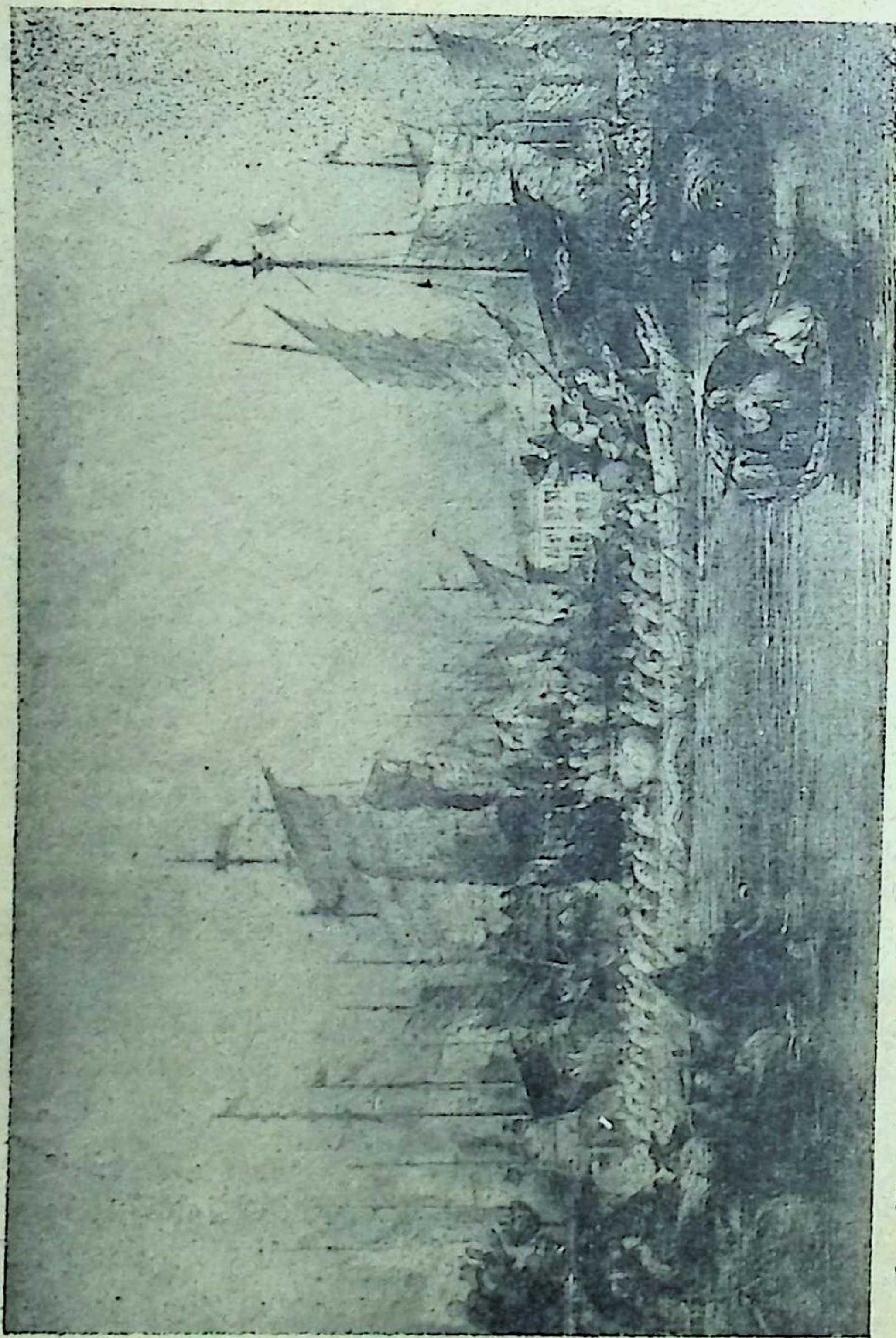
♦ بقى سؤال أحس أنك في شوق الى معرفة الجواب عليه :
الى اى حد تطبق مبادئ الشيوعية في الصين ؟ وهل صحيح
انها تختلف في التطبيق عن الشيوعية في الاتحاد السوفييتى ؟
.. واكتفى الآن بالإشارة الى حقيقة واحدة في معرض الإجابة
عن هذين السؤالين ، وهى : ان الشيوعية الصينية تسمح
للشخص بامتلاك عقار واحد فقط ، هو منزله الخاص الذى
يقطنه .

اما بقية ما يتصل بهذا الموضوع من تفاصيل ، فانى اؤثر
ارجاءها الى حين ، حتى أمهد للحديث عن نظام الحكم الحالى
في الصين ، والظروف والملابسات والدوافع التى أدت اليه ،
أمهد لذلك بسرد قصة نظم الحكم السابقة في تلك البلاد ، منذ
فجر الحضارة الصينية الى اليوم .. وهى عجالة تاريخية
شائقة لا بد منها كي تتابع ما سأحدثك عنه من معالم تلك
الحضارة حين نزور مدن الصين الكبرى .

فتعال نقرب صفحات التاريخ ، لنعود الى الوراء آلاف
السنين .. الى بداية قصة حضارة هذا الشعب العريق
.. (وسنقسم هذه القصة الى مراحل ، تبدأ المرحلة
الاولى منها من عام ٢٣٥٦ قبل الميلاد وتنتهى في عام ٣٨٤
بعد الميلاد .)

* * *

♦ اففى ذلك التاريخ الاول البعيد ، بينما كانت الحضارة
تتقدم وتتلور في مصر ، والهند ، والعراق ، كانت تتقدم وتتلور
ايضا في رقعة اخرى ضخمة من العالم ، هى الصين ، حيث
كان الفكر الفلسفى والصوفى يحلق في مستوى شاهق . على
ان حضارة الصين كانت ذات طابع خاص متميز عن الحضارات



رسم قديم محفور على الخشب يمثل مهرجان عيد « زورق التنين » ، الذي كان الصينيون القدامى يحتفلون به في اليوم الخامس من شهر « القمر الخامس » ؛

الثلاث الاخرى ، اذ كان شعبها منعزلا عن شعوب بقية البلاد، يتطور بمفرده دون ان تكون له صلة بما يجرى في البقاع الاخرى من العالم . فهناك ، في وادى « النهر الاصفر » (الذى يبلغ طوله ٢٦٠٠ ميل) ، وفي وادى نهر « يانجتسى » (الذى يبلغ طوله ٣٤٠٠ ميل) كان الشعب الذى انحدر من مصدر مجهول يتجمع ويتكاثر في عزلة عن بقية العالم ، بحكم العوائق الثلاثة التى تفصله عن الشعوب الاخرى ، وهى : صحراء (جوبى) من ناحية الشمال ، وسلاسل الجبال الشاهقة من ناحية الغرب ، والمحيط العريض المتلاطم من ناحية الشرق . ومن ثم عاش هذا الشعب فى القرى التى أقامها لنفسه، وكان يستخدم الأدوات الحجرية البدائية ، والحيوانات التى تعيش فى المنطقة ، وفى مقدمتها الخنزير البرى . . . وتعلم كيف يفزل ، ويصنع الخزف . . . وقد ظلت هذه الحضارة البدائية فترة طويلة غير متأثرة بقبائل البدو التى كانت تنحدر من الشمال فى مناطق اخرى متجهة نحو البحر ، فلم يشعر الشعب المستقر بوجود تلك القبائل من الرحل - التى تعرف باسم (الهون) - الا منذ عام ٨٥٠ قبل الميلاد ، حين دخلت هذه القبائل ارض الصين ، حاملة معها اول معرفة بمعدن الحديد ووجوه استخدامهم . وهكذا يمكن القول انه اذا كانت حضارة العصر الحجري الحديث قد أثرت فى الصين ، كما أثرت فى غيرها من البلاد ، فان هذا التأثير يقف عند حد القاء البذور ، ثم تنقطع الصلة بين الحضارتين عند هذه المرحلة ، ويواصل شعب الصين تطوير حضارته وفقا لظروفه وطبيعته ، وهو قابع فى عزلته التى تفرضها عليه الصحراء ، والجبال ، والبحر !

واستقر اولئك القوم على ضفاف النهرين الكبيرين ، اللذين كانا يمدانهم كل عام بتربة خصبة غنية بالطهى يحملانها اليهم من المرتفعات كى تغذى ارضهم . ولكن شاء سوء طالعهم ان يكون حكامهم فى اغلب الاحيان من أسوأ مستوى ، فتعاقبت

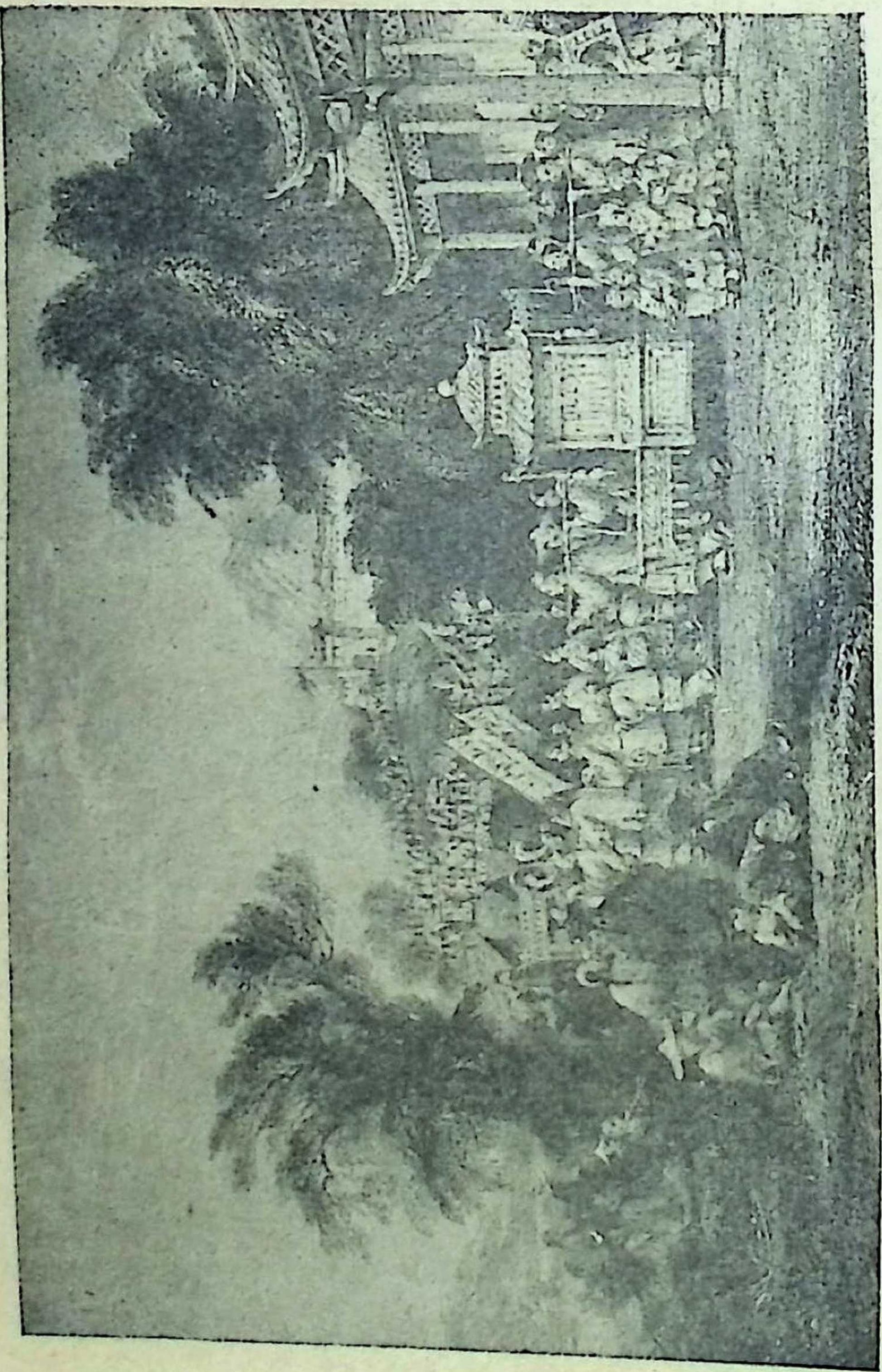


مراسم تقديم ضحية ((شوايج تسوى تسي)) ، أو عيد « قمر الحصاد » في الصين القديمة .

الحروب الأهلية في داخل البلاد ، وكانت اخلاق العلية منهم مثلاً سيئاً للدهماء (وان لم يزد انحطاط هذه الاخلاق عن الدرك المتعارف عليه يومئذ بين علية القوم في البلاد الاخرى !) ولكن ، رغم تلك الحروب ، وذلك الانحطاط الخلقى ، فقد ازدهرت التجارة ، وصارت تعقد الاسواق والمعارض التجارية في مراكز متعددة بكل منطقة ! . . ويمكن القول انه منذ اربعة آلاف سنة كانت هناك في الصين بذور ثقافة ذهنية اتخذت مظاهرها الاولى في معرفة الكتابة وعلم الفلك ! . . ثم استمر التطور . . حتى بلغت الثقافة الأدبية في الصين ، في الفترة بين القرنين السابع والخامس ((قبل)) الميلاد ، مستوى يفوق ما بلغت في أوروبا حتى بداية القرن السابع عشر ((بعد)) الميلاد ! . . ولم يكن هذا التفوق مقصوراً على الأدب وحده ، بل ان الحكم نفسه يسرى بالنسبة لكثير من الفنون التي ازدهرت في الصين منذ ثلاثة آلاف سنة ، في حين انها ظلت مجهولة في أوروبا الى ما قبل ثلاثمائة سنة ! . . والى جانب الادب والفن ، احرز الصينيون منذ تلك العصور تقدماً في نواح اخرى ، فزرعوا الكتان ونسجوا منه الثياب ، كما ربوا دودة القز وحصلوا منها على الحرير !

أساطير بدء الخليقة عند الصينيين

♦ والتاريخ القديم للصين محاط بضباب الأساطير ، التي تروى قصصاً شتى عن بدء الخليقة ، وكيف نشأت الأرض ، والكائنات الحية التي تعيش على ظهرها . والصينيون - شأنهم شأن المصريين - يستهلون تاريخ البشرية بخلق الرجل والمرأة ، بمعرفة الآلهة . . ثم تتسلسل عن هذين الأبوين الأولين للبشرية شجرة ضخمة من السلالات التي عاش افرادها الأولون اعماراً طويلة للغاية . واكثر الاحداث المنسوبة لهذه السلالات في عرف الصينيين تبدو خرافية ، لكنها تبدأ في اتخاذ مظهرها الجدى

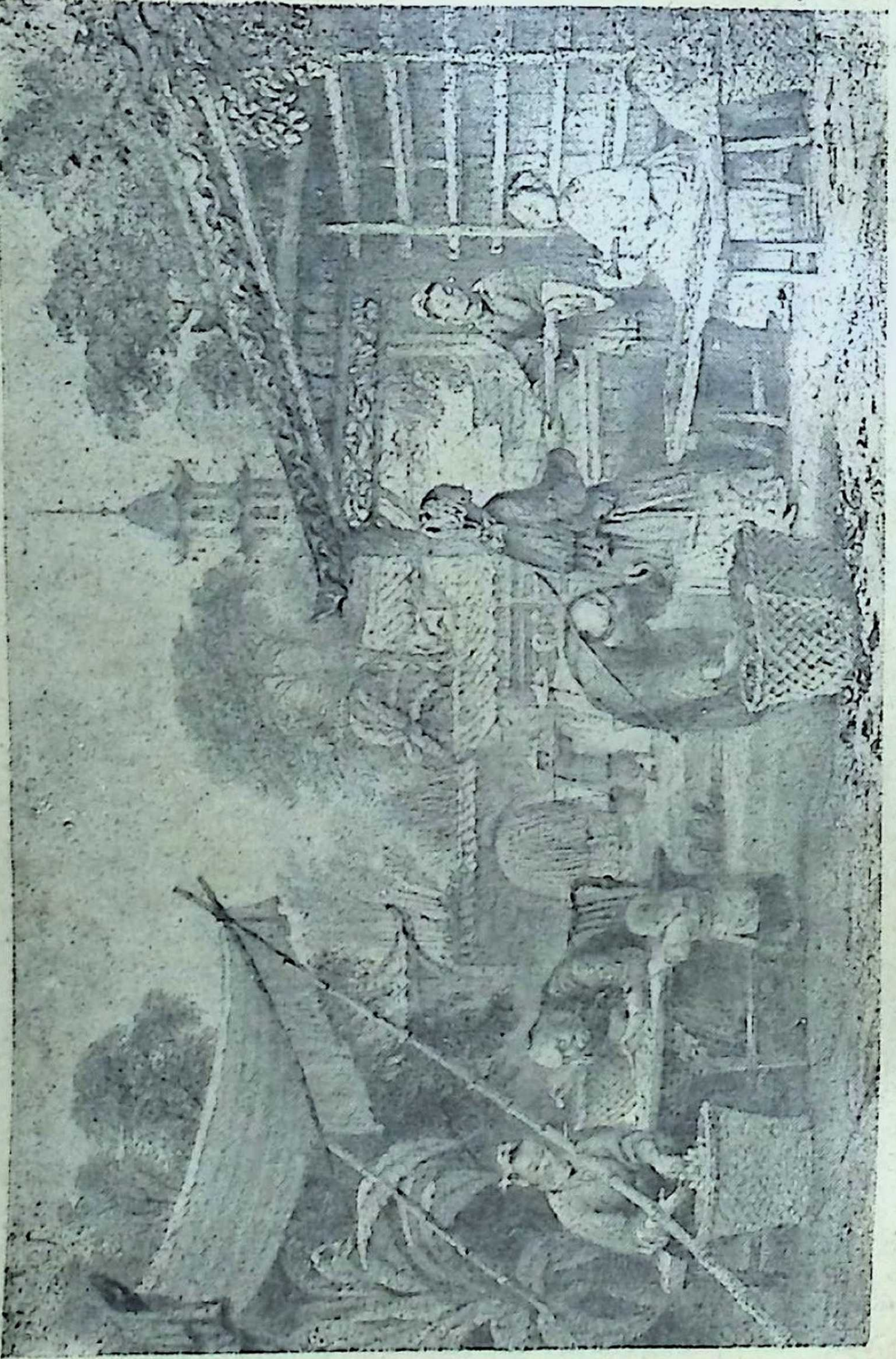


موكب حفلة عرس في منطقة (خليج الغمامة الزرقاء) ، كما كان الصينيون القدامى يحتفلون به

كلما اقترب بها العهد من فجر التاريخ .. حتى نقرأ اخيرا عن حاكم علم الشعب كيف يعيش ويحارب ، وكيف يقيم الاكواخ من اغصان الشجر ، ويولد النار من احتكاك عصاتين .. كما علمهم كيف يعتبرون الاله « تين » خالقهم وحافظهم .. ولم يلبث القوم - الذين كانوا يعيشون في صورة قبائل منفصلة - أن اخترعوا المحراث ، وصاروا يكرسون اياما معينة للعبادة وتقديم الذبائح للآلهة ..

منذ تلك الرحلة يزداد نصيب الحقائق من تاريخ الصين ، ويقل نصيب الخرافة .. ومنذ عهد اختراع المحراث تبدأ حضارة الصين في التقدم المتواصل ، بخطوات سريعة .. فتخرج في عهد الحاكم « ياو » ، (حوالى عام ٢٣٥٦) ، من غلالة الضباب التى تغلف المراحل السابقة من تاريخ تلك المنطقة .. فنقرأ انه - هو وخلفه ، الحاكم « شون » - كانا خير قدوة صالحة للشعب ، بحيث عمت الفضيلة ربوع البلاد .. ولم يكن للجريمة وجود ! .. وازداد الشعب تعدادا ، ورخاء .. واثبتت الاسواق والمعارض في جميع المدن .. ونزحت مياه الفيضان من الاراضى التى كانت تفرقها .. الخ **وقد طالما كان النهر الاصفر لعنة الصين وبركتها في وقت معا ، بفيضاناته المتكررة وتحوله عن مجراه ، الأمرين اللذين كانا مجلبة للكوارث والرخاء ، جنبا الى جنب .. فكلما انحسرت مياهه الفائضة ، عن وجه الأرض ، تركت وراءها ثروة من الطمى الذى هو من التربة بمثابة الدسم من الطعام ! ..** وقد حدث في فترة من الفترات أن عكف البطل المدعو « يو » على درء خطر الفيضان عن رقعة كبيرة من الارض ، الأمر الذى استغرق منه تسع سنوات من العمل المتواصل .. فكان أن كافأه مواطنوه المقدرون للجميل بتنصيبه ملكا عليهم عند وفاة سلفه الملك « شون » ..

ثم تعاقب على عرش الصين بعد ذلك عدد من الحكام الفاسدين

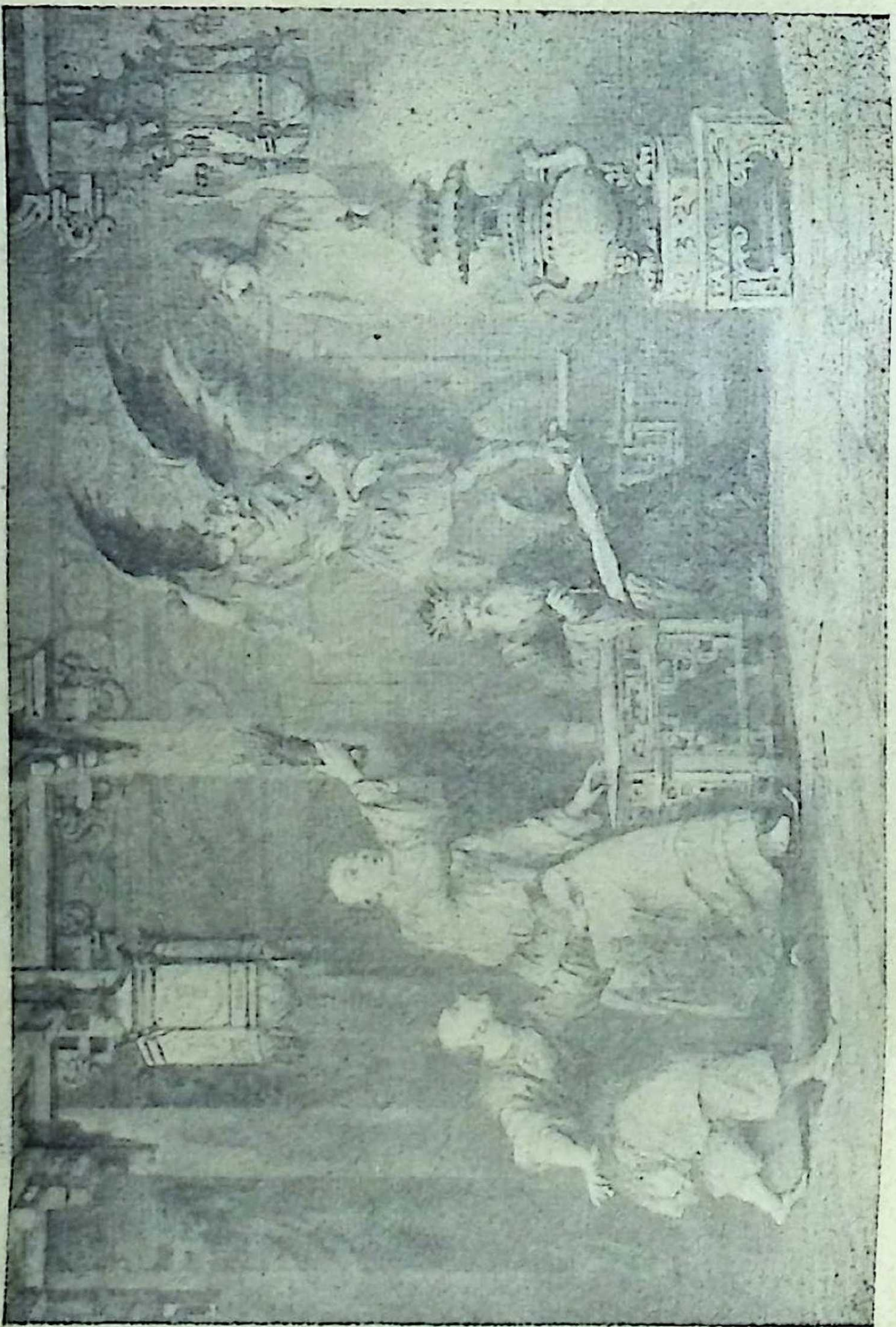


رسم قديم يمثل نساء الصين يطمن دود القز ، ويفرزن الفياج

.. حتى ثار الشعب في النهاية على آخرهم ، المدعو « كى »
- عام ١٨١٨ قبل الميلاد - فاستأصل كل أثر له ولأسرته ،
وبذلك انتهى عهد اسرة « يو » ، الملك المهندس الذى جلب
- فى الماضى - الخير والرخاء للصين .

♦ وجاء فى مكان الملك المخلوع حاكم يدعى «تانيج» ، (عام
١٧٦٦) ، وهو اول امبراطور للصين ينتمى الى اسرة «شانج» ،
فنجح بمعاونة مستشاريه الحكماء فى رد البلاد الى قدر من
الرخاء .. لكن من خلفوه عادوا فجلبوا على الشعب البؤس
والحرمان .. حتى ثار مرة اخرى فخلع الامبراطور ونصب
المدعو « وو وانج » بدلا منه ، وكان الحاكم الجديد - وهو
مؤسس اسرة « شو » - رجلا شجاعا ، موهوبا ، فاضلا ..
لكنه ارتكب غلطته الكبرى بتقسيمه الامبراطورية الى اثنتين
وسبعين ولاية اقطاعية ، كى يخلع المناصب على اقربائه
واصدقائه . وسرعان ما ظهر خطل هذه الفكرة واضحا للعيان
حين احتدمت الفيرة بين الامراء ، ونشبت الحرب الاهلية ..
وسرعان ما اضمحلت سلطة الامبراطور وتضاءل نفوذه !
فى تلك الآونة برز اعداء آخرون خارج حدود الامبراطورية ،
حين ظهر «التتار» المنغوليون لأول مرة - عام ٩٣٦ ق.م -
فاستغلوا فرصة الانقسام بين الامراء وشنوا على البلاد غاراتهم
الهوجاء ، التى زادت الحالة سوءا وضاعفت من بؤس الشعب !
وظلت الصين قرونا تمزقها الحروب الاهلية من الداخل ،
وغارات العدو من الخارج ! .. وفيما هى على تلك الحال من
التعاسة ، ولد اعظم من انجبت ارضها : فيلسوفها الحكيم
(كونفوشيوس) ، عام ٥٥١ ق.م .

كان «كونفوشيوس» فقيرا من عروض الدنيا ، لكنه من اصل
رفيع ، يمتد نسبه الى ملوك اسرة «شانج» ! .. واسم



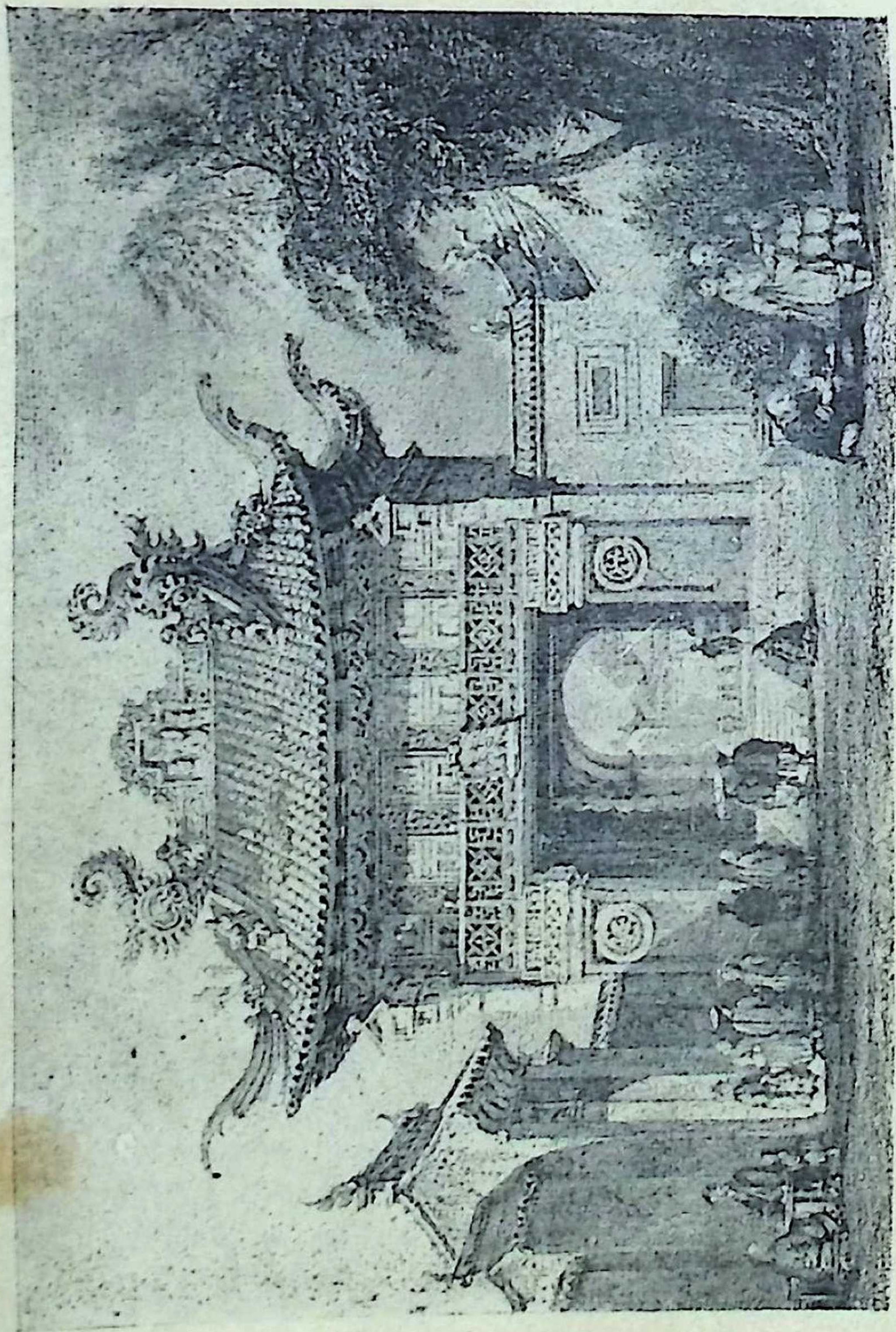
كاهن من كهنة الصين القديمة يناشد « عصى القدر » أن تنبئه بالمستقبل !

كونفوشيوس هو التحوير اللاتيني لكلمة (KUNG FU — TZE) ومعناها «السيد كونج». وقد صادف عهده حقبة من الزمن كانت الصين خلالها تمر بظروف شبيهة بالظروف التي مر بها العالم الحديث في عصرنا الحاضر .. فعكف كونفوشيوس على البحث عن مخرج لبلاده من متاعبها المستعصية .. فلما هداه بحثه الى وضع يده على بيت الداء ، أو رأس البلاء ، تبين ان جهل الشعب من جهة ، واناية حكامه وغباءهم من الجهة الاخرى ، يحولان بينهم وبين اتباع نصائحه !

وكان فقره قد اضطره الى ان يبدأ حياته العملية كمدرس — وكان يومئذ في الثانية والعشرين — فاتجه ، مثل افلاطون ، الى تلقين النشء مبادئ الحكومة الرشيدة والاخلاق الحميدة .. وسرعان ما جذبت حكمته وعلمه افواج التلاميذ الى المعهد الذي افتتحه لهذا الغرض — الاكاديمية — بل لقد بلغ الحماس ببعضهم الى حد مساعدته في مشروعه بأموالهم .. فلم يبلغ كونفوشيوس الثلاثين حتى كان قد أضحى شخصية ذائفة الصيت مسموعة الكلمة ، تحظى آراؤها الانشائية السديدة باحترام الجميع !

وكانت الفوضى ضاربة اطنابها يومئذ في وطنه ، فسأله الحاكم أن يشير عليه بما يراه كفيلا باصــالـح الحال واعادة الامور الى نصابها .. لكنه حين أدلى بآرائه ، رفض الحاكم مشورته .. فما كان منه الا ان أبى بدوره ان يقبل المكافأة التي رصدت له جزاء استشارته !

• وانقضت خمس عشرة سنة ، تابع خلالها كونفوشيوس تعاليمه ودراساته .. ولم ينقطع عنها الا ليتولى منصب الحاكم لمدينة (شونج تو) ، فادخل فيها من الاصلاحات الكبرى ما بدل مسلك أهلها واحوالهم ، مما اثلج صدر الحاكم



النوابة الاولى مدخل معبد ((بونفوتسيوس)) بمنطقة (شنج هاي)

العام للولاية ، فعين كونفوشيوس وزيرا للجريمة ، (اي وزيرا للعدل) . ويقرر المؤرخون ان هذا التعيين تمخض عن نتائج فاق كل حسابان ، فقد توقف سيل الجرائم على الفور ، وانقطع دابرها تماما ! . بل لقد حدث انقلاب شامل في مسلك الناس : ((فأخفى الاشرار رؤوسهم في الجحور ، وصار الرجال مخلصين ، والنساء طيبات !)) . فلم يلبث كونفوشيوس ان أصبح معبود الجماهير ، يمجّدونه ويتغنّون بحمده !

ولكن ، برغم هذا النجاح ، يدهشنا ان نقرأ ما تلا ذلك من احداث : فحين انتهت مهمة كونفوشيوس المؤقتة ، لم يجد حاكما آخر يوليه منصبا في ولايته ، رغم انه ظل يتنقل من ولاية الى ولاية ، طيلة ثلاثة عشر عاما ، آملا ان يجد من يتخذه مستشارا له ، او يتيح له الفرصة كي يقيم حكومة نموذجية تغدو مركزا لاصلاح عالمي !

والى العدد القادم ، كي نتابع معا قصة الحضارة الصينية ، ثم نستأنف جولتنا في الشرق الاقصى

بنك مصر

اسس شركات الكبرى التي وطف بها خصائص البلاد واستغل موارثها لاداءها الدعايم التي قام عليها التصنيع القومي في البلاد وكانت المياج المنيع للتحرير الاقتصادي منذ ٣٣ عاما فدل على الكفاية المصرية وتفوق العقل المصري في مصمار الحياة العملية



جواهر الغانية !

عزيزى القارئ ..

في هذا العدد من « كتابى » بدأت حديثى معك عما رأيته وسمعته خلال جولتى في ربوع الصين .. وقد كان من الطبيعى وكتابى يقدم لك هذه المادة عن الصين الشعبية في حاضرها الناهض ، وعن الصين القديمة في ماضيها العريق ، أن تودى « مطبوعات كتابى » رسالتها التكميلية ، فتقدم لك نماذج من أدب القصة في الصين - القديمة والحديثة - في عددها الجديد الذى يصدر بعد اسبوع .. وفي أعلى هذا الكلام عنوان ورسم لأحدى قصص العدد السابع ، وهذه القصة تمثل أدب الصين القديمة .. والى اللقاء على صفحات العدد القادم من « مطبوعات كتابى » ..



حسرة على الماضي !

.. وهذا عنوان قصة أخرى من قصص المسد الجديد من « مطبوعات كتابي » الذي يصدر بعد أسبوع باذن الله ، تحت عنوان « قصص من الصين ، القديمة والحديثة » .. وهذه القصة نموذج لأدب الصين الحديثة المعاصرة ، وهي من تأليف أديب الصين الأشهر « لو شون » ، الذي رأيت في الصفحات السابقة كيف يمجده الصينيون تمجيذا لم يحظ بمثله أديب آخر من أدباء العالم القديم أو الحديث .

والى جانب هاتين القصتين ، سوف تقرأ في عدد « مطبوعات كتابي » خمس قصص أخرى تمثل الأدب الصيني في مختلف عصوره ، عبر القرون ، حتى يومنا الحاضر .. علاوة على مسرحية مشهورة تمثل على مسارح الصين بلجاج كبير .. وكل أملى أن أكون بذلك قد أرضيت شوقك الى الاطلاع بادب هذه الدولة المريقة .. والى اللقاء ..



حامي مراد عضو الوفد الثقافي الرسمي لجمهورية مصر
إلى جمهورية الصين الشعبية
يقدم لك ابتداء من هذا العدد ، وفي الأعداد التالية من كتابي :

رأيت وسمعت لك .. في آسيا

(في الصين ، واليابان ، والهند ، وسيام ، ومستعمرة هونغ كونغ)
مساهمات ودراسات مزودة بالصور لشتى نواحي الحياة ونباتات الشعوب
ومعالم البلدان .. وتصوير شامل لخصائص أعظم وأعرق الدول الآسيوية
٤٧ يومًا قطع هذا البحر .. ٣٦٠٠ كيلومتر فوه السحاب
وعلى أديم الأرض ، متقلابين : بكين ، وشنغهاي ، وفانكنج ،
وهانكو ، وكانتون .. وهونغ كونغ .. وطوكيو ، وكيو ، ووايكاكا ..
وبانجكوك .. وكلكتا ، ودلهي ، وبومباي .. الخ

تابع هذه الحلقات على صفحات كتابي
ابتداء من هذا العدد الذي بين يديك